UZIA ZIA

المظالحة بالعجيبة

لَنَا لِمُنْ اللَّهِ ا

ألفته وراجمته لجنة من وزارة الممارف والجامعة المصرية

حق الطبع للمدارس الحرة محفوظ للمؤلفين

ملتزم طبعه ونصره مَطْبَعْتُهُ المُقَارِفْ وَكُمُنْهُما بُصرٌ

معتدمته

بيِّنِأَنِيُالِخَ الْجَمِي

الحمد لله علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين، وعلى سائر أنبيائه المطهرين، وعباده المصلحين المخلصين.

و بعد؛ فإننا نرى نهضتنا الفكرية المباركة قد شملت جميع وسائل التعليم ، وحفزت الهم إلى التجديد والتحسين فى شتى النواحى ، فلم يكن بد أن تنال كتب المطالعة الموجية نصيبها من الإتقان حتى تساير الرقى الفكرى العام ، وتسد حاجة النشء فى هذا العصر الزاهر .

وقد وضعنا فى العام الماضى كنباً المطالمة العربية بالمدارس الابتدائية ، فلقيت - بحمد الله - قبولاً من المدرسين ، وكانت لها آتار محمودة فى إقبال النلاميذ على الفراءة ، ونقدمهم فيها تقدماً يسندعى الاغتباط .

والآن نتم ما بدأنا؟ فنقدم كتباً أخرى للمطالمة بالمدارس الثانوية ، راعينا فيها المدرج والانسجام ، فلا يجد من ينتقل من مرحلة التعابم الابتدائى إلى مرحلة التعليم التانوى ، أو من ينتقل من فرقة إلى أخرى من فرق المدارس التانوية —. في الكناب المقرر عليه صعوبة نفجؤه فتصده عن الاستمرار في المطالمة ، ولا يشعر حين بقدم إليه كناب حديد

أن صلته بكتابه القديم قد انقطمت؛ بل يعرف أن بين القديم والجديد تقاربًا ظاهرًا، وعلاقة محكمة، وصلة متينة فيترقى من الأدنى إلى الأعلى دون أن يشعر بصعوبة للرتقى .

وقد قصدنا إلى أن يكون كل كتاب مشتملاً على قطع كثيرة تصور الحياة فى بيئتنا المصرية ، ثم فى غيرها من البيئة العربيــــة ، ثم فى غيرها من البيئات الأخرى .

وكذلك اخترنا طائفة صالحة من القصص التى تشوق التلاميذ، وتحفزهم إلى القراءة، وتهذب خيالهم، وتربى عواطفهم، وتقوم أخلاقهم، وتمدهم بكثير من العبارات العربية السهلة السليمة التى تعينهم على التعبير عن أفكارهم فى أحاديثهم، وفى إلقاء الخطب، وتحرير المقالات.

وقد أكثرنا فى كل كتاب من القطع التى تجمع بين عذب الشعر وجيد النثر، وتمثل الأدب فى عصوره المختلفة. وسيجد التلاميذ من بين هذه القطع ما يصلح لأن يحفظوه، فينمى ثروتهم اللغوية، ويرقى اذواقهم الأدبية.

وكذلك وضعنا قطعاً فى تاريخ المخترعات و بعض المسائل العلمية الخطيرة ، وتراجم العلماء والمخترعين والكاشفين التى لا بد للتلاميذ من الإلمام بها . وراعينا فى هذه القطع تقريب المسائل العويصة إلى أذهان التلاميذ ، وتجنبنا ما استطعنا أن نشعر التلاميذ فيها بصعوبة الأبحات العلمية .

وقد اقتصرنا فى ضبط الكلمات بالشكل على الضرورى منه ، و بخاصة كتابا الفرقتين الثالثة والرابعة ؛ لنحمل التلاميذ على تفهم ما يقرءون ، ليستغيدوا بما درسوا من قواعد اللغة فى ضبط الكلمات بأنفسهم . فقد دلت التجارب على أن الإسراف فى الشكل أدى إلى اعباد التلاميذ فى أثناء القراءة على أعينهم لا على عقولهم ، فأقفلت أفكارهم ، وكانت قراءتهم آلية خالية من الفهم والتدبر .

وقد أتينا بقطع سهلة مناسبة لمدارك التلاميذ — يجدها القارئ فى مواضع متفرقة من كل كتاب — خالية من الشكل ليختبر بها المدرس تلاميذه ، ويتبين مقدرتهم على ضبط الكلمات ، ويعدهم لقراءة ما ليس مشكولاً من الصحف والجلات والرسائل والمكاتبات .

واقتصرنا فى شرح الفردات والعبارات على القليل المستغلق، وتركنا ماعداه دون شرح ليعتمد التلاميذ على أنفسهم، ويمرنوا على البحث فى المعجمات التى بأيديهم لمعرفة ما يصعب عليهم فهمه، وليرجعوا إلى أساتذتهم فى شرح ما يعجزون عن معرفته بأنفسهم.

و إننا لنردد الشكر ، ونقدم واجب الثناء لوزارة الممارف فى هذا المهد السعيد الذى نهضت فيه باللغة العربية وآدابها ، وجددت شبابها ، وأعادت مجدها ورفعت مستواها ، حتى تظل أداة صالحة للههم والتفاهم ، وتساير النهضة الحديثة التي تستمد من شباب مليكنا الصالح شيابًا ، ومن نشاطه نشاطًا ، ومن قوته قوة ، حفظه الله ورعاه ، وأدام عليه نعمة السداد والتوفيق كم

جادی الأولی سنة ۱۳۵۷ هـ بولیــــــه سنة ۱۹۳۸ م

المؤلفون :

ابراهيم مصطنى . محمد عطيه الإبراشي . محمودالسيد عبداللطيف. عبدالجيد الشافعي . الدكتور عبدالوهاب عزام . حامد عبد القادر . محمد أبو بكرابراهيم . محمد عاطف البرقوق .

المراجعون :

۱ - آیات قرآنیّــــهٔ ۱۰۰

بسم الله الرحمن الرحسيم

﴿ قُلُ الْحُمْدُ لله ، وسَلْمُ على عبادِهِ الَّذينِ اصْطَنَى ، ءاللهُ خَيْرٌ ۗ أَمًّا يُشْرِكُونَ * أُمَّن خَلَق السَّمُواتِ والأرض ، وأَنْزَلَ لَكُم من السَّماء ماء فأُنْبَتْنا به حَدائِق ذاتَ بَهْجةٍ ما كانَ لَكُمِ أَنْ تُنْبِتُوا شَجرها أَءَلُهُ مع اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَمدِلُون * أَمَّن جَعَلَ الأَرضَ قَرَارًا ، وجَمَلَ خِلَلُهَا أَنْهَرًا ، وجَمَل لَمَنا رَوَاسِيَ ، وجَمَلَ بين البَحْرَيْن حاجِزاً أَءلُه مع الله بَلْ أَكْثَرُم لا يَشْلُمُون * أَمَّن يُجيبُ المضطرَّ إذا دَعاه ، ويَكْشِفُ السُّوء ، ويَجْعَلَكُم خُلفاً. الأرض أُءَلُه مع الله قَليلاً ما تَذَكَّرُون * أُمَّنْ يهديكم في ظُلُمَتِ الْبَرِّ والبَحْر ومن يُرْسِل الرُّيْحَ بُشْرًا بين يَدَى رَجْمَتِهِ ، أَءْلُه مع الله نَعْلَى الله عَمَّا يُشرَكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَوْا الْخَلْقُ ثُمَّ يُميدُه ومن يَرْزُفُكُمْ من السَّماء والأرض ، أءلَه مع الله ، قل هاتوا بُر كُمْنَـكُم إِنْ كُنْتُم صَادِقِين * ،

⁽١) من سورة المل من آية (٥٩ إلى ٦٤)

٧ _ قِطّة أصحاب الكنهف"

خرج أهل (أفسوس (()) فى يوم عيدِم ، يَحْتَفِلُون بأوثانهم ، ويتقرّبون لأصناعِهم ، ولكن شابًا من أشرافِهم ، وأكرم يُبوتهم لم تطمئن نفسه إلى ما رأى ، ولم يسترح عقله إلى الآلهة التى يعبُدُون ؛ فشك وارتاب ، واضطرب تفكيره وتحيّر . . . ثمّ انسَل من بين مُجوعِهم ، وخرج مُعْتَفِياً من صفوفهم ، حتى انتهى إلى شجرةٍ جلس إليها ، ساهِا مُطرِقاً ، مُرتَابًا متَحيَّراً . . .

وما لبت أن تُهادى إليه آخرُ مَنْ ذهب مذهبه فى شَكَّه وحَيْرته، واصطرابه وارْتيابه؛ ومَنْ أشبَهه فى شَرَف عُنصرِه وكرم نِجَارِه مُ آخرُ وآخرُ حتى انتهى عددُم إلى سبمة ، وما أسرع ما تعارفت أرواحهم ، وتعانقت آراؤم ، وألَّفت يينهم فِكرةٌ واحدةٌ ، وإن لم يُكن ينهم نسبٌ جامِعٌ ، أو رَحِمٌ ماسة . . .

وأُعلَنُواْ لَأَنفُسِهِمْ شَكَّهُمْ وارتيابَهُمْ ، وإنكارَهُ لَآلُمَةِ أَنوامِهُمْ ؛ ثُمَّ جالوا فى رِحاب الكُوْن بيصائِرهِ النّافذَة ، وفِطَرِهِ السَّليمة ؛ حتى ضايت نفوسُهُمْ بنور التَّوحيدِ ، وهُدُوا إلى الله مُنشِئُ الْخُلق ، وسِرًّ

الفرآن الكريم - سورة الكهب - آية ١٠ وما سدها

⁽١) مدينة في حزيرة باسمها في البحر الأبيس على مقرنة من ساحل آسيا الصعرى .

الوُجودِ . . . واسترَاحوا إلى هذا الدّين ، واطمأنّوا إليه ، واتّفقوا على أن يَكْتُمُوه بين جَوَانِحِهم ، ويستُروه فى أصاقِ نفوسهم ، إذْ كان الملك وثنيًّا تُمْمِناً فى الوثنيَّة ، مُشركاً ظهيرًا للمشركين .

وظل كلُّ واحدٍ يخوضُ فيما يخوضُ فيه القومُ ، ويضطربُ فيما يَضطرب فيه الناس ، حتى إذا ما خَلاَ بنفسه ، واجتَمع مع قلبهِ ، اتجَه إلى الله عابداً مُصلِّياً ، ومنزَّها ومُقدَّساً ؛ حتى إذا كانت إحدى ليالى اجْتَاعِهِم وانتظام ِ عِقدهِ ، قال أحده في صوت خفيض ، وحذَر مُريبٍ : ﴿ لَقَدْ سَمْتُ بِارْفَاقُ بِالْأَمْسِ خَبِرًا ، إِنْ صَدَق راويه – ولا إخالَه إلاَّ صادِقاً — فإن فيه إفسادَ دينِنا ، أو ذَهابَ حياتِنا ؛ سمعتُ : أنَّ الملك قد عَلِمَ بأمرنا ، وافتضَح عنده عقيدتُنا ودينُنَا ؛ فثار ثائرُه . وهاج هائِجهُ ، وتوعّدنا شرًّا إن لم نَصْبًأ عن هذا الدِّين الذي أُشْرِبَتُهُ نُفوسنا ، وانسجَم مع عُقولِنا وتفكيرِنا . وإنّه يوشِك أن يطلع علينا المَدُ ؛ فإذا جَمِيمُنا في حَضْرتهِ ، وبين وَعدِه ووعيدِه ، وسيفهِ ولِطمه ؛ فتدبّروا أمركم ، واحزِموا رأيكم . ،

قال الثّانى : « هذا خبرُ كنتُ سَمعتُ به من قبلُ ، فحسِبتهُ من إرجافِ المُرجِفين ، وتأويلِ الجاهلينَ ، ولكن يظهر أنّه استفاض وذَاعَ ، حتى دلّ على صِدقهِ ، أو إمكان وقوعه . . . وما أرى إلاّ أن

نَثْبُت عَلَى ديننا ، ونَصَمُدَ لاضطهادٍ يرادُ بنا . وعمالُ أَن نرجِع الى هذه التّماثيل التى يعبُدونها ، بعد أَن عرفنا فسادَها وبُطلانَها . ولسنا براجعين عن عبادةِ الله ، ومع مَطلَع شمس كلَّ يوم دليلُ على وُجودِه ، وفى كل سَبْحَة من سَبَحات التَّفَكير شاهدُ على عظمته . »

وصدقت الإِشاعات ، وصَّت الأخبار ، وانتظَمَ جَمْعُهم أمامَ الملك ، بمدَ أَن انْتُزعوا من منازِلهم ، وأُخِذوا من بين أَهْليهم . . .

قال لهم : « لقد حاولتم سَتْرَ أَمرٍ فلم تَفلِحوا ، وجاهَدتم في كنّان دين ولكنّكم لم تنبوا ، وقد انتهى إلى خَبَرُكم ، ووصَل إلى أنكم صَبَأْتُم عن دين الملكِ والرّعية ، إلى دين لا أُدرِى كَيْفَ هبط عليكم ، أو وصل عِلمة إليكم ، وقد كان يَهونُ على أَن أَتركم تهيمون في دينكم ، وأن أُلقي حبلكم على فاربكم ؛ لولا أنى علمت أنكم من أشراف قومِكم ، ومن أوساطِ عَشائِركم ، وتوشيك العامة — لو علمت بأمركم — قومِكم ، وتدخُل دينكم ، وتتقبَّل طريقكم ؛ وفي ذلك ما فيه من إفسادِ النّاك ، وانتقاض حبل الأمان . . . ،

« ولستُ بمعجِّل لَـكُم المذابَ، أو موقع عليكم المقابَ، حتى تفكَّروا فيما أنتم مُقدِمون عليه ؛ فإمّا رجوع للى مِلْتنا وإذعان لما فيه الناسُ ؛ وإما أن يرى الرَّالَى فإذا أمامَه رءوسٌ مُلقاةٌ، وأشلام بمزّقة ، ودمام منكم تَسيل. » وربَط الله على قلوبهم ، وأيَّده في إيمانِهم ؟ فقالوا : و أيَّها الملكُ ا إِن هذا الدينَ لم ندخُل فيهِ مقلِّدين ، ولم نعتَنِقْهُ مُكرَهين ، ولم نَسِرْ فيه جاهلين ؛ دعَتنا إليه الفيطرةُ فلبَّينا ، وأصاء لنا المقلُ وفي صوابه سِرْنَا ، هو الله الأحدُ و لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلْمَا ﴾ ؛ أما قومُنا هؤلاء فقد عَبدوا أصنامَهم جاهلين مُقلَّدين ؛ لم يَأْتُوا عليها بسُلطانٍ ، ولم يَدُلُوا عليها ببُرهانٍ ؛ هذا ما انتهى إليهِ عِلمُنا ورأيننا ، « فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ . »

قال الملك : « اِذهبوا اليومَ على أن تأتونى فى الند ، لِأنظر فى أمركم وأفسِل فى قضيتُكم . » وخلَصُوا الى أنفسِهم يَشْتُورُون فيها يفعلون ، ويُحيلون قِداح الرَّامي كيف يصنعون ، . . .

قال واحد منهم: و أمّا وقد عرف الملك أمرَنا فلا مُقام لنا بين وَعدِه ووعيده وإطاعه وتهديده ، ولنفِرٌ بديننا إلى ذلك الكَهف من الجبل ؟ فإنّه قد يكون — على ظلامه وضِيقهِ — أفسح صدرًا ، وأطيب مكاناً من هذه الأرضِ الوسيعة ، التي لا نستطيع أن نعبُد الله فيها كما نريد ، وأن نجهر بديننا كما نعتقد أد . . . ولا قرارَ في مكان نُراد فيهِ على دينٍ لا نطمتُنْ إليه ، ولا كرامة في وطنٍ نُقْهَرُ فيه على رأي لا نعتقده . » وأصبحوا جيعاً ، يحملون زادهم ، مُفارقين أَرَطا نَهم ، مُهاجِرين وأصبحوا جيعاً ، يحملون زادهم ، مُفارقين أَرَطا نَهم ، مُهاجِرين

بدينهم ، وَلَحْهُم كَلَبْ فِي الطَّرِيقِ ، فَسَارُ فِي إِثْرُهُ ، وَتَمَلَّقَ بَهُم ؛ فَلَمْ يَرَوْا بأَسَا فِي أَنْ يُرَافِقَهُم ، يَصْحَبُهُم أُو يُحرُسُهُم . . .

وما زالوا في سَيْرِهِ حتى انتَهُوا إلى الكهف ، وهناله وجدوا بُمَارًا فأكلوا ، وماه فشرِبوا ؛ ثم اضطجَعوا قليلاً لِيُبَرِّدُوا أقدامَهم ، ويُعيدوا ماذهب من عافِيتهم في أثناه سيرِهِ . ولكن ما عَتَمُوا أن أَحسُوا إغفاءة خفيفة ، داعبت جُفونهم ، ثم السلمت رءوسهم إلى الأرض في نوم عمق .

* #

ومضى عامٌ وراء عام ، وتعاقب ليل إثر نهار ؛ والْفِتْيَةُ واقدون ؛ النّوم مضروب على آذاتهم ، والكرّى معقودٌ بأجفانهم . لا تُزعِجُهم زَعِرةُ الرّياح ، ولا يوفِظُهم قَصْفُ الرّعود ؛ تطلّع الشمس فتنفُذ إلى الكهف من كُوّنه ؛ فتمنَحه الضوء والحرارة ، ولكن أشعتَها لا تصل إليهم ، وتغرّب فتميل وتبتَعِد ؛ تحقيقاً لما أراد الله من حفظ أجسادِه ، وبقاء أرواحِهم .

ولو اطَّلْمَ مُطَّلِعٌ عليهم لرآه يتقلَّبون مرةً ذات البمين، وأخرى ذات الشَّال ، وقد طالت أظفارُهم ، وامتدَّت لِحاهُم وشوارُبهم يبعَثون الرَّعب فيمَن يراهم ، والهو ْلَ فيمَن يطَّلِع عليهم . . .

ودخلَت سنة تسع وثلثمائة منذُ نوسهم ؛ فاتنبَهوا بعدَها ، وهم لا يَكادون يُعسِكون نفوسَهم من الجوع أو يَحْمون أعضاءهم من التَّمب ، ظانِّين أنَّ الزمنَ لم يمضِ بهم ، وأن عَجلَة التاريخ واقِفة ٌ عند كهفهم

قال واحدُ منهم يسأل : ﴿ يُحَيِّلُ إِنَّ أَنْ سَامَاتٍ طَوِيلَةً رَقَدْنَاهَا ، فَا تَظَنُّونَ يَا رِفَاقُ ؟ ﴾

قال التَّانى : « رَّبَمَا نَكُونَ قد لَيِثنا يوماً فإن هذا الجوعَ الذى تُحُسُّه ، والتَّمْبِ الذى نشمُر به ، لَيُؤْذِنَ بَمَا أَظُنُّ . . . »

وقال التَّالث : « نحن قد رَقَدنا في الصَّباح ، وهذه الشمسُ لم تَطْفُل ؛ فما أَظنُّ إِلا أَننا قد لبِثنا بمضاً من يوم . »

وقال الرّابع : « دَعُونا من تساوَّلِكِم فالله أعلمُ بما لَبِيْم ، ولكنّى أُحِس الجوع شديداً وكَأَنَّى لم أُطْمَ من لُهُ ليال ، فُليذهبْ واحدُ منكم إلى المدينة يلتَمِس لنا طماماً ، ولْيكن حَذِراً لَبيباً ، فَطِناً أريباً ، حتى لا يعرِفَه أحدٌ ، ولا يفطِن إليه إنسانٌ ؛ إنَّهم لو ظَهروا علينا ، وعرَفوا مكانَنا يقتلُوننا أو يَفْتِنوننا في دينِنا . »

غَرْجَ إلى المدينةِ واحدٌ منهم يلتَمِس الطَّمامَ ، وهو خائِفٌ حذِرٌ ؛ ودخل ﴿ أَفْسُوسَ ﴾ ، وما رَاعَه إلا تَغَيَّرُ في معالِها ؛ وانقِلابٌ في مبانيها : هذه خرائبُ أضحَت قصوراً ، وتلك قصورٌ أمسَت خرائِبَ وأطلالاً ، وتلك وجورٌ لم يَعرفها ، وصورٌ لم يألَفُها .

أمَّا الدُّيارِ فإنَّمُ الكيارِمِ وأرى رجالَ الحيُّ غيرَ رجالهِ

وتحيَّرت نظراتُه ، وكثرت لَفتاتُه ، وظهر الاضطرابُ في مِشْيتهِ ، والوجُومُ في مِشْيتهِ ، والوجُومُ ، حتى الوجُومُ ، حتى لفَت الناس إليه .

قال له أحدُم: و أغريبُ يا هذا عن هذا البلد ؟ وفيم تتأمّل؟ وعلامَ تبحثُ ؟ ، قال : و لستُ غريبًا ، ولكننَّى أبحثُ عن طعام أشتَريه ، فلا أرى مكانَ يَيْهِ . . . ، وأخذ الرجل يبده حتَّى انتهى به إلى صاحب طعام ، وأخرج صاحبُ الكهف دراهِمه ، ونقدَها التاجر ، وما راعَه إلا أن رأى نقوداً ضُرِبت من نحو أكثرَ من تلهائة عام ؛ فحسِب أنَّه عثر على كنز ، وأنّ من وراء دراهِم درام كثيرة ، وأموالاً عظيمة ؛ فجمع الناس من حوله ، ودلَفوا إليه من كل مكان .

فقال یا قومُ : « لیس الأمركما زعمتم ، ولیست هذه النقودُ كما توهمتم ، وإنّما هی دراهمُ قد وقست لی فی بعض مُعامَلتی مع النّاس بالأمسِ ، وأنا أشتَری بها طَعامی الیومَ ؛ فما یدعوكم إلی الدّهشة ؟ وما يدفّتكم للافتراء على بما نظنُون ؟ » ثم هم بالعودة ، خشية أن يفتضِح أمرُه ، أو تظهر حقيقة حاله . . . ولكنهم عادوا فرَفَقوا به ، وتلطّفوا معه في القول ، وحاوروه في الحديث . وما أشد ذهولهم حينا علموا أنّه أحدُ الفِتية الأشراف ، الذين هرَبوا من تسيم وثاثما ثه سنة من مَلِكهم الجائر الكافر ، وأنهم هم الذين – فيا سمِعوا – تَطَلّبهم الملك فلم يظفر بهم ، ونشدَه فلم يهتد إليهم ، وما كان أشد خوف الرجل حينا علم أنهم فطنوا لأمره ، وعرفوا قصته فخاف على نفسه وإخوتة ، وهم بالهروب .

قال له أَحدُم : ﴿ لَا تُرعَ يَا هَذَا ! إِنَّ اللَّكَ الذَى تَخَافُهُ قَدَّ مات من نحو ثليمًا ثَةِ عام ، وإن الملكَ الذَى يَجلِسُ الآنَ هو مؤمِنٌ بالله كما تُؤمِنون ، وأَما أَنتَ فأَين بقِيَّةُ صَعْبِك ؟ »

فأدرك الرجل حقيقة حاله ، وعرف تلك الفَجْوة من التاريخ التي تفصلُ بينه وبين الناس ؛ فهو الآنَ لا يَعْدُو أَن يكونَ شبحاً يمشى ، أو ظلاً يقوّكُ ، ثم قال لمتن يحدّثه : « دعُونى أذهب إلى صَفيى في الكهف أحدّثهم عن شأنى وشأنهم ، فريّما يكون قد طال انتظارُهم ، واشتَدَّ قَلَقُهُم . . . »

وسمع الملك بأمرِم ؛ فخف إلى لِقائِهم ، وسمَى إلى كهفهم ، فرأى فيهم توماً أحياء ، تُشرِق بالحياة وجُوهُهم ، وتجرى الدَّماه في عروقهم . . .

فصافحهم وعانقهم ، ودعام إلى قصرِه ، والإقامة فى داره . فقالوا : « وما نبغى بالحياة وقد مات الحفيدُ والولدُ ، وعفا الدّار والسّكَنُ ، وانقطَع ما يبننا وبين الحياة من أسباب . . . ، ثم توجّهوا إلى الله طالبين أن يختارَم لجوارِه ، وأن يشملَهم برحمته ، وما هو إلا ارتِدادُ الطّرف حتى وقموا أجساداً لا حياة فيها . . .

أَمَّا القومُ فقالوا : « لمل الله أَعْثَرَنا عليهم لنَمَلَم أَن وعدَ الله حَقُّ ، والبعث صِدقٌ ، والساعَة آتيةٌ لا ريبَ فيها . » ثم تنازعوا أَمرَه ينهَم : فقالوا : « ابنُوا عليهم 'بنيانًا ، رثبهم أعلمُ بهم . » قال الّذين غَلَبوا على أمرِهم : لنتَّخِذَنَّ عليهم مسجدًا . »



٣ – قاسم أمين

وُلِدَ فِي أُسرة مصرية ، تنتسب إلى أصل كُرْدِيّ . وهي أسرة متوسطة أ



الیَسَارِ ، لم یُفْسِدُها تَرَفُ الْإِکثار ، ولم تَجْنِ علیها آثارُ الحاجة . وتربی منذ نشأته تربیة أمثاله ، ثم سافر إلى فرنسا حیث درس الحقوق ، وعاد فی سنة ۱۸۸۰ ولیس فی ظروف صباه مَیْ و عَیْرُ عادی ، إِلاَّ أَنَّه کان صباه مَیْ و عَیْرُ عادی ، إِلاَّ أَنَّه کان

جَمَّ الحياء ، مما ألزمه العكوفَ على نفسه ، وعلى درسه .

وليس في حياته بمد ذلك تَمَيْهِ من المجازفات التي تجذب لأصحابها أنظارَ الجماهير ؛ بل ظلّ – منذ أتمَّ دراستَه إلى أن عَاجَلَتْه مَنِيَّتُهُ سنة ١٩٠٨ ، وهو في رَيْمان قو ته – قاضيًا ، ثم مستشارًا بمحكمة الاستثناف . لكنه كان – مع حيائه الجمِّ – عَيُّوفًا ، يحترم نفسه وكرامته ، كما يحترم غيرَهُ وحريَّتَه ، فلم يُجرِّب عليه أحد ضَمةً ولا ضمفًا . ولمل أقدس ما كان يُجلُّه من مظاهر الحرية ، حريَّةُ الرأى ،

بفرنسا إلى خاتمة حياته - قاضياً ممتازاً ؛ فهو لم يقض يوماً لينال حُظُورةً عند أحد ، أو ليُصَفِّق له الجمهور ، ولم يكن من بين القضاة الذين قال عنهم : « أعرف قضاة حكموا بالظلم ؛ ليشتهروا بين الناس بالمدل . » ولم يتقيد في قضائه بآراء الفقهاء ، أو أحكام الحاكم ، مما يستبره أكثر القضاة حجة لا تحيد عنها ؛ بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه .

وهذا هو ما جمله ميَّالاً للرأفة في قضائه ، نافراً أشَدَّ النفور من حَمَمِ الْإِعدَام ، فقد كَانَ يرى : ﴿ أَنَ الْمَفُو هُو الْوَسِيلَةِ الْوَحِدَةُ الَّتِي ربماً تنفع لإصلاح الذنب. » وأن • معاقبةَ الشرّ بالشر إمنافَةُ شرِّ إلى شر. » وأن « التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هَا أَحْسَنَ مَا يُمَالَجُ بِهِ السَّوْءِ ، ويفيد في إصلاح فاعله . » وأن « الخطيئةَ هي الشيء المعتاد الذي لا محلَّ للاستغراب منه ، والحالُ الطبيعية اللازمةُ لغريزة الإنسان . » فإذا كَانت الجماعة لم تُوَفَّقْ بمدُّ لإدراك هذه الأفكار ، وكأنت قوانينُها التي وُكِلَ إليه تطبيقها كقاض ما تزال تجرى على سُئَّةِ القِصاص والانتقام ، وما تزال دمويةً متوحشةً – فلا أُقلَّ من أَنْ يُتحاشى الإعدام وهو أَشدُّ ما فيها وحشيةً ، وهو العقوبة الوحِدَةُ التي لا سبيل لعلاجها إِذا ظهر خطأ القاضي ، أو ثابت الجاعة إلى رشدها ، ورأت تعديلَ أساس عقوبتها بجمل العقوبة للإصلاح لا للقصاص ، أو أخذت بمذهب العفو والنسامح .

كأنت روحُ قامم روحَ أديب ، وكأنت الروحَ العصبية الحسّاسة النائرة التي لا تعرف الطمأنينة ، ولا تستريح إلى السكون ، وكأنت الروحَ المشوقة التي لا تعرف الانزواء في كنّ المبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها ، وتستبدل بكنها ما في حياة الكون وحركته من نشاط وجال . بل كأنت عيونه الواسعةُ تربد أن ترى جِدَّةَ الوجود الدائمة تتكرر مناظرها ، فتطبع على صَفَحاتِ نفسه وحياً وإلهاماً أَكْثَرَ بما تؤدى إليها المباحثُ الجافة منطقاً وجدلاً .

وكأنت هذه المناظر تُذْكِي شعوره الحساسَ بجمال الحياة ، وتدعوه إلى الحرص على متاعه بها ، وعلى دعوته غيره لهذا المتاع . ذلك لا يُؤتاه إلا رجلُ فَنَ جيل ، لا يقف عند التلذذ لنفسه بنيم الحياة ؛ بل يعبر لغيره عن معانى هذه النَّم . وكما يعبر الموسيقُ بالنَّم ، والمصور بالنقش ، والمشّال بالنحت ، والشاعر بالوزن ، كذلك الكاتب الأديب يجد في وصف ما في الحياة من مختلف ألوان الجال ما يعبر عن شعوره به ، وما يدعو غيره إليه .

وفى ظننا أنَّ الدعوة إلى تحرير المرأة من رق الجهل ، ورق الحجاب لم تكن كُلِّ برنامَجِ قاسم الاجتماعيُّ ، وإنما كانت حَلْقَةً منه هي أَعْسَرُ حَلَقاته وأعقدُها ؛ ذلك بأنه لم يَقْضُرْ عليها كل جهد حياته ، بل اشتغل منذ سنة ١٩٠٦ بالدعوة لإنشاء الجامعة مع صديقه سمدِ زغلول ، وشُغِل بهذه الجامعة ، وبتوطيد أركانها إلى أن وافته منيِّئُه بمد ما أعدَّ كلَّ المدة لافتتاحها ، وتبيل هذا الافتتاح بأشهر معدودة . وتدل كلاته على أن برناتجه كان أوْسَعَ من مجرد تأسيس الجامعة وتَرَكُّها تسير على حسب ما توجهها الرياح ؟ وعلى أنه كان يريد أن يجمل من الجامعة خُطُوَّةً لبرنامَيج أوسَمَ نطاقًا يتناولُ ثورةً في اللغة والأدب، كالثورة التي أحدثها كتاباه في تعليم المرأة ، وفى رفع الحجاب .

عرم كافور الإخشيد وأدبه نادرة لطيف

كَانَ أَبُو بَكُرَ الْحَلَى يَتُوَلَّى نفقات أَبِى الْمِسْكُ كَافُورِ الْإِخْشيدِ ، وَكَانَ لَهُ فِي كُلُ عَلَدُ وَلَا يُسَلَمُ إِلَى أَبِى بَكُرَ اللّهَ كُورِ بَعَلَا نُحَمَّلًا ذَهِبًا ، وجريدة تَتَضَمَّنُ أسماء قوم من حد القرافة إلى الجبانة وما ينهما .

قال أبو بكر المذكور : ﴿ وَكَانَ عِشَى مَعَى صَاحَبُ الشَّرْطَةُ وَتَقْبِ مِنْ الْمَدْوَلَةُ مِنْ الْمَدَ العَشَاءُ الْأَخْرِةَ إِلَى آخر اللَّيل ، حتى أُسلم ذلك إلى من تضمنت اسمه الجريدة ؛ فأطرق منزل كل إنسان ما بين رجل وامرأة وأقول : ﴿ الأستاذ أبو المسك كأفور الإخشيدي يُهَنَّنُك بالبيد ، ويقول لك : اصْرِف هذا في مَنْفَمَتِك . وأرْفع إليه ما جعل له . »

« وفى آخر وقت زاد فى الجريدة الشيخ أبا عبد الله بن جابار ، وجمل له فى ذلك الميد مائة دينار ، فطُفْت فى تلك الليلة ، وأَنْفَقْتُ المال فى أَرْبابه ، ولم يَبْتَى إلا صرة ابن جابار ، فجملتها فى كُنّى ، وسِرْت مَع النَّقيب ، حتى أَتَيْنا منزله بظاهِر القرافَة ، فطرَ ثت الباب فنزل إلينا الشَّيخ ، وعليه أثرُ السَّهر ، فَسَلَّمْت عليه ، فلم يَرُدُ على ، وقال :

« ما حاجَتك ؟ » قلت : « الأستاذ أبو المسك كأفور يَخْصُ الشيخ بالسلام » فقال : « والى بلدنا ؟ » قلت : « نم » . قال : « حَفِظَهَ الله ؛ الله يَسْلَم أنِّى أَدْعو له فى الخَلَوات ، وأدبار الصالوات عا الله سامِعه ومُستجيبه . » قلت : « وقد أنفذَ معى نققة وهى هذه الصَّرَة ، ويسألك قبولَها لتُصْرَف فى مئونة هذا السيد المبارك . » فقال : « نحن رعيّته ، ونُحبِّه فى الله تعالى ، وما نُفْسِد هذه الحبة بطة . » فراجعته القول فتبين لى الصَّجر فى وجهه والقلق ، واستحيت من فراجعته القول فتبين لى الصَّجر فى وجهه والقلق ، واستحيت من الله أن أقطعه عما هو عليه ؛ فتركته وانصرفت . »

قال: « فوجدت الأمير قد تَهَيَّأً للرَّكوب ، وهو يَنْتَظِرُنَى ، فلما رَآنَى قال : « إِيه يا أَبا بكر . » قلت : « أَرْجو الله أَن يَستَجبب فيك كل دَعْوة صالحة دُعِيت لك فى هذه الليلة وفى هذا اليوم الشريف . » فقال : « الحجد لله الذي جَمَلنى لإبصال الرّاحة إلى عباده . ثم أخْبَرْته بامنيناع ابن جابار فقال : « نم هو جدير ، ، لم تَجْر بيننا وبينه مُعاملة قبل هذا اليوم . » ثم قال لى : « عُدْ إليه واركب دابة من دواب النّوبة واطرق بابه ؛ فإذا نزل إليك فإنه سيقول لك : « ألم تكن عندنا ؟ » فلا تَرُدَّ عليه جواباً . ثم سيقول لك : « ألم تكن عندنا ؟ » فلا تَرُدَّ عليه جواباً . ثم الشَّرَان الله القُران الرحيم . طه . ما أَنْوَلنا عليك القُران

لتَشْقى ، إِلاَّ تَذْكَرَة لَمْ يَخْشَى ، تَنْزيلاً مَن خلق الأرض والسلوات المُلَى ، الرَّحن على العَرْش اسْتوى ، له ما فى السلوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثَّرى . » يا بن جابار ! الأستاذ كأفور يقول لك : ومن كأفور العبد الأسود ؟ ومن هو مولاه ؟ ومن اغلق ؟ ليس لأحد مع الله مُلك ولا شَرِكة . تلاشى الناس كلهم ههنا . أتدرى من هو معطيك ؟ وعلى من رَدَدْت ؟ أنت ما تنفرق أنت ما سألت وإنما هو أرسل لك . يا بن جابار ؟ أنت ما تنفرق بين السّبب والمسبّب . »

قال أبو بكر: ﴿ فَرَكِبَتُ وَسِرْتُ فَطَرَقْتُ مَنْزَلَهُ فَنُولَ إِلَى ۚ ، فقال لَى مثل لفظ كَافُور ، فأَضْرَبْتُ عن الجواب وقرأت طه . ثم ُقلت ما قال لى كَافُور . فبكى ، وقال لى : ﴿ أَيْنَ مَا حَمَلْت ؟ » فأخْرجْت الشَّرة ، فأخَذَها ، وقال : ﴿ عَلَمْنَا الأستاذ كيف التَّصُونُ . » قلت لل فَنُر الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى ذلك ، فَشُر وسَجَدَ شُكرًا لله تمالى وقال : الحمد لله على ذلك . »

ه ــ ملجأ الحرّبة للمرحوم حافظ إبراهـــــيم بك



قدَّر الله لنا أن تُنْشَرا وأبي سُـــبِحانَه أن تُقْبَرا لا تخف جوعًا ولا عُرْيًا ولا تَبْكِ عَيْنَاكُ إِذَا خَطْتٌ عَرَا حیث تأوی خاطرٌ لَن يُكْسَرا يين أثرابك عيشما أنْضَرا

أيها الطُّفلُ لك البُشرَى فَقَدُّ قَدَّر الله حَياةً خُرَّةً لك عِنْد البِرِّ في مَلْجَيْدِ حیث ُ تَلْقِ فیه حَدْبًا وتری

تاب عن آثامِه واستغفرا لا تُسِئُّ ظنًّا بمُثْرينا فقــد كان بالأمس ، وأقصى تمنه إن أتى عارِفَةً أن يَظْهُوا فَهَدُا اليَّوْمَ يُوَاسِى شَعْبَهُ وَهُو لا يَرْغَبُ فَى أَن يُشْكُوا فَهَدُا اليَّوْمِ بَهُ عَنْهُ مَمَّت ومقدارُ جَرى جَمَتْنا فَى صَدِيدٍ واحِدٍ وأرادتنا على أَن تُقْهُدُول فَعَاهَدُنا على أَن تُقَهْدُول وَتُوامَيْنا على مَنْ نَقُطْهُول وَتُوامَيْنا فِي المُذَى برُكُوبِ الخُرْمِ حَتَى نَظْفُوا وَتُوامَيْنا فِي المُنْدَوْنا قُوَّةً لا تُزْدَرى

كان قبل اليوم مُنْفَكَ المُرا ذادَ عن أجفانه سَرْحَ الكرى أن يَشيدوا تَجْدها فوق الدُّرا آنَ أَنْ يَمْمَلَ كُلُّ ما يَرى أو وقابت لِرُرَّاع القُرى وهو ذو مَقْددِرَة أو قصرا جنْتُ للأَيْدِي له مُسْتَمْطِرا

أنَّ كلَّ الصَّيد في جَوْفِ الفَرَا

أَنْشَرَتْ في مِصر شعباً صالحاً كم يُحِبِ هائم في حُبْها وشباب وكُهولي أقسموا با رجال الجِلد هذا وَقْتُهُ ملْجاً أو مَصْرِفا أو مَمْنَما أبا لا أعْذِرُ منكم من وَنَى فابدءوا بالملجاً الحر الذي واكْفُلوا الأيْنام فيه واعلموا

أيها المُثْرى ألا تَكْفُلُ مَنْ بات تَحْروماً يِنيَّا مُشيرا ؟

أنت ما يُدْرِيك لو أنْبَتْه رَجْمَا أَطَلَمْتَ بَدْرًا نَيِّراً رُجَا أَطْلَمْتَ بَدْرًا نَيِّراً رُجَا أَطْلَمْتَ (سَمْداً) آخَرًا بُحْكِمُ القَوْلَ، ويَرْقَ المُنْبَرا رَجَا أَطْلَمْتَ منه (عبده) مَنْ حَمَى الدين وزَان (الأزْهرا) رَجَا أَطْلَمْتَ منه شـاعرًا مثل (شوق) نابِهَا بين الْوَرَى رَجَا أَطْلَمْتَ منه فارِسًا يَدْخُل النِيلَ عَلَى أَسْدِ الشَّرى رَجَا أَطْلَمْتَ منه فارِسًا يَدْخُل النِيلَ عَلَى أَسْدِ الشَّرى

كُمْ طَوى البُوْسُ نفوساً لَوْ رَعَتْ مَنْيِتاً خِصْباً لَكَانَتْ جَوْهُ وَاللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَ اللَّهُ عَل مَوْهِبَة فتوارت تحت أَطْبَـاقِ النَّرى كُلُ مَن أَخْيا يتيماً ضائِماً حَسْبُهُ مِن رَّبِهِ أَنْ يُؤْجَرا لِأَخْرَاهُ بِدُنْيَاهُ اشْتَرَى إِنَّحْراهُ بِدُنْيَاهُ اشْتَرَى

٣ ــ الأغاني وأثرُها في الأخلاق

لكل أمة أناشيد يَتَدَاوَلها أبناؤها في مجتمعاتهم وحَفَلاتهم ، ويُوقّعها الموسيقيون على الأوتار ، فيَهُزُّ ون القلوب الجامدة ، ويُحَرُّ كون النفوس الخامدة ، فترى الوجوه مُسْنَبَشرة ، والعيون قريرة ، والصدور منشرحة . ولا رَيْب أن للأغاني في تلحينها وللأوتار في نطريبها أثرًا في تكوين الأخلاق ، وتربيسة النفوس ؛ فعي التي تُعيلُ الجبان شجاعً ، واللّحِزَ الشّحيح كريمً ، وتُنفّس عن المحزون كَرْبه وتُسَهّلُ على اللهاب خَطْبة . وهي غذاء الروح ، وحياة القلب . ولقد تراك المصاب خَطْبة . وهي غذاء الروح ، وحياة القلب . ولقد تراك وقد أخذت تلك الأصوات من سمك ونفسك ، وسرت في نفسك مسرى الماء في المود — قد تحركت طرباً ، واهتززت سروراً ، مسرى الماء في المود — قد تحركت طرباً ، واهتززت سروراً ،

ولقد فطِنت الأم الراقية إلى ما للغناء من أثر فى النفس ، ووَقْعِ فى القلب ، فأحلّته من عنايتها أشرف محل ، واتّخذته وسيلة لتَهذبب النفوس ، وإحياء القلوب ، والدعوة إلى الفضيلة ، وتقديس الأوطان . وتخيّرت كل أمة نشيداً 'يَذَكّرها بسالِف مجدِها ، وحاضر عظمتها ، ثجمله فاتحة حفلاتها وخاتمها ، وتترَخّم به فى أعيادها ومواسمها ، وفى منازلها وأنديتها . ولها مع ذلك أغان صالحة عفيفة تُردّدها ألسنة العامة ، ولا تناباها الخاصة . قدصيفت فى أبدع نظم ، وأرق أساوب ، تصف

العواطف الشريفة ، والشَّيَم الحميدة ، وبهيج الأزهار ، وغَرَدَ الأطيار، وعجارى الماء ، وصفاء السماء ، ورقة الهواء فجمعت إلى جَزَالَة أسلوبها ، وسَلَس تركيبها — أدَقّ المعانى ، وأسمى الأفكار .

أما نحن فى مصر - مهد المدنية ، وأم الحضارة ، ومَشْرِق العِرفان - فقد اتخدنا أغانينا من ألفاظ سقيمة ، ومعان تافِهة ، وأفكار لا نجول بخاطر حُرَّ ، ولا تليق بقلب شريف ؛ قد شُحِنَتْ بالهزل والمُنجون إلا قليلاً ، فأوْدَت بالفضيلة ، وأكثرت أرقًاء الرَّذيلة ؛ فترى الشّبان والشابات يردِّدونها ، فتسرى صمومها فى عُروقهم ، وتَدِبُ عقاربها إلى تفوسهم ، فتجرح منا موطن الفضيلة ، ومستَقَرَّ الشرف والطهر، وتذبل زهرتها ، وتذهب نضرتها .

نَم عظمُ الْخُطْب، فإذا لَم تُقلع عن هذه الأغانى السَّيئة، ونُصْلح أخلاقنا ، وتتخذ من أغانينا مُهِذَباً صالحاً ، ومُرْشداً ناصاً — أَضَمْنا البقية الباقية من موروث تَجْدِنا ، وسالِف عِزنا ؛ فإن الله لا يُمَيِّر ما بقوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم ، والأمة إذا لم ترفع تَجْدها على تُمُدِ الفضيلة انْهار بناؤها ، وضاعَ شرفها .

ولمَلَ فى عناية فريق من أدباء هذه الأمَّة بوضع أناشيد أدبية ، وأغان عفيفة مهذبة — بشيراً بصلاح مُقبل ، وخيرٍ مأمول ، وما ذلك على ذوى العزيمة الصادقة بعزيز .

٧ ــ مصطنى لطنى المنفلوطي

كان مَوْلِدُ المنفلوطي في بيت كريم بالدين ، جليلِ بالفِقْه ، توارَثَ أَهُلُهُ الشَّرِيمة ، ونقابة الصُّوفيّة ما ثتى سنة ، ولكنه كان خلفة لنَبْعَتَيْن مختلفتين .



فأبوه عربى صريحُ النَّسبِ إلى عِرْقَ الحَسيِ إلى عِرْقَ الحَسين ، وأمه تُرْكِيَّة شابِكة القرابة إلى أُسرة « الجوربه جِي . »

وَنَهج المنفلوطي سبيل آبائه في التُقافَة ؛ فَفِظ القرآن في المكتب، وتَلَقَّى العِلْم في الأزهر ؛ إلا أن للأدباء من أبناء الفُقهاء نَبْوَةً في بعض الحالات

عن إرادة الوراثة والنَّشَأَة ، فهم يَصْدِفون - فى مُنْتَصَف الطريق -عن دُروس الفِقْه والأُصول والعقَائد.

فكان السيد مصطنى المنفلوطى على الكُرْه من وَرَع قلبه ، ورِعاية أبيه ، لا يُلقى باله كثيرًا لِغَيْر علوم اللِّسان ، وفُنون الأدب ؛ فهو يَحْفَظُ الأشْمار ، ويَتَصَيَّدُ الشَّوَارِد ، ويَصوغ القَريض ، ويُنْشِئ الرَسائل ، وتسير له شهرة بين الأزهريين بذكاء القريمة ، وَرَوْعة الأَسلوب ، فَيُقرَّبه الأستاذ الإمام ، ويَرْشُم له الطَّريقة النُّل إلى الإمام النهاية من الأدب والحياة ، ثم يَسْتَقيد المنفلوطي من قُرْبه إلى الإمام صلته بسمد باشا ، ومن زُلفاه لدى هذين العظيمين تفَوْقه لدى (المؤيد) . فالإمام المجتهد محمد عبده ، والسياسي الخطيب سعد باشا ، والمستعني الكانب على يوسف - كأنوا أقوى المناصر في تَنكوين المنفلوطي الأديب - بعد استيمداد فطرته ، وإرشاد والده . وأولئك النفلوطي الأديب - بعد استيمداد فطرته ، وإرشاد والده . وأولئك النفلوطي الأديب - في ما يينهم من التقاوت في نواحي النبوغ - أفهم رجال المصر الحديث لحقيقة الأدب ، وأشدًا عكم حَدَبًا على بُونْس أهله .

كَانَ المنفاوطي يُشتَدِ في نَسْل شهادة الأزهر على جاء الإمام. والإمام المفتى – مُفسِّر وَحْي الله ، وشارح فَنَّ عبد القاهر ، ومُعيد الأدب إلى الأزهر – كَانَ يَقِيسُ كَفايَة الطالب عِثقياس سيبويه لا عِقياس أبي حنيفة . فلما قبَضَه الله إلى رحمته جَزِعَ المنفلوطي فيه على سَنَده وأمّله ، وارْتَدَّ مقطوع الرّجاء إلى بلده ، ثم أنْسُس الله عائراً أمّله بعد فَثْرة من الزمن ، فهَبَّ يَبْتَغِي في المؤيد الوسيلة إلى النّباهة والنّجح ، وأوى من الوزير سعد باشا – على النّبوغ – إلى رُكن منيع ، والتي له منصب التحرير ، فضين له به رَغَدَ العيش ، ووفرة الإنتاج ، حتى اختار الله له ما عنده .

كَانَ المنفاوطي أديبًا مَوْهُوبًا ، حَظُّ الطُّبْعِ فِي أَدِبِهِ أَكْثَرَ مِنْ حَظَّ الصَّنعة ؛ لأن الصَّنْمة لا تَخْلُق أدبًا مُبتَكرًا ، ولا أدبيًا تُمْثَازًا ، ولا طريقة مُسْتَقِلَّة . والنَّثر الفني كَانَ على عهده لونًا حائلًا من أدَّب القاضى الفاصل ، أو أثرًا ماثِلًا لفنَّ ابن خلدون ؛ يتمثل الأول قَويًّا في طبقة المُويلْعي وحِفْني ناصف ، ويَظْهر الآخر ضعيفًا فى طَبَقَة قاسم أمين ، ولطنى السيد . ولا يستطيع نافِدٌ أن يقول : « إِن أُسلوبه كَان مَضْروبًا على أحد القالبين » ، إنما كَان أُسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره ؛ بديماً أَنْشَأُه الطُّبع القَوِى على غير مثال ، والفرق أن بلاغَة (النَّظرات) مرجِمها إلى الفِرنْجة ، و بلاغة مقدمة ابن خلدون مرجمها إلى المُبْقَرَيَّة .

اعلم أن المنفاوطى تأثر فى القديم بابن المقفع وابن العميد ، وفى الحديث بجبران ونسيمة ، وَلَكُن هــذا التَّأْثُر دخل فى فنه دخول الالهام والإيجاء ، لا دخول التَّقليد والاحْتِذاء .

فله من الأوَّلَيْنِ إشراق الدِّيباجَة ، وقُوَّة النَّسْج ، وله من الآخرَينِ جِدَّة الموضوع وطَرَافَةُ الفِـكْرَة ، ولمكنك لا تَتَذَكَّرُ وأنت تَقُر وُه أحدًا من أولئك جيماً . عالج المنفاوطى الأقصوصة أول الناس ، وَبَلغ في إجادتها شأوًا لا يُنْتَظَر من نشأة كنَشْأَته ، في جبل كجيله . وأَذْ كُرُ أَنناكنَا نقرأً (غرفة الإخوان) و (اليتيم) وأمثالها ، فنطرَب لِلْقِصَّة على سَذاجَتها أكثر مما نَطْرب للأساوب على رَوْعَتِه .

وسر النَّيوع فى أدب المنفلوطى ظهوره على قَثْرة من الأدب اللَّباب، ومفاجأته الناس بهذا القَصص الرَّائِع الذى يَعيفُ الأَلم ، ويمثل الميوب فى أسلوب طَلِيِّ، وسِيَاق مُطرَّد، ولَفَظْ يُخْتار.



أفضلُ ما سمِمتُ في باب المروية والإحسان : أنَّ امرأة بائسة وقفت ليلة عيد من الأحياد بحانوت تماثيل في باريس ، يطرُقه الناس في تلك الليلة لايتياع اللّعب لأطفالهم الصّفار ، فوقع نظرها على تمنال صغير من المكرُس هو آية الآيات في حُسنه وَجَاله ، فابتهجَت بمرآهُ ابتهاجًا عظياً ، لا لِأَنّها غَريرةٌ بَلهاه يستفزُها من تلك المناظر الصّبيانيَّة ما يستفزُ الأطفال الصّفارَ ؛ بل لأنّها كانت تنظرُ إليه بمين ولدها الصّفير ، الذي تركته في مغزلها ينتظر عودتها إليه بمين ولدها الصّفير ، الذي تركته في مغزلها ينتظر عودتها إليه بلُمبة العيدكما وعدته .

فأخذت تُساومُ صاحب الحانوت فيه ساعة ، والرَّجل يغالى به مفالاة شديدة ، حتى علمت أنَّ يدها لا تستطيع الوصول إلى ثمنه ، وأنَّها لا تستطيع الوصول إلى ثمنه ، وأنَّها لا تستطيع التودّة بدونه ، فساقتُها الضرورة – التي لا يَقْدِرُها قَدْرها إلا من حمل بين جَنْبَيه قلباً كفلب الأمّ ، وفؤاداً مُستطاراً كفؤادِها – إلى أن تمُدَّ يدها خفيةً إلى التَّمنال فتسرِقه من حيث تَظُن أن الرجل لا يراها ، ولا يشعر بَكانها . ثم رحِمَت أدراجَها وقلبُها يخفَق في الرجل لا يراها ، ولا يشعر بَكانها . ثم رحِمَت أدراجَها وقلبُها يخفَق في آن واحد خفقتَين مختلفتين ؛ خَفقة الجزع من عاقبة فعلتها ، وخفقة

⁽١) السيد مصفعي أطق المفاوطي .

السرور بالهدية الجميلة التي ستُقدُّمها بعــد لَحَظاتِ قليلة إلى ولدها. وكان صاحب الحانوت من البقظّة وحِدَّة النظر بحيث لا تفوتُه معرفة ما بدور حولَ حانوتِهِ ، فما برحَت مكانها حتى تَبِمها يترسَّم مواقع أقدامها ، حتى عرف منزلهـا ، ثم تركها وشأنَّها ، وذهب إلى عَنفَر الشُّرْطة ، فجاء منه بجُنديين للقَبَض عليها . وصمدوا جيماً إلى الغرفة التي تسكُّنُها ، ففاجأها وهي جالسة بين يَدَى ولدها ، تنظر إلى فرَحه وابتهاجه بتمثاله نظراتِ النبطة والسرور ، فهجم الجنــديَّان على الأم فاعتَقَلاها ، وهجم الرجل على الولد فانتزعَ التمثالَ من يده ، فصرَخ الولد صرخةً عظيمة ، لا على التَّمثال الذي انتُز عَ منه ، بل على أمَّه المُرتَمدة بين يديه ، وكانت أوَّل كُلَّة نطَق بها وهو جاثِ بين يَدَي الرجل: ﴿ رُحُمَاكَ بِّلْمِي مِا مُولَايِ ! ﴾ وظل يبكي بكاة شديداً ، فجمَد الرجل أمام هذا المنظر المؤثَّر ، وأطْرَق إطْراقًا طويلًا ، وإنه لكذلك إذ دقت أجراس الكنائس مُؤذِّنَةً بإشراق السيـــد ، فانتَفض انتِفاضةً شديدةً ، وصعُب عليه أن يترك هذه الأسرةَ الصّغيرة المِسكينة حَزينة منكوبة في اليوم الذي يفرح فيه النَّاس جَمِيمًا ، فالتفت إلى الجنديِّين وقال لهما: ﴿ أَظُنْ أَنِّي أَحْطَأْتِ فِي اتَّهَامِ هَذَهُ الْمَرَّأَةُ ؛ فَإِنِّي لَا أَسِم هذا النَّوعَ من التَّماثيل ، فالصَّرفا لشأنهما ، والتفت هر إلى الولد ، فاستَنْفَرَه ذَنبه إليه وإلى أمه ، ثم مشى إلى الأم ، فاعتذر إليها عن خُشونته وشِدَّته ، فشكرت له فضلَه ومروءته ، وجَبينُها يرفَضُّ عرَقاً ؛ حياء من فَعلَتها ، ولم يُغارِقهما حتى أشدى إليهما من النَّم ما جعل عيدهما أسمدَ وأهْناً بماكانا يظُنّان .

لا تأتى ليلة العيد حتى يطلُع فى سمائها تجمان مختلفان: نجم سُمود ونجم نُحُوس؛ أما الأوّل فللسُمداء الذين أعدّوا لأنفسهم صنوف الأردية والمُلل، ولأولاده اللّمبَ والتّماثيل، ولأصيافهم ألوان المطاعم والمشارب، ثم ناموا ليلتهم نوماً هادئاً مطمئناً تتطاير فيه الأحلام الجيلة حول أميراتهم؛ تطاير الحائم البيضاء حول المروج الخضراء، وأما الآخر فاللَّشقياء الذين يبيتون ليلتهم على مثل جَمْر الفَضى؛ يَئِنُون في فِراشهم أنيناً يتصدَّعُ له القلبُ، و يذوب له الصَّخر؛ حُزناً على أولادهم الواقعين بين أيديهم، يسألونهم بألسنتهم وبأعينهم: ما أعدّوا لهم فى هذا اليوم — من ثِيابِ يُفاخرون بها أنداده، ولُمَب جيلة يزيّنون بها مناضِدَه، ولُمَب جيلة يزيّنون بها مناضِدَه، فيُملًونهم بُوعود يَملون أنّهم لا يستطيعون الوفاء بها.

فهل لأولئك الشُمداء أن يَمُدّوا إلى هؤلاء الأشقياء يدَ البرّ والمعروف ، ويُفيضوا عليهم فى ذلك اليوم السّميد النَّزْرَ القليلَ ممّا أعطام الله ، ليُسَجَّاوا لأنفسهم فى باب المروءة والإحسان ، ما سُجَّل لصاحب حانوت التّماثيل ؟ إِن رِجَادٌ 'يُؤْمِنَ باللهِ ورسلهِ وَآيَاتهِ وكتبه ، ويَحَمَل بين جنبيه قلبًا يَحْفُقُ بِالرِّحَة والحنان -- لا يستطيع أن يَملِك عينه من البكاء، ولا قلبَه من الَخْفَقَانَ ، عندما يرى في يوم السيد - في طريقه إلى معبَده ، أو مُنْصَرفهِ من زياراته - طِفلةً مِسكينة باليَّة الثوب ، كاسِفَّة البال داممة العين ، تُحاول أن تتوارَى وراء الأسوار والجدران ؛ خَجَلًا من أترابها وصواحبها أَنْ تَقَعَ أَنظَارُهِنَ عَلَى بُؤْسِهَا وَفَقَرِهَا ، وَرَنَّاتُهُ ثُوبِهَا ، وَفَرَاغَ يَدْهَا مَن مِثلِ ما تَعَلُّى به أيديهنَّ ، فلا يجد بُدًّا من أن يدفَع عن نفسه ذلك الألم بالحنُوُّ عليها وعلى بؤسها ومَثْرَبْها ؛ لأنه يسلمُ أنَّ جميع ما اجتمع له من صُنوف السَّمادة وألوانها ، لا يوازى ذَرَّة واحِدة من السمادة التي يشعرُ بها في أحماق قلبه ، عند ما يمسحُ يبده تلك الدَّمعة المترَّقرِقةَ في عَيْنَيْها .

حسبُ البُوَساء من عِمَن الدهر وأرزائه : أنهّم يقضُون جميعَ أيّام حياتهم في سِجن مُظلم من بؤسِهم وشَقائهم . فلا أقلَّ من أن يتشّعوا برؤية أشِمَّة السمادة في كل عام مرّة أو مرّتين .

٩ ــ شرعمة الصدوء أكبر شرعة فى العالم

كان التُدَماء يَمْتقدون أَنَّ سُرْعة الضَّوْء غير نهائيَّة ؛ أي أنَّ السَّماعة الضُّو ثية لا تَسْتَغُرِق زَمَنًا ما فى قَطْم أَيَّةِ مَسافة . وأوَّل مَنْ كَشَف أَنْ لَلضَّوْء شُرْعة تَحْدُودَة هو العالِمُ الفَلكِئُ الدَّائِمَوْكُنُّ ﴿ رُوسَ ﴾(١) سنةَ ست وسَبْمين وستَّمانهٔ وأُلْف ميلادية ، وقدَّرَها غيرُه من العُلَماء بِطُرُ قِي مُخْتِلِفة . وقد اتفقوا على أن سُرْعة الضّوء تقدر بستة وثمانين ومامة أَلْف من الأميال في الثانية ، أوْ ثلثمائه ألف كيلومتر في الثانية ، وهي أَكْبَر سُرعة مَعْروفة في العالمَ . ولِكُنَّي يَتَصُوَّر الإنسان عِظْمَ هذه الشُّرْعة نُوَجَّة نَظَره إلى القِطار السَّريع الذي يَقْطَعُ في السَّاعة سِتَّين ميلا ، أي بسرعة ميل واحدٍ في الدَّنيقة ، أو جُزْء من سِتِّينَ من الميل في الثَّانية . والضُّوء لا يَقْطُع كَشرًا من الميل في الثَّانية ؛ بل إنه يَقْطَع ١٨٦٠٠٠ ميل في الثّانية ، وهي تُسرْعَةٌ عظيمةٌ بلا شَك . وهناك حَقيقةٌ أُخْرى تُبيِّن عِظَمَ هذه السرعة ؛ وهي أن المسافة بين الشَّمس والأرض ثلاثةُ وتشمون مليون ميل تقريبًا (٩٢,٨٧٠,٠٠٠ ميل) .

Alaf Roemer (1)

وأشِمَّةُ الشَّس نَصِلُ إلى الأرض بسرْعَة الضَّوْء العظيمة ؛ فتقطع المسافة يَنْهما في ثمان دَقائق وتِسِمْ عشْرَة ثَانِيَة ، في حين أنّ هذه المسافة لو حاوَلَ أن يَقْطَمَها القطار السريع الذي شُرْعته ستون ميلا في الساعة لاسْتَفْرَق في قَطْمِها خمسة وسبْعين ومائة عام — إذا اسْتَمرَّ على شُرْعته هذه ليلَ نَهارَ بِدون تَوَقَّفٍ . فما أَعْظَمَ سرْعة الضَّوْء وما أَبْلَغ قُدْرة الله وأعْظَم حِكْمته ! .

ومن أغرب المصادفات أنّ مو جات اللاسلكي تكتشر بسرعة الضوء نفسها ، أي أنّها تقطع ١٨٦ ألف ميل في الثانية ، أو تلهائة ألف كالومتر في الثانية ، أو بسارة أخرى تقطع المسافة كين أسوان والإسكندرية وهي خُسة وسبعون وسمّائة ميل في جُزْه من ستة وسبعين وماثتي جزء من الثانية . وهذه السّرعة العظيمة لم وجات اللاسلكي هي التي تجمل تلك الموجات الصادرة من أية عَطّة من عَطَات الإذاعة في العالم ، تدور حول الأرض من خَطّ الاستواء سَبْع مرّات في النانية الواحِدة ؛ أي تدور حول المالم كلّه في سُبْع ثانية . فالإذاعة من إنج لم ترا أومن أي بَلد ناء تَصِلنا في أفل من هذه الفَتْرة الوَجيزة التي لا تَكادُ تساوى لَمْح البصر .

والإِذَاعة في إِنْجِلترا مثلا تَصِلنا في أَتَلَّ من سُبْع ثانية ، في حين

أِنه إذا كان خَطيب مُفَوَّه في إنجلترا يَخطب في مَيْدان مُتَّسعٍ ، ويَسْتَمَع له جُهُورٌ كَبيرٌ ، ورئى لأهمية هذا الخطيب إذاعَة خُطبَتُه فى المذيع – فإن الُستَمِعَ له بدُون جهاز فى إنجلترا يَصِله صوت الْخُطيبِ بَمْد ثانية واحِدَة – إذا كان على بُعدِ أربدين وثلثمائة متر، وفى نِصف ثانية إذا كان على 'بعد سَبْعين ومائة مِثْر منه . أما المستَمِع له في مِصرَ بالجهاز فإنَّه يسمَعه في أقلَّ من سُبع ثانية بكثير، أي أن من في مِصرَ يَسْمِعهُ قَبْلَ من في إنجلترا ، وذلك لأنَّ الأخير يُنقل إليه الصُّوْتُ بموْجات اللَّاسِلكي بسرْعتها المظيمة ، والأوُّل – أي الذي يَستَبِع إليه في إنجلترا بدون الجُهاز – مُينْقَلُ إليه الصَّوْت بموجات الصُّوت البطيئة بالنُّسبة لِمتوجات اللَّاسِلكي التي تُفوق سرعتُها سرْعةَ الصُّورْت بْحُو مليون مرة . فالأولى ٣٠٠ مليون متر في الثانية ، والثانية نحو ٣٠٠متر في الثانية (مع تجاوز يسير لِلسُّهُولَةِ المُوازَنة في ألتَّقدير) .

١٠ ــ معاوية وليــلي الاخيلية

قال بعض الرُّواة : « يَيْنَا معاوية عَيد إذ رأى راكبا ، فقال البعض شُرْطَته : « اثننى به ، وإيال أن تُرَوَّعَهُ . » فأتاه فقال : « أجب أمير المؤمنين . » فقال : « إياه أردت . » فلمًا دنا منه الراكب ، حَدَرَ لِثامَه فإذَا ليلى الأُخْيَلِيَّة ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أكد آتيك تهوى برَحْلِي نحو ساحتك الركابُ تَجوبُ الأرضَ نحوك ما تأتَّى إذا ما الأُكْمُ قَنَّمها السرابُ وكنت المرتجى، وبك استفادت لتُنْعِشَها إذا بَخِل السحابُ

قال معاوية : « ما حاجتُكِ ؟ » قالت : « ليس مشلى يطلب إلى مِثْلِكَ حاجةً ، فَتَغَيَّرُ أنت . » فأمر لها بخمسين من الإبلِ ثم قال : « أَخْبريني عن مُضَرَ . » قالت : « فاخِرْ بمُضَرَ ، وحارِب بقيْسٍ ، وكاثِرْ بتَميم ، وناظِرْ بأسَدٍ . »

فقال: « ويحكُ يا ليلي ؟ أَكَمَا يقول الناس كان تَوْبَةُ . » قالت : « يا أميرَ المؤمنين ! ليس كلُّ الناس يقول حقًا ، الناسُ شَجَرَةُ بَنْي ، يَحْسُدُونَ النَّمَ حيث كانت ، وعلى مَنْ كانت . كان – يا أمير المؤمنين – سَبْطَ البَنانِ ، حديدَ اللسانِ ، شَجَى الأقرانِ ،

كريمَ المُخْبَرِ ، عفيف المِثْزَرِ ، جميلَ المنظر ، وكان كما قلت ، ولم • أَبْنُدُ عن الحَق فيهِ .

بعيد المدى لا يبلغُ القَرْمُ شأَوَه اللَّهِ مِلَّدَ يَعْلِبُ الْحَقُّ اطْلُهُ ،

فقال معاوية : « ويحك يا ليــلى 1 يزعم الناس أنَّهُ كان عاهراً فاجرًا . » فقالت من ساعتها تُرْتَجَلةً :

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى ا لقد جُزْتِ بَتَوْبَةَ قَدْرَه . » فقالت : « يا أميرَ المؤمنين! واللهِ لو رَأَيْتَهُ وخَبَرْتَهَ ، لعلمتَ أَنَّى مُقَصِّرَةٌ فى نُعْتِهِ ، لا أبلغ كُنْهَ ما هو له أهل . » فقال معاوية : « فى أَىِّ سِنِّ كَانَ؟ » قالت : « يا أميرَ المؤمنين!

أتتــه المنايا حين تم تَمَامُه وأَقْصر عنه كل قِرْنِ يُناصِلُهُ

وصاركَلَيْثِ الفابِ يَحْمِي عرينه فَتَرْضَى به أَشْبَالُهُ وحلائِلُهُ عطوف حليم حين يُطلَبُ حِلْمُهُ ويُمْ زُعاف لا تصاب مقاتِلُهُ ، فأمر لهما بجائزة وقال : « أى ما قلت فيه أَشْمَرُ ؟ » قالت : « با أميرَ المؤمنين ! ما قلت شيئًا إلاَّ والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أَجَدْتُ حيث أقول :

جزى اللهُ خيرا والجزاءِ بكفهِ فتَّى من عقيل ساد غَيْرَ مُمَكَلَّ فَقَى من عقيل ساد غَيْرَ مُمَكَلَّ فَقَى كَانت الدنيا نهون بأَسْرِها عليه فلم يَنْفَك جَمَّ التَّصَرُّفِ بِسُال عَلِياتِ الأَمورِ بهُونَةٍ إذاهىأُعيَتُ كلَّ خِرْقٍ مُسُوَّفٍ ، ينال عَلِياتِ الأَمورِ بهُونَةٍ إذاهىأُعيَتُ كلَّ خِرْقٍ مُسُوَّفٍ ،



١١ - الريسع

دارَ الفَلَكُ دَوْرَتَهَ ، وعاد سِيرَته ، فسرت فى أعصاب الأرض هزَّة الحياة، وتفجَّرت مُروقها بالمياه ، وسالت قم الجبال جداولَ وأنهاراً ، واشْتَعلتُ الأرض أزهارًا وأشجارًا .

تَبَرَّجَتْ بسل حَياه وخفر تُثنى على الله بآلاء المطلس مرَّجَتْ بسل مَكْنُونها ، وأبانت الحياة عن ضميرها ، فَنَبَتَتْ ممانى الحياة والجال ، فى ألفاظ من الأوراق والنُّوار .

باح الرَّبيع بأسرار البَساتين وعطّر النَّفسَ أَنْفاسَ الرَّياحين وَنَفَخَتَ أَنْفاسُ الرَّبيع الحَرَّة الحياة في كل ذرَّة ، فأُخْرَجَت تُواها أعشابًا وأزهارًا ، فَرَّقَتُها ألوانُ وألَّقَتها معان .

لم يَبْقَ للأَرْض من سرِّ نكاتمه إلا وقد أظهرته بمــــد إخفاء أَبْدَتْ طرائفَ شتَّى من زَوَاهِرِها مُحرا وصُفرا وكلُّ نبتُ غَبْراء أَىُّ مَسْرِح للفكر! وأَى تجال للخيال! وأى مَدى للطَّرف!

دُنيا مماشٌ لِلْوَرى حتى إذا جاء الربيعُ فإنما هي مَنظَرُ

. # #

وفى أُرْجُوَانِيَّ من النُّور أَحْرِ لَمُ يُشابُ بِإِفْرِنْدِ من الرَّوضَ أَخْضَرٍ

إذا ما النّدى وافاه صبّحًا تمايلَت أعالِيه من دُرِّ تَدير وجَوْهر إذا قابكته الشمس رَدِّ ضياءها عليها صِقال الأَفْحُوان المنسور والطير مُغَرَّدات كأن أصواتها ذَوْبُ هذه الألوان، وكأن ألوان الروض جَد هذه الألحان. يَهْتَزُ الطائر الفِرِّيدُ على النّصن الأُمْلود، فيقرأ ما تحته من صفحات الجال، كأنما الطير إبر الحاكيات تنظيق عا تضمّنت الصفحات من نفات، والمُصفور مَرِحُ تَتَدَاوَله الأغصان، وتَتَهادَاه الأفضان، تارة في انْتزاء بين الأرض والسّماء، وتارة تُنَيّبُه الحديقة، كأنّه في هذا الجال فكرة دقيقة. صغيرُ تَمْلاً المُواء نَفَاته، وصَائبُلُ تَشْفل الجو خَفَقاته.

والفَراش قَلِقُ بين السَّوَار ، هائم بين الأَزْهار لا يَقَر له قَرار ؛ كأَنْ كُل فَراشة زَهرة طائِرة ، أو قُبلة بين الأَزْهار حائِرة ، أو نَشَمة فى جال الروض سائرة .

والشعراه يُنافسون الطير في الأيْك طَرَبًا وَنَمْرِيدًا، وفي المَرْج تَسْبيحًا وتحميدًا، وتَنْبَجِسُ في جَوانحهم ينابيع البيان، وتَتَفَتَّحُ سَرائرهم عن أزْهار الشَّعر، فني كل قلب ربيع، ومن كل قصيدة رَوْض، وفي كل معنى وَرْدة، وعلى كل قافية نَفَمة.

هَكَذَا تَفْيضُ الحياة على الجَمَاد والنَّبَات والحيوان، ويَنْتَظِمُ الجَالُ

الخليقةَ والإنسان ، كأنما العالم كلُّه فكرةٌ واحدة أو قصيدة خالِدة .

ذلكم الرَّيع الذي قَتَنَ النـاس، فافْتَنُوا في وَصْفه، والإبانة عن عَاسنه، والإسادة بذكره، والاحْتِفال بَقْـدَمه، واتحَدَّتُه الأم — على اختلاف المذاهب — عيداً، وتَجَّدَّتُه بَشَتَّى الوسائل تَمْجيداً، وأُجدَّتُه بَشَتَّى الوسائل تَمْجيداً، وأُولع به الشَّمراء في كل قبيل، ولم يَخْل من المفتونين به حِيل.

والناس فى مصر فى ربيع دائم ، من أرضهم ، وسمائهم ، وزرعهم ، ونيلم ، فهم لا يُحسّون مَقْدم الربيع إلا قليلا . ولو أنهم عرفوا كَلّب الشّناء وانجهاد الهواء ، وقُشَعْر برَة الأرض وقسّوة السّماء ، ورأَوْا كيف تموت الطبيمة فى زمن ، وتَلْتَفْ من الثلج فى كَفَن ، وقد غاب فى الثّلج الربيع وحسنه ، كما اكْنَ فى البيض فراخُ الطواويس ، ثم تشهدوا كيف يأتى الربيع فيُسكهر ب كل ذرّة ، ويُفيض كل عين ثرة ، ويخلق كل جنّة نَضِرة – لاختَفَوْا بالربيع احْتِفاء غيرهم ، وعَرفوا فيه النّشور بعد الموت .

على أن للربيع فى مصر سِماتٍ يُسرّ لها الإنسان ، وشياتٍ أبصرها الشّعراء فى كل زمان .

جاء الربيع فَليْت فى كل قلبٍ مِن صَفائه قَطْرة ، وفى كل نَفْسٍ من جَاله زَهْرة ، وفى كل نَفْسٍ من جَاله زَهْرة ، وفى كل خُلق من عَبيره نَفْحة ؛ لِتَعْشُرُ النّفوس بمعانى الحياة ،

وتَسْتَنبِر بأَشِمَّة الجال ! ويسْكُن الناس إلى السَّمادة حيناً ، ويَنْسُوا أساليب العَداوَة والبَمْضاء زَمَناً وليت الناس جَرَوْا مع الحياة طلقهاً ! ولم يُمْسِدوا على الطبيعة خلقها ؛ فأنبت الربيع في كل قسوة رحمة ! وفي كل يَأْسِ أملا! وفي كل حُزْن سرورًا! وفي كل ظلام نُورًا.

ليتهم اجْتمعوا على ورْدِ الحياة مُتَصَافِين! كَمَا تَرِفُ على جَداوِلُ الربيع الرَّياحين .

ومما قيل في وصف طيور الربيع :

حَيَّتُكُ عِنَا شَمَالٌ طَاف طَائفُهُ بِحِنَّة فَجَرَتُ رَاحًا ورَيْحَانَا مَبَّتُ سُحَيْرًا فِناجِي الغصن صاحَبَهُ سُرًّا بِهَا وَتَداعَى الطيرُ إعلانا

* *

وُرْقٌ تُنَمَّىٰ على خُضْرٍ مُهَدَّلَةٍ تسمو بها وَتَمَنُّ الأَرْضَ أَحِياناً تَحَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانَ مَنْ طَرَبٍ والنصنَ مَن هَزَّهِ عِطْفَيْهِ نَشُواناً

١٢ _ معلق الهمسة

جَديرٌ بالإنسان – وقد سخّر الله له ما في هذا المالم ، ومكّن له في الأرض ، وجعله سيد غلوفاته ، وفَطَره على أفضل صورة وأحسن تقويم ، ومنحه عقلا مُرشدًا ، ونفسًا تواقة – أن يَفسَح لنفسه مجال الأمل ، ويُوسَعَ سبيلَ الممل ، وأن يعلق بهتّنه إلى حيثُ يُراجِح النّجوم ، ويُطاولُ النيوم ؛ فإن الهمّة أبمدُ منها مُرتق ، وأرض أفتًا .

أَجَل ! حقيقٌ به أن بطلُبَ المجد ، وأن يجرى مع همته إلى أبعد مدّى ، وأَسْمَى غايةٍ ، وألا تَثنِيَه عقبَةٌ تعترِضه ، أو مشقّةٌ تلحقُه عن دَرْك أمنيئته ونيل بُنْيتِه .

ومَن تَكُنَ العليَّاءِ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الذَى يَلقَاهُ فَيْهَا مُحبَّبُ إِنَّ العظيم لا تزيده المُشقَّاتُ إِلا مُضِيِّا في سبيله ، وإقداماً في طريقه ، يَخطأها بعزيمةٍ صادقةٍ ، وهِمَّة فاثِقةٍ ، لا يَركَنُ إِلَى الراحة ، ولا يأنَسُ بالدَّعة .

ذلك طريقُ المجد ، ومجالُ العظمة لمنن شاء أن يكون عظيماً .

قال عمرُ بن الخطَّاب رضِيَ الله عنه : ﴿ لَا تَصْغُرُنَ هَمُّتُكَ ؟ فإنى لم أَرَ أَمْدَ بالرَّجل من شُقوط هِمَّته . ﴾ وقال الشَّاعر : حاول جَسياتِ الأُمور ولا تَقُل إن المحامِد والمُسلا أرزاقُ وارغَب بنفسك أن تكون مقصرًا عن غايةٍ فيها الطَّلابُ سِباقُ

ويقول المتنبي :

ولم أرّ في عُيوب الناس شيئاً كنقصِ القادرين على النّامِ فن أراد أن ينال مراتيب الكمال ويبلُغ ما بلغه أولئك العظاء، ذوو النّفوس العالية من العلماء الأجلّاء ، والصّناع الحاذِقين ، وذوى الثراء الوافر والأقدار السّامية - فليّدفع بنفسه إلى مواطن الجدّ ، ومسالك العمل ، وليصبر على ما يَستْه من عناء ، أو يَنالُه من نَصَب ، فا أدرك نعيم إلا بيوسي ، ولا نِيل عظيم إلا بجسيم ، والمكارم موصولة بالمكارم .

والمحارم موصوبه بالمحارد . فقيل المرابع المحالا فقُل المرابع ممالى الأمور بنير اجتهاد رجوت المحالا قال يزيد بن المرابع أمر الذنيا ؛ قال يزيد بن المرابع المرا

المجد ، واقتَصَوا الأخطارَ ، وجابوا الأقطار ، ورافَق حظُهم جِدَّم ، وأَضاءت لهم هِمهُم مناهِجَهم ، فبلَغوا الناية ، وأُدرَكوا المُننَى . فمن التنقى أثرَم أُوشَك أن يَلحقَهم ، وكلُّ مَنْ سارعلى الدَّرب وصَلَ .

أُخلِق بذى الصَّبرِ أَن يحظَى بحاجَتهِ وَمُدمنِ القَرْعِ للأَبوابِ أَن يَلِجا

وَأَما.من خاف المتاعبَ وَتَهَيَّبُهَا ، وَزَيْنَتِ له نفسُه الرَّضَا بما هو فيه ، فليس خليقاً بالمجدِ ، وَلا جَديراً بالشَّرف ، يميش خاملَ الذَّكرِ ، مانط المنزلة .

إذا لم يَكُن لِلفَتى حَمَةُ تَبَكِّرُتُه فى العلا مَقعدًا ونفسُ يُمَوِّدُها المُسكرُماتِ والمره يازم ما عُوِّدا ولم تَمَـّدُ حمتُه نفسَـه فليس ينال بها السؤدُدَا

١٣ -- من وَفَاء العرّب

العرب تضرب المثل فى الوفاء بالسَّمَوْءل بنِ عادِيا الأَزْدِى ، وكان من خبره أن امراً القَيْس بن حجر أُوْدَعه مائة دِرْع ، فأتاه الحارثُ بن ظالم وقيل الحارث بن أبى شمر النسّانى – ليأخذها منه ، فتحصن منه السموءل ، فأخذ ابنا له عُلاماً ، وناداه : « إما أن أَسْلَمْتَ إلى الأَدْرِع ، وإما أن تَتلتُ ابنك . » فأبى أن يُسلِّها ، فقتل ابنه بالسيف ، فنى ذلك يقول : وَنَيْتُ بُاذْرُع الْكِنْدِى إِذَا ما القوم قد غَدَروا وَفِيت وَأَوْسى عادِيًا يوماً بأَنْ لا تُهَهدهم يا سمو ال ما بنيت وأوسى عادِيًا يوماً بأَنْ لا تُهَهدهم يا سمو الله ما بنيت

وفيه يقول الأعشى :

كَن كَالسَّمَوْ ، لَ إِذْ طَافَ الْجَامِ ، فَ جَمَّفُلِ كَسُوادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ اللَّيْلِ جَرَّارِ اللَّيْلَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْ عَدَارِ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْ عَدَالِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ عَدَالُ اللهِ عَلَيْ عَدَالُ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَدَالُ اللهِ عَلَيْ عَدَالُ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ الله

ومن وفاء العرب ما فعله هانئ بن مسمود الشَّيْباني، وكان من خبره أنَّ النمان بن المنذر لمـا خاف كِسْرَى ، وعلم أنه لا منجى له منه ولا مَلجأ ، رأى أن يضع يده في يده ، فأودع أهلهُ وماله عند هَاني ، ثم أتى كسرى فقتله ، وأرسل إلى هاني يُطالِبُه ودِيمة النَّمان ، وقال له: ﴿ إِنْ النُّمَانَ كَانَ عَامِلِي ، فَابْسَتْ إِنَّى بُودِيسَهِ ، وإلا بَمَّثْت إليك بجنود تقتل المقاتِلة ، وتُسْبِي النريَّة . » فبمث هانئ : « إن الذي بلنك باطل ، وإن يكن الأمركما قيل فإنما أنا أحد رجلين ؛ إما رجل اسْتُودعَ أمانة فهو خليق أن يَرُدُّها على من استودعه إياها ، ولن يسلم الحرأمانته . أو رجل مَكْذوب عليه ، وليس يَنْبغي للملك أن يَأْخُذَه بقول عَدُو ً . ﴾ فبعث كسرى إليه الجنود ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ، وبمث ممه الكتيبة الشهباء ، وبعث ممه الأساورة ، فلما التقوا قام هانئ بن مسمود ، وحرَّض قومه على القتال ، وجرى بين الفريقين حروب كثيرة كان النصر فيها لهانئ .

وكان مِرْداسُ في سجن عبد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السّجان :

« أنا أُحب أن أُوليك حَسَنة . » قال : « فإن أَذِنتُ لك في الانْصِراف إلى دارك أَفْتُدْ لجُ عَلَى ؟ » قال : « نم . » وكان يفعل ذلك به . فلما كان ذات يوم قتل بعض الحوارج صاحب شرطة ابن زياد ، فأمر أن يُقتل من في السّجن من الحوارج ، وكان مِرْداس إذ ذاك خارجاً ، فقال له أهله : « اتّق الله في نفسك فأنت مَقْتُول إِن رَجَمْت . »

فقال: ﴿ مَا كَنْتَ لَأَلَقَى اللّهِ فَادَرًا ، وَهَذَا جَبَّارُ وَلَا آمَنَ أَنْ يَقَتُلُ السَّجَّانَ . ﴿ قَدَ بَلْنَى مَا عَزْمَ عَلَيْهِ صَاحَبُكُ مِنْ قَتْلُ لَهُ مَا عَزْمَ عَلَيْهِ صَاحَبُكُ مِنْ قَتْلُ لَهُ مَنْ مُكْرُوهُ . ﴾ فقال له السَّجانَ : ﴿ نُحُذَ أَيَّ طَرِيقَ شِئْتَ فَانْحُجُ بَنْفَسَكُ . ﴾

وخرج سليان بن عبد الملك وممه يزيد بن المهلب إلى بمض جبابين الشام، وإذا بامرأة جالسة عند تَبْرِ تبكى، فجاء سليان ينظر إليها، فقال لها يزيد، وقد عجب سليان من حُسْنها: « يا أمة الله! هل لك في أمير المؤمنين بَمْلًا؟ » فنظرت إليهما ثم نظرت إلى القبر وقالت: فإنْ تَسْأَلاني عن هَواى فإنَّه يحول بهذا القَبْر يا فَتيان فإنَّى لأَسْتَحْييه وهو يَراني

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت القرافصة ، زوج عثمان ابن عفّان (رضى الله عنه) : أن معاوية خطبها فردته ، وقالت : « ما يُعْجِب الرجالَ منى ؟ » قالوا : « ثناياك . » فكسرت ثناياها ، وبعثت بها إلى معاوية .

وتيسل: لما قوى أمر بنى العباس وظهر، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن محمد لعبد الحميد بن محمد الأمر زائيل عنالة ، وسَيظهر إليك هؤلاء القوم — يعنى ولد العباس — فَصِرْ

إليهم، فإنَّى لأرْجو أن تتمكن منهم فتنقَمنى فى خلنى ، وفى كثير من أمورى . ، فقال : « وكيف لى بعلم الناس جميعاً أن هذا عند رأيك ؟ وكلم يقول : إني غدرت بك ، وصِرْت إلى عدول . ، وأنشد : أُسِرُ وَفَاءِ ثُم أُظْهِرُ غَـــدرة ! فَن لى بِنَدرٍ يوسع الناسَ ظاهره ؟

فلما سمع مروان ذلك ، علم أنه لا يَفْسل ، ثَمْ قال له عبد الحميد : ﴿ إِنَّ الذِي أَمَرْ تَنِي بِهِ لَأَنْفَعِ الأَمْرَ بِنْ لِك ، وأَقْبَحهما بِي ، ولك على الصَّبر إلي أن يَفْتَح الله عليك أو أقتل ممك . ،



١٤ ـــ إبرة المغناطيس

جلستُ إلى مكتبى البارحة ، فوقع بصرى على « يبت الإبرة » ، فانفتحت أماى سبُل من الفكر ، لا تحدُّها غاية ، وإنَّى إذ أحاول أن أُقيَّد هذه الفكر على القِرطاس ، لمحاول أن أُسلِسل بهذه الأحرف خَطَرات الفكر الخاطفة ، التي تَطوى الأجيال والأقطار في لمتحات ، وتجمع السماء والأرض في طَرْفة عينٍ .

قلت : « ما أعجَبَ هذه الإبرة ؛ إنّها هادية لا تَضِل ، عارفة لا تُخطئ ، تنتَحى الشّمال مهما أدرتها عنه ، ولا تنسى عهد المناطيس مهما أبمدتها منه . ومهما جَمعت عليها من الحُجب والظّمُات ، وأضمَفت لها في المسافات ، فهي مُوليّة وجهها شَطرَه ، تُحِسّة جَذبَه مُوصولة به ، شاعرة بوَحْيه لا تنساه ولا تُشرِك في هواه . ليت شِمري أأهدي من الإنسان هذه الإبرة الصغيرة ؟ أجل ا إنّها شِمري الإنسان في البرّ والبحر والسفر والحضر . »

أحسستُ حينئذ خفقان قلبي يُذكّرنى أن في صدر الإنسان إبرةً أخرى مُرشِدة هادية ، تتوجَّه شَطْر معدِنها أبدا ، ولا يُصدُّها عنه نطاوُل الأَمَد وبُعد المدَى . أَلَمَ تَهدِ هذه الإبرة الأم في ظلمات الجاهليَّة وغَيابات القرون، فعصَمتهم على العِلَات من الهلاك ، وأخرجَتْهم إلى النورعلى تكاثُف الظلمات ، ولا تزال هادية بصيرة بالناية ، خبيرة بالسَّبيل إليها . كم عبَّدت الإنسان شهواتُه ، وأضلَّته عن الخير مطاممُه ، فما زالت هذه الإبرة تضطرب في صدره حتى اهتدى سبيل النَّجاة ، ووضع على هُداها منارَ الطريق . كم طفَتْ بالإنسان ضفائنُه وأحقاده ، فما زالت هذه الإبرة تخفُّق في جوانحه حتى عرف إلى الأُلفة والمودَّة السبيل ، واستقام على النَّهج لا يميل . وكم غلا الإنسان فى ظلمه وغُدوانه ، فما زالت تتحرَّك في أضلاعه حتى أشعَرته نفسها ، ثم ردَّته إلى خطَّة للمدل محمودة ، وسبيل من الإنصاف رشيدة . وكم غدر الإنسان ثم اهتدى بها إلى الوفاء ، فندِم على ما قدَّم ، واغتبَط بما اهندى . وَكُمْ أَجْرَمُ الْإِنسانِ فُوخَزَتُه فَأَفَاقَ ، فَكَأْنُّهَا صُوِّرخَلْقًا آخر ينفِر من الإِجرام ، ويركن إلى السّكينة والسَّلام . وكم سفُّلت بالإنسان سجاياه، فعملت في صدره حتى سمّت به إلى العلياء، وطارت به من الحضيض إلى عَنان السماء. وكم وقفت بالإنسان همَّته ، فدفَعتْه هذه الإبرة العجبية ، فمضى قُدُمًا إلى العمل ، وَحَمْزَتُه فَدَأَبُ لا يَعْرَفُ الكالَ . وَكُمْ أَطْلَمُ عَلَى الإِنسانَ طَرِيقُه ، وعَمِيت عليه أرجاؤه ، وأطبقت عليه سحائب سوداه، وأحاطت به ظلمات لاشية فيها من الضياء، فنظر إليها فإذا هي إلى الغاية دليل، وإذا هي في الظلمات قد استقامت على السبيل. وكم حارت بالإنسان آراء مُضِلَّة وأفكار غائِلَة، وأقوال ساحِرة، فلمَّا هلك أوكاد، ودارت به المُيْرة والإلحاد، أحس اضطرابها في نفسه فسكن، فتهافَتت الآراء، وتهاتَرت الأقوال، وثاب إليه هُداه، فوجد أمامه الله.

إيه أيتُهَا الإبرة الهادية ! صل الإنسان في صباه وهَرَمه، وجهله وعلمه ، وسمادته وشقائه ، ووحدته واجتماعه ، وحَلّه وتَرحاله ، لولا هداية من الله فيك ، وبصيص من نوره في نواحيك ، وصِلة به لا تنقطعُ ، وشعور به لا يَضِل ، وجَذْوة من حبّه لا تَخْمُد .

وأما الذين أصَلَّتهم الأهواه، فعميت عليهم الأنباه، وتخطفتهم في الحياة الماربُ ، فتذبذبوا بين شتى المذاهب، وشرَّق بهم مطمَع ، وغرَّب آخر ، وتلوَّنت لهم غيلانُ من الآمال والأعمال ، والذين فقدوا أنفسهم وهم لا يشعُرون ، وصل سَعْبهم وهم يحسيبون أنهم مُهتدون ، والذين يلبسون كلَّ يوم دينا ، ويُبدَّلُون كلَّ حين رأيا ، ويلبسون لكل دُوْلة وجها ، ولكل سُلطان زيًّا ، ويتُخذون لكل ساعة لسانا ، ولكل فرصة وجدانا ، فأولئك أغفلوا النظر إليك ، فحُرموا الاهتداء ولكل فرصة وجدانا ، فأولئك أغفلوا النظر إليك ، فحُرموا الاهتداء بك ، بل أولئك في فاوبهم مرض .

م، ـ مع الفراعنة في طيبة الأحياء"

يين جبال ليبياء وعلى نحو فَرسخَين من شاطئ النّيل الأيسرِ طيبةُ الأموات ، وفيها مَعابد الدار الآخرة . فيها لحُود الرَّعية ، وأجداث الأمراء ، ومقابرُ الملوك ِ.

وعلى الشاطئ الأيمن تقوم الأقصرُ ؛ حيث كانت تقوم طيبةُ الأحياه ، وفيها برية الأقصرُ ، وفيها الأطلال الدوارسُ التي تتحدَّث إلى الأجيال المتعاقبة لمستَقبلٍ بميدٍ عن أجيالٍ نائيةٍ في ماض سحيق - فيها معابدُ الكَرْنَك الكبرى



بعض مناظر الكرنك ومغها البحيرة المقدسة

^(#) المدكتور محمد حسين هيكل فأشأ من كتابه ﴿ فِي أُوفَاتِ العراعِ ﴾

مما بدُ الكُّرنكِ : هياكلُ النيل التى ظلّت آلاف السنينَ تتماتَقُ هى ومياة النيل ؛ مما بدُ خونْسو ، وأوزريسَ ، وآمون ، وسيتوسَ ، وطريق آباء الهوْلِ ، والبُحيرةُ المقدَّسة – أطلالُ طيبةَ الأزليَّةِ البانيةِ . عظمةُ الماضى وَعُجدُ التاريخ .

المدنيّة البائدة الخالدة . الإنسانية في كالها الأسمَى . آثارُ أجدادِنا المِظامِ . آثارُ المصريين الذين حكموا وسادوا . حكموا بالمقل والعِلْم ، وسادوا بالحبّة والحِلْم . تلك هي الآثارُ الدارسة القديمة المبَعْثرة فوق ثرى الوادي على مقربة من الأفصر إلى الجانب الأبمن من النبل . تلك هي الأحجارُ الناطقة في صفتها بماني العظمة ، المحدَّثةُ ببلانها عن ألوف السنينَ التي مرّت بها من يوم شادَها أجدادُنا هياكِلَ عن ألوف السنينَ التي مرّت بها من يوم شادَها أجدادُنا هياكِلَ لمبادَتهم ، ومستقر ليلم آلهتهم ، وذِكْرًا لأشخاصِهم التي سبقت التاريخ من غير أن يدور في وَهِها أن سينق ذكرُها زينة التاريخ ما يَق التاريخ .

معذِرةً ! . . . لقد كنتُ أُريد أن أصِف معابدَ الكُرْنك ، وأن أذكر طَرَفا من تاريخها ، وأن أتحدَثَ عن بنائها ، وعن ضَخامتها . وعن رِفعتها وَكنت أُريد أن أَقرِنها إلى ما رأيتُ من آنار الروَمان فى روَما ، وَفَى مُدن فرنسا ؛ فى نيم ، وَإِرْل ، وَإِفْنيون ، وروَيا فلم تكد أسماء معابد الكرانك تمرّ أماى حتى امتلاً بمظمّتها وبقداسَتها خيالى ، وحتى تضاءل ما رأيتُ من آثار اليونان والرومان . وهل ترى فى الوجود أثرًا لا يصنر ويتضاءلُ ويَفْنى إذا ذُكِرت عظمةُ معابد الكرانك — وبينها معبدُ آمونَ .

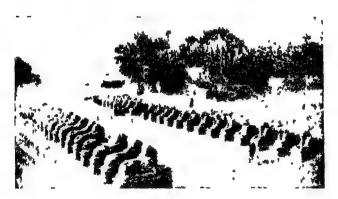
قُرُونٌ جاءت على آثار روما ! وعلى آثار أثينا . وللقِدم هيْبتُه ! ولجراح الماضى فى تلك الآثار قداستُها ، وللفنِّ عظمتُه ، وللإبداع الفتَّى ۚ فى تلك الآثار احترامُه . وأنت — ابنَ اليوم — لن تستطيعَ مهما فاخرتَ بعلم عصرِك وفئًه ودِقتُّه ، إلا أن تَقِف أمامَ تلك الآثار التي جاءت عليها القرونُ معجبًا خاضِمًا . . . فإذا وقفتَ بين أطلالِ الكَرنك لم يَكْفِك الإعجابُ وَلا الخَصْوعُ وَلا التقديسُ، لأنك ترى آثارًا تفوق آثارَ مدينتك الحاضِرة عِظَمًا وَقُوَّةً وَإبداعًا وَدِقَّةً . لست أُغْلو ، ولكنى لا أستطيعُ أن آثىَ على الوَصف الذى يبعَت إلى نفسيك الإجلالَ وَالبَهر اللذين ملأًا نفسى حينها كنتُ بين هذه الآثار ، وَاللَّذِينَ تَرَكَا فِي نَفْسَى أَثْرًا سَـيْبِقَى إِلَى أَنْ تَزُولَ مَنْ بَيْنَ الأَحْياء نفسى . وَإِنْ لَمْ يُتِيح لَى القَدَرُأْنَ أَعُودَ إِلَى طَيْبَةَ المُقَدَّسَةِ مرَّةً أخرى .

كلا ! لستُ أستطيعُ أن أُصِف لك هـ ذا المشهد ؛ لأنه ليس

مكوناً من أحجارٍ، ولا من صورٍ وتماثيلَ، ولكنهُ مكون من ماضٍ عريقٍ فى الجلال والهيئية، عريقٍ فى الجلال والهيئية، عريقٍ فى الإبداع والدّقة، عريق فى كل ما تريدُ الإنسانيّة اليومَ أن تَصِلَ إليه من قوّةٍ وعِزّة وجاهٍ وسعادةٍ، وفيما تُنْفِق فى سبيله الجهودَ الكِبار. مُمّ هى تراه أمامَها أملاً قد لا يتحقّق على القرُونِ .

معايد الكرانك؛ هباكل آمون، وسيتوس، وتتموزس، وفتاح. وفي مُقدَّمتها طريقُ آباه الهَوْلِ، وعلى أبوابها درجات الطّولِ والعرض؛ لتَعرف أين أنت من كُرةِ الأرضِ . ويينها معابدُ آلهةِ الحبر والشّر تُطالِعُها الشمسُ ظهيرَة كلَّ يوم، لتُطْلِعها على آثام النّاس وحسناتِهم . ومن خِلالها تماثيلُ رمسيسَ وتُحتْسُ وآلِ فرعونَ . وفي غايتها البحيرةُ المقدَّسةُ .

أُلستَ ترى هذا الجُمَعَ من كَهَنة آمونَ قادِمين على شاطِئ النّيل إله الخير والخِصْب، وهم ينظُرون إلى مياهِه الهادِئة فى مَوْجِها نظرة اعتراف با بجليل وتقديس وإجلال ؟ أَلا تراهُم يريدونَ أن يسلكُوا سبيلَهم إلى معبد إله الشمس آمونَ ؛ ليُرتلُوا لمبمَث النور والدَّف، آباتِ الثّناء والجد ؟ ها هم أولاء انعطَفوا في طريق آباء الهول بين تماثيلِ السّباعِ رُكِّبت عليها رءوسُ كِباشِ الغنم ، وازدان صَدْرُها بيّمثالِ آمونَ ، فجمّت بين القوَّة والعظمةِ ، والحنانِ والرَّافةِ ، والقَدَاسةِ والهيبةِ .



طريق آماء الهول

وتتالت كثيرةً متتابعةً تزيدُ الجُمْعَ بَكَثْرَتها خُشوعًا ، وبنظام تتابُعها رَهْبةً ومهابة . وقام أمام الجُمعِ مدخلُ المعبَد الضَّخمِ الرفيع لا تُدْركُ شُرفَتَه نظرةُ الخاشع السّائر في هذا المشهدِ الرّهيب.

هاهم أولاء تخطّوا المدخل فأحاطَت بهم نُصب الآلهة وتمانيل الملوك، ومن حولها المُمُد الرّفيمة الشّاهِقة، فلمّا نادى رئنسُ الكّهَنة باسم آمونَ خرّوا جميعًا سُجَّداً.

كان هذا الجمعُ يتخطّى هذه المشاهِدَ بملابسه الكهنوتية ، وقلبهُ مُمْتَلِيُّ قداسةً وإجلالاً وإكباراً. أما أنت فتمرُّ فى طريق آباء الهَوْل وترى مَدخَل معبد آمونَ ، وتتخطّى إلى داخله فترى هامات الكِباشِ طائرةً عن أجساد السّباع ، وترى تماثيل آمونَ القائمةَ على صدورها أبلاها مَرُّ القرون ؛ وترى معبدَ آمونَ تحطّمت نُصُبه ، وتداعَت تماثيلُه ، وتَطايَرتِ رءوس مُحده ؛ ثم لا يكون قلبُك وتداعَت تماثيلُه ، وتَطايَرتِ رءوس مُحده ؛ ثم لا يكون قلبُك الذي امتلاً بالقداسة والإجلال والإكبار أقلَّ خُشوعاً من قلوب هذا الجُمْعِ بملابِسه الكَهنَوتيَّة .

وتتخطَّى بين هذه الآثار مِسَلَّات وفيمة أُ وُمُداً لا تَمَلُّ المينُ التَّحديقَ بها ، ونُصباً فوقها تماثيلُ بالنِمة في الإحكام — وجُدرانا ترى الطَّيْرَ والوَحشُ قد زَيَّنت سطحَها ، وذلك كله — وما هو حولَه من منله وتما هو أعظمُ منه وأبدعُ — قائمٌ فوق مُنَّسع من الفلاة لا يجيء عليه الناظر في مدّى نَظرته ، ولا يتخطَّى واحداً إلى ما بمدّه من غير أسف على تخطَيه .

كيف كأنت تُنْعَت تلك التمانيل العظيمة ، وكيف كأنت تُرفع فوق تلك النُّصبِ ؟ وكيف كأنت تُقام تلك الدُّمد ؟ وكيف كأنت تَصل إلى قِمَمِها شُرفاتُها البَديعةُ النقشِ ؟ وكيف كأنت تحمل فوق تلك الشُرفات الأحجارُ الضَّخمة التي تصل العمدَ بعضها بيعضٍ ؟ أَى فَنَ ، وأَى عِلْمَ وَأَى عِلْمَ وَأَى عِلْمَ وَأَى عِلْمَ وَأَى مَا مَقْدِرَةٍ كَانَت تقوم بذلك كلَّه ؟ وَأَيْنِ مَن هذا الفَنَّ وَالعلمِ وَالمَقْدِرَةِ فَنَنَّا وَعلمنا وَمَقْدِرَتُنَا ؟ وَهل لنا أَن نُباهِيَ أَهلَ تلكَ المُصور البائِدةِ . . . ؟

ممابدَ خوفو وفتاحَ وآمونَ ١ آباتِ المجـدِ والعظمةِ ١ آثارَ الكَرْنكِ الْحَالِيةُ ١ كلاً . لن يُحيط بك وصفُ الواصفِ إلا إذا وقف عليكِ من حياتِه سنينَ طِوالاً .

أما أنا فيكفيني ما شَهِدْتُ ؛ هو يَكفيني غُرًا بالماضي ، ولوعَةً للحاضِر ، وأملًا للمُستَقْبِل .

١٦ ــ البدو والحضر

إن أهل الحفتر ألقوا جُنوبَهم على مِهاد الراحة والدَّعَة ، وانفَسوا في النّهم والنّرف ، ووكلوا أمره في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم ، والحاكم الذي يسوسُهم ، والحامِية التي تولّت حِراستهم ، والحرز الذي يحولُ دونهم ؛ والحِرْز الذي يحولُ دونهم ؛ فلا تَهيجهم هَيْمَة ، ولا ينفِر لهم صَيْد . فهم غارّون آمنون ؛ قد ألقوا السّلاح ، ورُبيّت على ذلك منهم أجيال ، وتنزيّلوا منزلة النساء والوِلدان ، الذين هم عِيال على أبى مثواه ، حتى صار ذلك خلقًا لهم يَنزّل منزلة الطبيعة .

وأهل البدو — لتفرَّده عن المجتمع ، وتوجَّشهم فى الضواحى ، وبُعده عن الحَامية ، وانتباذه عن الأسوار والأبواب — قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ، لا يكلونها إلى سيوام ، ولا يثيتون فيها بغيرم . فهم داعًا يحملون السلاح ، ويتلفَّتون عن كل جانب فى الطُرق ، ويتجافَون عن المُمجوع ب إلا غِرارًا فى المجالس، وعلى الرَّحال ، وفوق الأقتاب ، ويتفرِّدون فى القَفر والبيداء . مُدِلِّين ببأسهم ، وهوق الأقتاب ، ويتفرِّدون فى القَفر والبيداء . مُدِلِّين ببأسهم ،

واثقين بأنفسهم . قد صار لهم البأس خُلقًا ، والشجاعة سجِيةً ، يرجِمون إليها متى دعام داج ، أو استنفرَم صَارخٌ .

وأهل الحضر — مهما خالطوم فى البادية ، أو صاحبوم فى السّفر — عيال عليهم ؛ لا يملِّكون معهم شيئًا من أمر أنفسهم وذلك مُشاهَدُ بالبيان ، حتى فى معرفة النواحى والجهات ، ومَوارد المياه ، ومشاريع السّبل . وسبب ذلك ما شرحناه : وأصله أن الإنسان ابن عاداته ومألوفه لا ابن طبيعيّه ومِزاجه ، والله يخلُق ما يشاء .

١٧ ــ الحرب والعلوم

نشأت الحروب مع الحياة ، حتى قيل إنها ضرورة من ضرورتها ، أو إنها شر من مستلزماتها ، فها هى ذى الوحوش الضارية فى الغابات ، والسمك والحيوانات المائية فى البحار ، القوى منها يفترس الضعيف ، والماكر منها يخدع الغفل ، ويتحين الفرصة لاغتياله وتدبير الحيلة



طيارة ومدرعة حربية وغواصة

لاقتناصه . وكأن هذه الغريزة الحيوانية لم تُستأصل تماماً من نفس الإنسان الذي يفضل جميع الحيوانات بمقله وتفكيره ، مع ما ميزه الله به من النطق والبيان والإفصاح ، فلم تغن هذه الميزات عن شرور الحرب ، وويلات القتال المهلكة سيئاً .

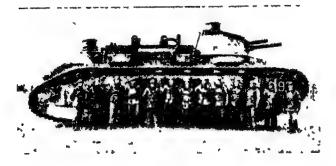
عرفت الحروب منذ التاريخ الفديم ، وهي من ذلك الحين تتكرر وتمود ، رخم صيحات المقلاء وأنصار السلم ، ومؤتمرات السلام ومماهداته . ولكل من السلم والحرب أنصار وفي شعر العرب نجد أقوالاً لكل فريق . فمن أقوال الفريق الأول .

الحرب أول ما تكون دنية تسعى ببزتها لكل جمول حتى إذا اشتملت وشب ضرامها عادت عبوزاً غير ذات خليل شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للثم والتقبيسل وقال أبو تمام في تأييد حق القوة:

وليس يجلى الكرب رأى مسدد إن لم تؤانسه بسيف مهند ودوافع الحرب كثيرة متنوعة، منها حب التملك والرغبة فى توسيع نطاق الدولة ، وإنماء ثروتها – بالاستيلاء على البلاد الضميفة التي تكثر فيها ينابيع الثروة ويمجز أهلها عن استغلالها . وقد تنشب الحرب للذوذ عن الذمار ، أو لإتقاذ مملكه صديقة ، أو للأخذ بثأر قديم . وهذه الدوافع باقية ما بقيت الحياة التي لا يسود فيها إلا الأصلح .

وقد تطورت أساليب القتال وآلات الحرب مع تطور العلوم وتقدمها، فلم تمد أصلح الأم للبقاء أكبرها جداً وأعزها نفراً وأمنعها حمى وأبعدها منالاً، فكم من لدمنيه بجراء العالية وحصونه الطبيعية المنيمة ، قهره العلم بطائراته التي تحلق فوق الجبال ، وقاذفاته التي تدُّكُ أمنع الحصون ، وغازاته السامة التي تميت أكبر عدد من الجنود .

ولم تمد الشجاعة والفروسية والإقدام هي العوامل الأولى للانتصار ، بل أصبحت أساليب العلم هي التي تنصر الجبان على الشجاع ،



دىابە حربية

والضميف على القوى ، وتسور القليل على الكثير . فكم من دولة قليل تمدادها ملكت أوسع البلاد مساحة ، وأكنرها تمداداً ، وذلك بالعلم وأساليبه ، وبالمخترعات العلمية وأفانينها ؛ فبالعلم والعلماء اخترعت القذائف والمفرقعات وبالعلم اخترعت النواصات والطائرات ، وبالعلم اخترعت أحدت المدافع والبنادق ، التي تطلق عشرات الطلقات بل الخترعت أحدت المدافع والبنادق ، التي تطلق عشرات الطلقات بل المئات منها في الدقيقة ، وتصل إلى مدى بسيد .

وبالملم اخترعت المواخر والمدىرات . وبالعلم سارت هذه جميماً بدون قواد ، بل تُسير باللاسلكى ، حتى إذا وصلت إلى مراكز المدو أطلقت القاذفات من تلقاء نفسها بطريقة آلية .

وبالعلم اخترع اللاسلكى الذى أصبح أكبر عون لرجال الحرب فى حروبهم ؛ فبه يتصل الجيش بالقيادة العامة ، بل إنهم يعرفون به مراكز العدو وأسراره .

وهكذا أصبح العلم أداة القتال ، كما هو أداة للرفاهة الإنسانية ، وتخفيف ويلات المرضى ، وإبادة الجراثيم . فتسلحوا يا شباب مصر بالعلم ينفعكم فى الحرب والسلم .

١٨ - الخيـــل

الخيل نومان: عَتيق ويُسَمى فرساً، وهَجِين وهو المستَّى بِرْذَوْنَاً. والمَجِين وهو المستَّى بِرْذَوْنَاً. والمتِيقُ أصلَب عَظْماً ، وأُسرَع جرياً . والهمجين أقوى تُحْلاً ، وأَعْلَظُ عَظْماً .

وفى مَلَبْع الفَرَس الزَّهْو والخُيلاء ، والعُجْب بنَفْسه ، والمحبة لصاحبه ، وأنه لا يَشرب الماء إلا كَدِراً ، حتى إنه يَرِدُ الماء الصافى فيضرب يده فيه حتى يُكدَّرَه ويُشكِّره . ورُبَعا يَرِد الماء فيرى خياله فيه فيتَحاماه ، لِفزَعه من الخيال الذي يراه . وأثنى الخيل تحمل منة كأمِلة .

والمَلامات الجامِعة لنجابَة الفَرس، الدَّالة على جَوْدَنه، ما ذكره أيوب ابن القِرَّيَّة، وقد سأله الحجَّاجُ عن صِفة الجوادِ من الخيل فقال: « القَصيرُ الثَّلاث، الطويل الثلاث، الرحب الثلاث، الصّافى الثلاث. » فقال: « صِفْهُنَّ . » فقال:

أما الثلاث الطّوال : فالأذن ، والمُنتى ، والنّراع . وأما الثلاث الوّحْبة :
 القِصار : فالظّهر ، والسّاق ، والعَسيب . وأما الثلاث الثلاث الرّحْبة :
 فالجُهْبَة ، والمِنْخَر ، والجَوْف . وأما الثلاث السّاغية : فالأديم ،

والنَّيْنَانَ ، والحَافِر » وقد جم بعض الشَّمراء ذلك فى يبت واحد فقال : وقد أُغْنَدى قبل صَوْء الصَّباح وَورْدِ القَطَا فى النُطَاطِ الْحُناث بِصَافى الثلاث ، عَريض الثلاث قَصير الثلاث ، طويل الثلاث

وقيل: أهدى عمرو بن الماص لمعاوية بن أبي سفيان ثلاثين فرساً من خيل مصر، فمُرِضِت عليه — وعنده عُتَبَةُ بن سفيان بن يَرْيد الحَارثيّ، فقال له معاوية: «كيف ترى هذه يا أبا سفيان ب فإن عَمْرًا قد أَطْنَب في وَصْفها. » فقال: « أراها يا أمير المؤمنين كما وَصف. وإنها لسامِيةُ السيون، لاحقة البُطون، مُصغِية الآذان، قبّاء الأسنان، ضخام الرّكبان، مُشرِقات الحجبات، رحاب المناخِر، صِلاب الحَوّافِر، وصْفها تحليل، ورفعها تقليل، فعى إن طُلِبت سبقتْ، وإن طلَبَتْ لَجِقت . » فقال معاوية: « إَصْرِفْها إلى سبقتْ، وإن طلَبَتْ لَجِقت . » فقال معاوية: « إَصْرِفْها إلى دارك ؛ فإنّ بنا عنها فينى، وفِتيانِك إليها حاجة . »

وقال البحترى وكان وصَّافًا للخيل :

قد رُخْتُ فيه على أُغَرَّ مُحَجَّلِ فى النُّسنِ جاء كصورة فى هيكل عُرْفٍ وعُرْفٌ كَالقناع المُسْبَل وأغرّ فى الزَّمَنِ البهيم تُحَجَّلِ كَالْهِيكُلِ اللّبِنَ إلا أَنْهُ ذَنَبْ كَا شُعبَ الرداء يذبُّ عن تتوهم الجوزاء في أرساغه والبدر غرة وجهه المتهال

* *

وتخاله كُبِى الحدود نواهما مهما تُواصِلْها بلحظ تَخْجَل وتراه يَسْطَعُ فى النبار لَمِيبُه لونا وشَدًّا كَالْحريق المشكل هزِج العَنهيل كأن فى نفاته نبرات مَعْبَدَ فى التَّقيل الأول مَلْكَ النيون فإن بدا أَعطيتَهُ نَظَرَ النيُوبِ إلى الحبيب المُقْبل

وقال أبو الطيب المتنبي في وصف الخيل :

ويوم كلينل الماشقين كينته أراقب فيه السَّمس أيَّان تَغْرُبُ وعَيْنِي إلى أَذْنَى أَغَرَّ كَأْنَه من الليل باق بين عيْنَيه كو كب له فَضْلَةٌ من جسْمِه في إهابه تَجيه على صدر رحبب وتَذْهَب شَعَقْتُ به الظلماء أَدْنِي عِنَانَهُ فَيَطْنَى ، وأَرْخيه مِرارًا فيَلْسَبُ

* *

وأُصْرَعُ أَىَّ الوَحْش تَقْيْتُه به وأَنزل عنه مثله حين أَرْكَب وما الخيل إلا كالصديق قليلةٌ وإن كثُرَت في عين من لا يُجَرَّب إذا لم تشاهد غيْرَ حُسْنِ شِياتِها والوانِها، فالحسن عنك مُغيَّب وقال على محمد بن محمد الإِيادى فى وصف فرس أبى عبد الله جمفرِ ابْنِ أَبِى القاسم القائِم أحدِ الخلفاء الفاطميين :

وكاً ثَمَّا انْفَجَرَ مالصباح بوجهه حُسْنًا أو اخْتَبَسَ الظلام بَمَنْهِ
مُتَسَيْطِرُ بَالرَّاكِبِينِ كَأَنَّه بِازٍ نروح به الجُنوبُ لِوَكُنهِ
يَسْنَوْفِفِ اللَّحَظَاتِ فِي خَطَراتهِ بَكَمَال خِلْقَتَهِ ، ودِفَّةٍ حُسْنهِ
عُلْوُ الصَّهِيل ، يُخَالُ فِي لَمَوَانه حادٍ يصوغ بدائمًا من لَحْنهِ

مُتَجَبِّرٌ مُنْيِي بِينْقِ نِجَارِهِ أَيْرَافُ كَاهِلِهِ ، ودِقَةُ أَذْنِهِ ذو نَخُوَةٍ مُتَمَحَتْ به عن نِدَّه وشهامةٍ طَمَحَتْ به عن قِرْنِهِ وكأنَّهُ فَكُ إِذَا حرَّكْتَهَ جارٍ على سهل البلاد وحَزْنِهِ قدْ راح بحمل جعفرَ بْنَ محمدٍ خَمْلَ النسيم لوابل من مُزْنِهِ



۱۹ – بنام تغداد^{۱۱)}

كان المنصور قد بنى فى أواثِل دولتهم مدينةً بِنُواحى الكوفة ، وسمّاها الهاشِمِيّة ، ووقَست وَقْمَةُ الرَّاونْدِيَّة فيها ، فَكْرِه سُكْنَاها لذلك ، ولجاوَرَة أهل الكوفة ، فإنه لا يَأْمَنهم على نفسه — وكَانوا قد أفسدوا جُنده . فرج بنفسه يَرْتادُ له موضِماً يَسْكُنه ، ويبنى فيه مدينة له ولياله ولأهله ومُلِنْده .

فانحدر إلى جسر جرايا ، وأَصْمد إلى الموصل ، ثم أَرْسل جَاعة من الْخُكَمَاء ذوى اللّب والمقل ، وأَمَرهُم بارْتِيَاد موضع . فاخْتَاروا له مدينته التي تُسَمَّى مدينة المنصور . وهي بالجانيب الغَرْبِيُّ ، قريبة من مَشْهَد موسى والجواد « عليهما السلام » . فحضَر إلى هناك ، واختَبَرَ المكان ليلاً ونهاراً فاسْتطابه ، وبني به المدينة .

و نَبَّهُ بمض عُقد لاء النصارى إلى فضيلة مكا نَها ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! تكون على الصّراة ، بين دِجْلة والفُرات ؛ فإذا حارَبك أحد كانت دَجْلة والفُرات خنادِق لمدينَتِك ، ثم إن المِيرَةَ تَأْتيكَ في دجلة من دِيارِ بَكْرٍ تارة ، ومن البحر والحِمند والصّين والبَصْرَة تارة أخرى ، وفي الفرات من الرّقة والشام »

⁽۱) م كتاب الفخرى

و وَتَجِيتُك الِيرَةُ أَيضاً من خُراسانَ وبلادِ العَجَم فى شَطَّ تامراً . »
 و أنت — يا أمير المؤمنين — بين أنهار ، لا يَصِلُ عدوّلُ إليك إلا على جِسْر أو قَنْطَرَة ؛ فإذا قَطَمَت الجِسر ، أو أَخْر بْت القَنطرة ، لم يَصِل إليك عدوّك ، وأنت متوسط للبَصْرة والكوفة ، وواسِط للوصل والسواد . وأنت قريبٌ من البروالبحر والجبل . »

فازْدادَ المنصور حِدًّا وحِرْصاً على بنائها ، وكاتَب الأطْراف بإنفاذ الصُّنَاع والفَمَلَة ، وأمر باخْتيار قوم من ذَوِى المَدالة والمقل ، والمِلم والأمائة ، والمعرفة بالهندسة ؛ ليَتَوَلَّوْا قسمةَ المدينة وعملها ، وشَرَع فها فى سنة خس وأربعين ومائة .

وكان أبو حنيفة رضى الله عنه « صاحب المذهب » يَمُدُ اللّبن والآجُرَّ، وهو الذى اخْترع عده بالقصب اختيارًا. وجعل المنصور عَرْض السَّور من أساسه خَسين ذِراعًا ، ومن أعْلاه عِشرين ذِراعًا ، ووضع يبده أوَّل لَبِنَةٍ ، وقال : « بسم الله ، والحمد لله ، الأرض لله يُورِثُهَا مَنْ بَشَاء من عباده ، والعاقبةُ للمتقين . » ثم قال : « ابنوا . » فإبتَدأ بها فى سنة خس وأربعين ومائة ، وتمها فى سنة ست وأربعين ومائة . وجعلها مُدَوَّرة ، وجعل قصره فى وَسَطها ؛ لئلا يكون أحد الرب إليه من الآخر . وبلغ الحرج عليها أربعة آلاف وثماغائة وثلاثين ورها . ولما فرغت حاسب القُوَّادَ بما كان حول عليهم لهارتها ، فألزَنهم بالبواق ، حتى اسْتَوفى من بمضهم ما اقتضاه الحساب خسة عشر درها .

٢٠ – أدَب التربيــــة

لمرون الرّشيدِ

قال هرون الرشيد في وسية له إلى مؤدِّب ولدمِ:

« يا أُحرَ ! إِنَّ أَمير المؤمنين قد دفع إليك سُهجة نفسه ، وغرَة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضمك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، ورؤه الأشمار ، وعقمه السئن ، وبصره بمواقع الكلام ، وامنعه من الضّحِك إلا فى أوقاته ، وخُذه بتعظيم بني هاشم إذا دخاوا عليه ، ورَفع عجالس القُوّاد إذا حضروا تجليسه . ولا تمُرّن بك ساعة إلا وأنت مُعتيم فيها فائدة تُفيده إيّاها من غير أن تُحزِنه ، فتُميت ذِهنه ، أوتمُمِن في مساتحته ، فيستَحلى الفراغ ويألفه . وقومه ما استعلمت بالقرب والملاينة ، فيستَحلى الفراغ ويألفه . وقومه ما استعلمت بالقرب والملاينة ، فإنْ أباها فعمليك بالسّدة والنبلظة . »



٢١ _ من أمثال العرب

إِنَّ غَدًّا لناظرِه قَرَيب

أُولُ من قال ذلك المسل قُرادُ بنُ أُجْدَع : وذلك أن الشَّمان ابن المنذر خرج يتصيَّدُ على فرسه الْيَصْمُوم ، فأجراه على إثْر عَيْرٍ ، فذهب به الفرس في الأرض ، ولم يقدر عليه ، وانفرد عن أصحابه ، وأَخذَتُه السماء ، فطلب ملجأً يلجأً إليه ، فدُنِع إلى بناء ، فإذا فيه رجل من طبِّيء يقال له : « حنظلة » ، وممه امرأته ، فقال لهما: « هل من مأوى ؟ ، قال حَنْظَلَة : « نم ، غرج إليه فأنزله . ولم يكن للطائى غير شاة ، وهو لا يَمْرف النُّمان ، فقال لامرأته : « أرى رجلا ذا هيئة ، وما أخلقه أن يكون شريفًا خطيرًا فما الحيلة؟ » قالت: « عندى شىء من طحين كنت ادّخرْنه ، فاذبح الشاة ؛ لأتَّخِذ من لحمها مَرَقَةً مَضِيرةً ، وأطمعه من لحمها ، وسقاه من لبنها ، واحتال له شرابًا فسقاه ، وجمل يُحُدُّنه بقيَّة ليلته . فلما أصبح النُّمان لبس ثيابه ، وركب فرسه ، ثم قال : ﴿ يَا أَمَّا صَلَّىٰهِ } اطلب ثوابك أَنَا الملك النمان ، قال : ﴿ أَفْسَلَ إِنْ شَاءَ اللهِ. ﴾ ثم لِحَق الخيل فمضى نحو الحيرة، ومكث الطائى بمدذلك زمانًا حتى أصابته نكبة وجَهد، وساءت

حاله ، فقالت له امرأته : ﴿ لُو أُتَيْتَ الْمُلْكُ ، لأَحْسَنَ إِلَيْكَ . ﴾

فأقبل حتى انتهى إلى الحبرة فوافق يوم بُونس النُّمان ؛ فإذا هو واقف فى خيله فى السَّلاح. فلما نظر إليه النجان عَرَفه ، وساءه مكانه ، فوقف المَّالَيُّ بين يدى النَّمان ، فقال له : ﴿ أَأْنَتِ الطالِّي ؟ ﴾ قال : ﴿ نَمِ ﴾ قال : ﴿ أَفَلَا جِئْتَ فِي غَيْرِ هَذَا اليَّوْمِ . ﴾ قال : ﴿ أَيَبْتَ اللَّمْنِ ! وَمَا إِ كان عِلَى جِذَا اليوم ؟ ، قال : ﴿ وَاللَّهُ لُوسَنَّحَ لَى فَي هَذَا اليوم قَالُوسَ ابني لم أجدْ بُدًا من قتله ، فاطلب حاجتك من الدنيا ، وسَلْ ما بدا لك فَإِنْكَ مَقْتُولَ. ﴾ قال: ﴿ أَبَيْتَ اللَّمْنَ ، ومَا أَصِنْعَ بِالدُّنِيا بِعَدْ نَفْسَى ؟ ﴾ قال النمان : « إِنَّه لا سبيل إليها . » قال : « فإن كان لا بد ، فأجَّلني حَى أَلِمْ بَأَهَلَى ، فأوصى إليهم ، وأُهِّيُّ حالهم ، ثم أَنْصَرِف إليك . > قال النمان : ﴿ فَأَمْ لَى كَفَيْلًا بَمُوافَاتِكَ . ﴾ فالتفت الطأتى إلى شريك ابن عمرو بن قيس من شيبان ، وأيكنى أبا الحوفزان ، وكان واقفًا بجانب النمان ، فقال له :

> يا شَريكا يابَن عَمْرِهِ على من الموت تحاله يا أننا كلُّ مُضاف يا أننا مَنْ لا أَخَالَه يا أننا النَّمان فُكَّ الريوم ضَيْفًا قد أَتَى له طالما عالَجَ كَرْبَ السَّمَوْتِ لا يُنْعِمُ بَاله

فأبي شريك أن يَتَكفَّل به ، فوثب إليه رجل من كلب يقال له : قُرادُ بنُ أَجْدَع ، فقال للنمان : ﴿ أَبَيْتَ اللَّمْن! هو على " . ﴾ قال النمان : ﴿ أَضَلَت ؟ ﴾ قال : ﴿ نَم ﴾ فضمته إياه ، ثم أمر للطائي بحَسْمائة ناقة ، فضى الطائي إلى أهله ، وجسل الأجَل حولا ؛ من يومه ذلك ، إلى مثل ذلك اليوم من قابل . فلما حال عليه الحول ، ويق من الأجل يوم ، قال النمان لقراد : ﴿ مَا أَراكَ إلا هالكا غداً . ﴾ فقال قُرادُ :

فإنْ يَكُ صَدْرُ هذا اليومِ ولَّى فإن غَدًا لناطِرِهِ قَريبُ فلما أصبح النمان، رَكَبَ في خيله ورَجْلهِ ، منسلَّمًا كما كان يفعل، حتَّى أَنَى « الغَرِيَّيْنِ » فوقف بينهما، وخرج معه قُراد، وأمر بقتله . فقال له وزراؤه « ليس لك أن تَقْتله حتى يَستُوفى يومه . » فتركه وكأن النمان يَشتُهي أن يَقْتل قُرُاداً ليَفْلِتَ الطائى من القتل . فلما كادت الشمس تغرب، وقراد قائم مجرد فى إزار على النَّطْع ، والسَّيَّاف إلى جنبه ، أقبلت امرأته وهي تقول:

أَيَّا عَيْنَ بَكِمَّى لَى قُرَادِ بِنَ أَجْدَعَا رَهِينَا لِقَتْلِ ، لارهينَا مودعا أَتَنَهُ المِنايا بَنْشَةً دون قَوْمهِ فَأْمْسَى أُسِيرًا حاضر البيت أَضْرِعا

فينما هم كذلك، إذ عرض لهم شخص من بعيد، وقد أمر النمان أن يُقتل قُراد، فقيل له: « أليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص، فتملّم من هو. » فكف حتى انتهى إليهم الرجل ، فإذا هو الطائى ، فلما نظر إليه النّمان شَقَ عليه مجيئه ، فقال له : «ما تحلك على الرجوع بمد إفلاتك من القتل ؟ » قال «الوقاء . » قال : « وما دعاك إلى الوقاء . » قال : « دينى » ، قال : « نعم الدين دين يدعو إلى هذا الخلق الجليل . » وعفا عن قراد والطائى ، وقال : « والله ما أدرى أيّهما أوفى وأكرم ؟ أهذا الذي خيا من القتل فماد ، أم هذا الذي ضينه . والله لا أكون ألام الثلاثة . » فأنشأ الطائى :

ماكنت أُخْلفُ ظنّة بعد الذي أسدى إلى من الفَعَال الخَالى ولَقَد دَعَتْني للخِلاف صَلالَتي فأُ يَيْتُ غَيْرَ تَمَجُدى وفَعَالى إنّى امْرُوا منّى الوفاء سَجِيّة وجزاء كل مُكارم بذال

وقال يمدح قرادا:

إِنَّا إِنَّمَا يَسْمُو إِلَى الْهُدِ وَالمَّلَا خَارِيقُ أَمْنَالَ القُرَادِ بن أجدما
عَارِيق أَمْسُالُ القُرادُ وأَهِلُهِ فَإِنَّهُمُ الأُخْيَارُ مَن رَهُطِ تُبَمَّا
وترك النمانُ القتل منــذ ذلك اليوم ، وأبطل تلك الســنة ، وأمر

بهدم الغَرِيس

. ۲۲ – وصف الأسد

قد أكثر الأدباء من وصف الأسد ؛ فن ذلك قول بمض الأعراب : له عَيْنَانَ حَمَرَاوَانَ مثل وَهَجِ الشَّرَرِ ، كَأَنَّمَا نُقِرِرَا بالمناقيرِ في عُرض حَجَر . لونه وَرْد ، وزئيره رغد ، وجبْهتهٔ عظيمة شتيمة . نابه شديد ، وشَرُّه عَتيد. إذا اسْتَقْبَلْتَه قُلْتَ أَفْرِع ، وإذا اسْتَدْبَرْتَهُ قلت أَفْرَع . لايتهابُ إذا اللَّيل عَسَس ، ولا يَجْبُن إذا الصُّبح تَنفَّس . ثم أنشد . عبوسٌ شموسٌ مُصْلَخِهُ مَكَا بِرُ ﴿ جَرَىءَ عَلَى الْأَفْرَانَ لَلْقَرَمِ قَاهِرٍ

براثِنهُ شُثْنٌ وعَيْناه في الدُّجا كَجَمْر الغَضا في وَجْهه الشّرطائر إذا قَلْص الأشداق عنها خَناجِرُ

يُدِلُ بأنياب حِدادٍ كأنها

أميرِ على الوَحْشِ المقيمة في القَفْرِ ويَقْطعُ كَا لَّلْصِ السَّبيلَ على السَّفر كما يَسْتُوى لحم القُتيل على الْجُمْر فإن بات يَسْرى باتت الوحش لاتَسْرى كأن على أرْجانه صِبْغَة الْحِبْرِ وقول عبد الجبار بن حمد يس : وليث مُقيم في غياضٍ منيعةٍ يؤسُّدُ شِبْلَيهِ لحوم فوارس هِزَبْر له فی فیه نار وشفرةٌ سِرَاجاه عيناه إذا أَظْلُم الدُّجا له جَبُّهُ مَثْلُ الْمِجَنُّ ومَعْطِن ۗ يُعَلَّمُول رعد من عظيم زئيره ويَلْمَع بَرْقُ من حماليقه الْخَسْرِ له ذَنَبُ مُسْتَنْبُطُ منه سَوْطه نرى الأرض منه وهى مَضْروبة الظَّهْر ويَضْرب جنبيه به فكأ نميا له فيهما طبل يَحْضُ على الكرَّ يَصُول بكَفَ عرضُ شَبْرِيْن عَرْضها خناجِرُها أَمْضى من القُضُب البُثْر يُحَوِّفُها خناجِرُها أَمْضى من القُضُب البُثْر يُحَوِّفُها خلال بدا للمين في أوّل الشّهْر

٢٣ ــ جود المهلب بن أبي ُصفرة

قال رجل من أهل يَثرِبَ يُشرف بالأسْلَمَّ :

« رَكِبنى دَيْنُ اْفَقَل كَأْهِلى ، وطالبنى به مُستحِقّوه ، واشتدّت حلجتى إلى ما لا بُدَّ منه ، وطاقت على الأرضُ ، ولم أهتدِ إلى ما أسنعُ ، فشاوَرتُ مَن أُمِن به من ذُوى المودّة والرَّأي ، فأشار على بقصد المهلّب بن أبى صُفرة بالمِراق . فقلتُ له : « تمنعنى المشقّة ، وبُعدُ الشُقّة ، وبيهُ المهلّب . » ثم إنى عدّلتُ عن ذلك المشير إلى استشارة غيره ، فلا والله ما زادنى على ما ذكره الصديق الأول ، فرأيتُ أنّ قبول المشورة خيرٌ من مُخالفتها ، فركبتُ ناقتى ، وصِبتُ فرأيتُ أنّ قبول المشورة خيرٌ من مُخالفتها ، فركبتُ ناقتى ، وصِبتُ رُفقةً في الطّريق ، وقصَدتُ المِراق . »

« فلمّا وصلتُ ، دخلتُ على المهلبِ فسلمت عليه ، وقلت له :
 « أصلح الله الأمير ! إنى قطّمتُ إليك الدّهناء ، وضربتُ أكبادَ الإبل من يثربَ ، فإنه أشار على بمضُ ذَوى الحِجا والرّأى بقصدك ؛ لقضاء حاجى . » فقال : « هل أتبتنا بوسيلة ، أو بقرابة وعشيرة ؟ » فقلت :
 « لا ، ولكنى رأيتُك أهلاً لقضاء حاجى ؛ فإن قت بها فأهلُ لذلك أنت ، وإن يَحُل دونَها حائل لم أذم يومك ، ولم أيئس من غَدِك . »

فقال الهلّب لحاجبه: « اذهب به وادفَع إليه ما في خزانة مالنا السّاعة . » فأخذَنى معه ، فوجدتُ فى خِزاته ثمانين ألف دِرهم ، فدفَعها إلى ، فلمّا رأيتُ ذلك لم أملكِ نفسى فرحاً وسرورًا ، ثم عاد الحاجب بى إليه مُسرِعاً ، فقال : « هل ماوصلك يقوم بقضاء حاجتك ؟ » فقلت : نم أبّها الأمير ، وزيادة . » فقال : الحمد لله على تُخِين مَشورَتك ، وتحقّق ظنّ مَن أشار مسيّك ، واجْتِنائك جَنْى مَشورَتك ، وتحقّق ظنّ مَن أشار عليك بقصدنا . »

قال الأسلميُّ : ﴿ فَلَمُّا سِمِتُ كَلَامَهِ ، وقد أُحرزتُ صِلْتَه ، أنشدتهُ وأنا واقف بين يديه :

يامَن على الجود صاغ الله راحته فليس يُحسِن غيرَ البَذْل والجودِ عَمَّت عطاياكُ أَهلَ الأرض قاطِبةً فأنتَ والجودُ مَنْحوتان من عودِ مَن استشارَ فبابُ النَّجْ منفَتِحُ لدَيْه فيما ابْتَغاه غيرُ مَردودِ

ثم عُدت إلى المدينة فَقضَيتُ دَيْني ، ووسَّمتُ على أهلى ، وجازَيْتُ المشير على من وعاهدتُ الله تمالى ألا أثركَ الاستشارة في جميع أمورى ماعِشتُ . .

٢٤ ــ نيضال العلماء حول ماهية الحرارة

النار والحرارة :

النار من ضرورات الحياة ، فهى التى تبدّد قارس البرد ، وتبعّث الدّف والحرارة فى أجسامنا ، وتساعدنا على طَعْى الطّمام ، وإعداد أقواتنا ، وتُضىء لنا الطُّرقات ، وتبدّد الطّلُمات ، وتساعدنا كثيرًا فى الصناعات ، فبالنّسخين يُمكن تشكيل الممادن الأَشكال التى تُريدها فى الصّناعات المختلفة ، وبها نسخَّن الماء إلى درّجة النليان ، ونستميل البُخار الناتج فى تَسْيير القطر التى تنقُل البضائع والناس إلى أَبصَد المساقاتِ ، وفى غير ذلك من الصّناعات المختلفة ، كصناعة الصّابون والسكر والتّدين وما إليها .

هذه هي النّار ، وهذه آثارُها ، فلا غَرْوَ إذا كان قد قدّسها بعضُ القدما ، وقداعتبرَها فلاسفة اليونان ومنهم أرسطو العالمُ الطبيعيّ اليونانيّ الكبير - عُنصرًا من العناصر الأربعة التي منها تتكون الأشياء وهي : النار ، والهوا ، والماء ، والتراب . وظلّت هذه المقيدة ثابتة إلى أوائل القرن الناسمَ عَشر ، فقد كان العُلماء يعتقدون أنّ الحرارة عنصرٌ من العناصر ، فينسبون إليها صِفة المادية ، وقد كانوا يُسمّون هذا العنصر الحراريّ

الكالوريك ، أو السيّال الحراري ، وينسبون برودة أيّ جسم إلى قلّة السيّال الحراري فيه ، وارتفاع درجة حرارته إلى زيادة السيّال الحراري فيه ، وقد بلغ من رُسوخ هذه المقيدة عندَم أنَّ الأكاديميّة الفرنسية أعلنت سنة ثمان وثلاثين وسَبْمائة وألف عن جائِزة كبيرة تمنحُها مَن يُحسن البحث عن ماهية الحرارة . وقدّم العلماء والمنسابقون أبحاثهم بعد جُهد كبير ، وقُحِمت الرّسالات ، ومُنحت الجائزة وكان الفائر بها ممّن يعتقدون بنظريّة السّيال الحراريّ .

وزير حربة وعالم :

ظلّت نظرية السيال الحرارى معمولاً بها عِدَّة قرون ، وبقيت عقيدة راسخة طَوال هـنه الحقب الطّويلة ، لا يَحسُر عالم من العلماء على هَدْمها ، ولا يجد من التّجارب ، أو الوسائل العِلْمية الحديثة ما يُمين على تَبْذها ، أو إقناع العُلماء بفسادها ، حتى هيّأ الله لها عالما تمكن من أن يُقوص أَركانها ، ويممَل على هَدْمها ، وهذا العالم هو « بنيامين تومسون » الذي منحه ملك بافاريا بألمانيا لقب « كونت رمفورد » .

وُلد ﴿ رَمَفُورِد ﴾ في قرية صغيرة بالولايات المتحدة بأمريكا ، وكَانَ ذلك سنة ثلاثٍ وخمسين وسبمائة بعد الألف ، وقـد شُغف بالأبخاث العلميّة منذ صِباه . وفي حَرب استِقلال أمريكا ، اتّهمه بنو وطنه بُمالأةِ الإنجليز ، وعدُّوه خارجًا عليهم ، فقبضوا عليه ، ولكنه تمكن من الفرار بُمساعدة الإنجليز — ولم تتجاوز سنة عندلذ الثانية والمشرين من مُحره — تاركًا زوجته وبنته . وفي إنجلترا تقلّب في وظائف إدارية وحربية عتلفة ، وشغل أثناء ذلك بالأبحاث العلمية إلى أن عُين سنة ثمان وسبمين وسبمائة بعد الألف عُضوًا في « الجمية الملكيّة بلندن » .

وفى سنة ثلاث وثمانين وسيمائة بعد الألف، رحَل إلى باقاريا ، ودخل فى خِدمة ملكها الذى أُعجِب بكفايته ونشاطه وذكائه ، فنحه لقب «كونت » سنة تسمين وسبمائة وألف كما أسلفنا ؛ تقديرًا لجهُوده الموفقة فى خدمة اليلم ، ونَشره فى بافاريا ؛ فقد أسّس مصانع عتلفة فى مدينة « ميونيخ » حاضرة بافاريا ، وفتح مدارس صناعية ، وأكاديمية حريبة ، وما زال يجد باحثا ومنقبا ، ومؤسسا للمُنشات الملمية، حتى اختاره الملك وزيراً للحريبة سنة ثمان وتسمين وسبمائة وألف. وقبل أن نذكر نظرية « رمفورد » فى ماهية الحرارة يحسن أن تُمم سبرة هذا العالم الجليل ؛ لأنه تُدوة حسنة ، ومثال يُحتذى . فاذركونت « رمفورد » بافاريا سنة تسع وتسمين وسبمائة بعد فاذركونت « رمفورد » بافاريا سنة تسع وتسمين وسبمائة بعد

الألف — بعد أن مات الملك الذي كان مُوليه عَطفَه وتقديره ، ورجع إلى إنجلترا حيث استمر في جِهادِه العلميّ ، وأسّس المعهد الملكِيّ لنشر العلوم التطبيقيّة سنة ثمانمائة وألف . ويتيّ في إنجلترا إلى سنة ثلاث . وثمانمائة وألف ، فنادَرها في هذه السنة قاصِدًا فرنسا . وهناك تزوّج بأرمَلة العالم الفرنسي المشهور « لافوزييه » ولكنه طلّق منها ومات سنة أربعَ عشرة وثمانمائة وألف في بلدة أوتيل() بالتّرب من باريس .

ظاهرة نجويف أنابيب المدافع :

وقد كأن من أمِّ أبحاث « رمفورد » المِلميّة ، بحثُه الخاصّ بماهية الحرارة ، وقد نشرَه سنة ثمان وتسمين وسبمائة وألف ، وقدّمه إلى المهد الملكيّ بلّنذن ، وذلك عند ما كأن وزيراً لحربية بافاريا، وقد دفعه إلى هذا الرأى حادثة أو ظاهرة لخظها عند ما كأن يُشرف فى مدينة « ميونيخ » على تجويف أنابيب المدافع ، فقد شاهد أن البرادة التي كأنت تتطاير من جوف الأنبوبة أثناء تجويفها ، مرتفعة الحرارة جدًا ، ولعل بمض هذه البرادة قد سقط على يده فلَذعه ، فلم يشأ

أن يتركَ هذه الظاهرة تمرُّ دون أن يجث فيها بحثًا علميًّا مبنيًّا على التجربة والمشاهدة والاستنتاج .

أعدّ «كونت رمفورد » لذلك مِقداراً كبيراً من المـاء بلغ ثمانيةً عشرَ رطلاً وثلاثةً أرباع الرّطل ، وتمكّن من تسخينها بالحرارة النَّاتِجة من تجويف أُنبوبة المِدفع، وصارت درجة الحرارة ترتفع حتى بلُّفت درجة الغلَّيان في مدَّة ساعتَين، وكل هذا بدون نارِ أو لهيبٍ ، بل إنَّ تَجَرَّد الاستمرار في حركة التجويف يجعل الحرارة تستيرً ، وهذا ما حَدَا ﴿ رَمُفُورِدِ ﴾ إلى أن يقرُّر نظريَّة جديدة في ماهية الحرارة، يهدِم بها النَّظرية القديمة المبنيَّة على فِكرة السَّيال الحرارىُّ ، ويقول إن الحرارةَ ليست سيَّالًا ، ولإ هي مادِّية في صِفاتها ، بل إنها مَظْهُر من مظاهِر الحركة ، وهذا لعَنْرَى اتجاه جــديث ، ونظريّة جريثة فى عَهده ، ولا غَروَ إذا كَانَ قد ا'نَبَرى له كثير من الملماء ينتقِصون من نظريته ، ويُخطَّثونها ويحاولون هدمَها .

تأييدات لنظرم رمغورو:

استمر النَّقاش والجدّل حول ماهية الحرارة زمناً طويلاً ، ولم يقتنَع جَهرة العلماء بالنظرية الجديدة ، ولـنكن كان هنـاك علماء جريئونَ أيّدوا النظريّة الجديدة ، وأولهم « السير همفرى دافى » العالم الإنجليزيّ المشهور (۱۷۷۸ — ۱۸۲۹) الذي أجرى تجربةً سنة تسع وتسمين وسبمائة وألف ؛ لتأييد نظرية ﴿ رمفورد ﴾ ، فأعدُّ قِطمتَين من الجليد، ووضَّعهما تحت ناقوس مُفرَّغ من الهواء، وتَمكن من صهرهما وِسَاطَة حَكُّهُما بِمضهما بِيعض بطريقةٍ آليَّة . وفرِّغ هواء النَّاقوس حتى لا يَكُونَ الجليد متصلاً بهواء أو أيَّ جسم آخرَ ، وحتى لا يقالَ إِنْ الْجَلَيْدِ انْصِهْرَ بِعَـد أَنْ اسْتَمَدُّ الْحَرَارَةُ مَنْ الأَجْسَامُ الْحَيْطَةُ بِهُ . وكان هذا الممول الشاني لهدم نظرية السيال الحراري ؛ إذ أنه لا يمكن أن ينصهر الجليد في هذه الحالَة من حرارة الجليد نفسِه ، وليس هناك تمليل آخرُ مقبولٌ غيرُ ما أَثبتَته نظريَّة ﴿ رَمُفُورُهِ ﴾ . ومع ذلك فقد كان « دافى » لا يزال فى شبابه عند إجراء هذه التَّجربة ، إذ لم يكن يتجاوَز عندئذِ الحاديةَ والعشرين ، ولذلك لم يجرُو على إعلان تجربته ورأيه إلى عام ١٨١٢ حتى يَسلَم من التَّسفيه والانتِقاص من قُدرته في بَدْء نَشاطه العلميّ .

ماير وعول :

وجاء بعد « دافی » عالِم آخر لتأیید النظریّة الآلیّة للحرارة ، وهو « مایر »(۱) الطبیبُ الألمانیّ (۱۸۱٤ – ۱۸۷۸) الذی انصرَف

Robert Mayer (1)

عن مِهنة الطب، وأُغْرِم بالأبحاث العلميَّة، ويقالُ إنه اتجه إلى هذه الأبحاث بعد أن عرَضت عليه حالة ٌ غريبة ٌ لمريض ، أثارت فيه حُمِيِّ التقصُّى والدَّراسة والبحث، وبدأ أبحاثه الملميَّـة سنة اثنتين وأربمين وثمانمائة بمد الألف، وتابع بمدها نشرَ آرائه العلميَّة، ومنها تأييدُه للنظريَّةِ الآليَّـة للحرارة . وقد قاسَى من جرَّاء ذلك الشَّىءِ الكثير من النَّسفيه والانتِقاص من مَقدِرته العلميَّة ، حتى إنه في اجتماع خاص في « هيدلبرج » – كان يمرض فيه تجارَبه وأبحاثه في هذا الموضوع — اعترضه أحد العُلماء بقوله : ﴿ إِذَا كَانَتَ نَظَرٌ يَهُ ﴿ مَايِرٍ ﴾ صيحة أمكن تسخين الماء بهزه وتحريكه . ﴾ ومن شدة تأثُّر ﴿ مايرٍ ﴾ بالانتقادات المتتمابِعة لم يُحرِرْ جوابًا أوَّلَ الأمر ، وخرج من الاجتماع دونَ ردٍّ على هذا الاعتِراض ، ولكنه بمد عدةِ أسابيعَ رجع إلى المعترض وييّن له إمكان تسخين الماء بتَحريكه .

وقد مات « مایر » سنة عمان وسبعین وتمانمائة وألف ، ولم یظفر عدیم أو إطراء علی نظریته ، ولکن تبعه عالم إنجلیزی مشهور وهو « جول » (۱۸۱۸ – ۱۸۸۹) ، وقد کان صاحب مصنع کبیر للجِمة « البیرة » وهوی الأبحاث العلمیة ، وصار یصل أبحاثه وتجاربه المتعددة فی موضوع ماهیة الحرارة ، حتی قبل إنه بَدأ

أبحاثه سنة خس عشرة وثمانمانة وألفٍ ، واستمرٌ فيها حتى سنةٍ خس وثمانين وثمانمائة بمد الألف ، أى نحو أربعين عاماً ، قضى بمدها القضاء الأخير على نظرية السّيال الحراريّ ، وأجرى تجربةً مشهورةً سنحٌن فيها الماء بتحريكه ، وأوجد عَلاقته الهامّة بين الطّاقة الحراريّة والطّاقة الآليّة .

واستتَبَّ الأمرُ لهذه النظريّة الحديثة آخرَ الأمرِ ، وهي النظرية المقبولةُ إلى عصرنا الحاليّ الحديثِ .



٢٥ _ ان سَناء الملك

هِبة الله القاضي السميد المعروف بان سناء الملك ، شاعر مصرى تجيد من شعراء القرن السادس الهجرى . اتصل بالقاضى الفاضل عبد الرحيم البيساني فكانت له منزلة سامية عنده، وكان في خدمته بدمشق سنة إحدى وسبمين وخمسمائة . ثم عاد إلى القاهرة وجرى بينه وبين الفامنل تَرشُل، ومدحَهُ بمِدَّة قصائدَ، وصنَّف كتاب روح الحيوان، لخُّص فيه كتاب الحيوان للجاحظ، وله ديوان مُوَشَّحات مماه (دارالطراز) وديوان شعر وديوان رسائل . تُوُثِّقَ بالقاهرة سـنة ثمان وستمائة الهجرة النبوية .

ومن شعره الذي حارت به الرُّكِّبان قصيدته الحاسيَّة التي منها : وَغَيرِىَ يَهْوِى أَنْ يَمِيشُ نُخَلَّدَا ولا أَحْذَرُ الموت الزُّوَّامَ إِذَا عَدَا لَحَدَّثت نفسى أن أَمُدًّ له يَدا وحلية حلمي تثرك السيف ماركا ولو كان لى نهر المُحَرَّةِ مَوْردا رأيت المُدى ألا أميل إلى الحدى

سِوايَ يَخَافُ الدَّهْرَأُوْيَرْ هَبُ الرَّدَى وَلَكُنَّنِي لَا أَرْهَبُ الدَّهِرِ إِنْ سَطَا ولو مَدَّ نحوى حادِث الدهر طَرْفه تَوَقَّدُ عزى يترك الماء خَبْرةً وأظمأ إن أبدى لى المـاء مِنَّةً ولو كان إِدْراك الْمُنْدَى بِتَذَلُّلُ وقِدْماً بنیری أصبح الدهر أشیباً وبی بل بفَضْلی أصبح الدهر أمَّردا وإنك عَبْدی یا زَمان وإنی علی الرغ منی أن أری لك سیّدا

وما أنا راضٍ أننى واطئ النَّرى ولى هِمَّـةٌ لا تَرتَضِى الأَفْق مَقْمُدا ولو عَلِمت زُهر النُّجوم مكانتى لَخَرَّتْ جيماً نحو وجعى سُجِّدا ولى قلم فى انْدَلَى إن هَزَزْتُهُ فَا ضرنى ألا أهز اللَّهَنَّدا إذا جال فوق الطَّرس وقع صريره فإن صليلَ النَّشَرَفِيُّ له صدى



ُ ٣٦ – كلمات فى الآداب لابن المقفع ابن اللَّقَفِّــــع

هو عبدُ الله بنُ المقفَّع ، أكتبُ كتَّاب العربية في الأدب والحكمة ومَذَهَبه في الكِتابة أعدلُ المذاهب وأَنْوتُها ؛ لطَلاوته وسَلاسته ، وبُمدِه عن الأَسْجاع والتَّكاليف . ولا يوجد له نظيرٌ في طريقته إلا الجاحِظُ وعبدُ الحَيدوسهلُ بنُ هرونَ وقليلٌ من أمثالهم . ومن حِكمه :

ا قة الفقـــر

إذا افتقر الرجل الهمه من كأن له مُؤْتِناً ، وأساء به الظّن من كأن يظن به حسناً ، فإذا أذنَبَ غيرُه ظَنّوه ، وكأن التُهمَة وسوء كأن يظن به حسناً ، فإذا أذنَبَ غيرُه ظَنّوه ، وكأن التُهمَة وسوء الظّن مَوضِعاً . وليس من خَلَّة هي الْفنيُّ مَدحُ إلا وهي الفقير عَيْبُ ؛ فإن كأن شجاعاً مُمِّى أهوَج ، وإن كأن جَواداً مُمِّى مُفسِداً ، وإن كأن حليا مُمِّى ضعيفاً ، وإن كأن وَثوراً مُمِّى بليداً ، وإن كأن لَسِناً مُّى مِهذاراً ، وإن كأن صموتاً ممَّى عَيِيًا .

المــودة

المودّة بين الأخيار سريع اتّسالهًا ، بعلى انقطاعها ، ومَثَل ذلك كَثَلِ كُوبِ النَّهب ، الذي هو بَطَي الانكسار ، هَيَّ الإصلاح . والمودّة بين الأشرار سريع انقطاعها ، بطي اتسالهًا ؛ كالكوز من الفَخَّار بكسرُه أَدْنَى عَبَثٍ ، ثم لا وَسْلَ له أبداً . والكريم يتنح مودّته عن لُثية واحِدة أو معرفة يوم ، واللّيم لايسِلُ أحداً إلا عن رَغْبة أو رَهْبة .

- - الحقيد

مَثَل الحِقد في القلب إذا لم يَجِد مُحَرَّكا مثَلُ الجَرِ المكنون إذا لم يَجِد مُطَلِماً إلى المِلَل كما تبتنى النَّار الحَطبَ ؛ فإذا وجَد عِلَّة استقرَّ ، فلا يُطفِئه حُسنُ كلام ، ولا لِينُ ولا رِفْق ، ولا خُضوع ولا تضرع ، ولا مُصالَمة ولا شَيْه دونَ تَلَف الأَنفُس ، وذَهاب الأرواح .

ء – اکحـــزم

الرجل ثلاثة : حازِم ، وأحزَم منه ، وعاجِز . فالحازِم من إذا نُرَل به الأمرُ لم يَدهَش له ، وَلم يَذهَب قلبُه شَماعًا ، ولم تَدَى به حيلتُه ومكيدَنه ، التي يرجو بها المَخرج منه . وأحزَم من هذا المقدامُ ذو المُدة ، الَّذي يعرِف الابتلاء قبل وُقوعه ، فيُعظِمُه إعظامًا ، ويَحتال له حيلة ؛ حتى كأنَّه قد لزِمه ، فيَحسِم الداء قبل أن مُيتلَى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو تردُّد وتحنَّ وتوان حتى يهلك .

م ــ المودة الكاذبة

إن أهل الدّنيا يتماطون فيما يينهم أمرين ، ويتواصلون عليهما . وها : ذاتُ النفس ه الأصفياء . وها : ذاتُ النفس ه الأصفياء . وأما المتبادِلون ذات النفس ه الأصفياء . وأما المتبادِلون ذات اليد فهُم المتماوِنون ، الذّين يَلتمِس بمُضهم الانتفاع بمض ومن كان يصنع المعروف بعض منافع الدنيا فإنّا مثلًه — بعض منافع الدنيا فإنّا مثلًه — فيما يبدُل ويُمطى — كمثل الصّياد وإلقائِه الحبَّ الطّير ؛ لا يُريد نفع نفسه .

و ـ أدب الحديث

لاتخلطنً بالجدُّ هَزْلاً ، ولا بالهزْل حِدًّا ، فإنَّك إن خَلَطَتَ بالجدُّ هزلاً هجَّنتَه ، وإن خَلَطَتَ بالهزَل جدًّا كَدَّرتَه ، غيرَ أَنَّى قد علمتُ موطِنًا واحدًا — إن قدرتَ أن تستَقبِل فيه الجدُّ بالهزل أصبتَ الرأى ، وظهرت على الأقران — وذلك : أن يتورَّدُك مُتورَّد بالسَّفَه والنضب ، فتُجيبَه إجابة الهازل المداعِب بِرَحْبٍ من الدَّرع ، وطلاقةٍ من الوجه ، وثباتٍ من المنطق .

۲۷ - أوراق ماليًــة ف الثرن السابع المحجرئ

كيفاتو بنُ أبا قاخان بن هلاكوخامس ملوك المغول المستين إيلخانية كان كما يقول مؤلف و حبيب السير » : « أسخى بنى هلاكو » . كان كما يقول مؤلف و حبيب السير » : « أسخى بنى هلاكو » . كان يَفيض جوداً فى موائده ، ولا يقف به حد فى الإسراف واللهو . وقد اختارلوزارته «صدر الدين الرّنجاني» المعروف بصدرجهان . ولم يكن الوزير مُخالفاً مولاه فى التّبذير ، فخلت الخزائن ، واشتدت الحاجة إلى المال ، وضاق بالملك الأمرُ . فبدا للوزير أن يأخذ عن أهل الصبن سُنة كانت معروفة عنده فى ذلك العصر ، هى : التمامل أهل الصبن سُنة كانت معروفة عنده فى ذلك العصر ، هى : التمامل بأوراق تُننى غناء الخَجَريْن الكريميْن ، أو المعدنيْن النفيسيْن : النّهبِ والفضة ي . وليس الفرق بين الورق والورق ذا خطر .

أمر الوزير بطبع أوراق للتّعامل سميت « جاو » ، وأنشأ في كلّ ناحية داراً لطبع الأوراق ، سميت « جاوخانه » ، وشرّع قانوناً يُحتّم على الناس الإقلال من تَداوُل الذهب والفضة جُهدالطاقة .

يم على حال الأوراق كما وصفها «رشيد الدين الشيرازي » – في تاريخه المعروف بتاريخ (وصّاف) – والمؤرَّخون المعاصرون على هذا الشكل: ورقة مستطيلة عليها كلمات صينيَّة ، وفوتها باللّفة العربية كلة الإسلام: « لا إِله إِلا الله ، محمد رسول الله » اتّباعاً للمألوف في

المَسكوكات الإسلامية ، وتحت هذا اسمُ الكاتب ، ودائرةُ كُتِب فيها قيمة الورقة . وكانت القيمة تختلف من نصف دره إلى عشرة دنا نيرَ . ومما كُتب على هذه الأوراق هذه الكلماتُ الهائلة « أصدرَ ملِك العالمَ هذه الجاو المباركة سنة ٣٩٣هـ ، فمن غيرها أو محاها يُقتَل هو وزوجه وأولاده ويصادَر ماله . »

وأُرسِلت إلى المدن منشوراتُ تُبيِّنُ فوائدَ التَّمامل بهذه الأوراق، وتبشَّر النَّاسَ أَنَّ الفقرَ والبُّؤس سيزولان لاعالة إن دام التَّماملُ بها . ونما جاء في هذه المنشورات بيت فارسىُ ترجتُه :

« إذا راجت فى العالم الجاو دام رَو نَق الملك أبداً . »

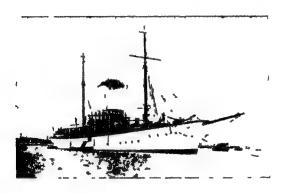
ومما جاء فى قانون هذه الأوراق: أن الورقة التى تُمَرَّق أو تَبلَى تُردُّ إلى « الجاوخانه » . ويُمطى صاحبها ورقة أخرى تنقُص عنها عُشرَ القيمة .

ثار الناس على هذه الأوراق ؛ فيُروَى أنه جُمِلَ موعد تداولها فى مدينة « تَبريز » شهر ذى القعدة سنة ٣٩٣ ه . فلما جاء الموعد أقفلت الحوانيت ثلاثة أيّام ، ووقفت الأعمال ، وأبَى النّاس أن يَقبَلوا الجاو المباركة وكان أعظم رجال الدّولة نصيباً من سُخط الناس وبفضهم وغِنْ الدين المظفّرُ » ، الذى وُكِل إليه إخراجُ الأوراق والقِيامُ عليها .

انتشرتالتُّورةُ في مُدُن كثيرة، حتَّى ذهب كبراه المغول إلى السّلطان وكيخانو،، فكلَّموه في أمر هذه الأوراق البَفيضة حتى رَضِيَ بإلغائها .

٢٨ ــ اللاسلكي وهيداية السفن

قد أصبح للاسلكي شأن يذكر في ميادين جديدة ، وآثاره فيها ظاهرة جلية ، وفوائده لا تحد ولا تحصى ؛ فقد ربط ما بين البحر والأرض ، وما بين الجو والأرض ؛ فجمل السفن والمواخر وسط البحار والمحيطات وثيقة الاتصال بالأرض وما عليها من محاطً .



النيــــل

وهذه محاط لاسلكية خاصة أتيمت عند الشواطئ والمطارات ، ترسل موجات اللاسلكي إلى هذه السفن والمواخر والطيارات ، فتبدل من وحشتها أساً ، ومن انقطاعها اتصالاً ، ومن خطرها أمناً ، ومن

فزعها اطمئنانًا ؛ فلكل باخرة جهازان لاسلكيان : مرسل ومستقبل . والمستقبل عن النوع الإطارى(١) وهذا الهوائي من شأنه



آنه يستقبل موجات اللاسلكي على أحسن حال ، وينتج أشد صوت عند ما يكون مستواه متجها نحو محطة الإذاعة التي يستقبل منها ، وإذا أدير الهوائي عن هذا الوضع فإن الصوت الذي يسمعه عامل

اللاسلكى فى السفينة أو الطائرة يضمف حتى يكاد يتلاشى ، إذا كان مستوى الهوائى صوديًا على موجات اللاسلكى المستقبلة ، وبذلك يمكن السفينة أن تعرف موضعها بالنسبة لمحط لاسلكى خاص معروف موضعه ، بل وتحدد موضعها الجغرافى الضبط ، إذا عرفت اتجاهاتها بالسبة لمحطين أو أكثر من هذه المحاط

ويمكن أن نعتبر الهوائى الإطارى وملحقاته بالسبة للسفينة أو الطيارة بوصلة اللاسلكى (٢٠ ، ولكل سفينة أو طائرة مثل هذه البوصلة ، وبسمى أيضاً مُعَينة الاتجاه اللاسلكى (٢٠ ، وهذه البوصلة لا تعين الاتجاه فحسب ، بل تحدد الموصع الجنراني تماما ، وتحدد

¹³ idio Compuss (v) Frame Aerial (i)

Redic Di ection Finder (v)

الموضع بالنسبة للمواخر الأخرى أيضاً ، فتتلاق مصادمتها فى الضباب الكثيف .

و إذا وقعت الباخرة فى محنة يمكنها أن ترسل الاستفائة اللاسلكية وتتلقاها المواخر الأخرى التى يمكن أن تحدد موضع السفينة المستغيثة بالبوصلة اللاسلكية وتسرع إلى نجدتها هذا وإذا كان الفنار المقام على الشواطئ هوالهادى للسفن فى الجو الصحو ، فإن بوصلة اللاسلكي تُمنذُ الفنار الذى يهتدى به فى جميع الظروف الجوية المختلفة ؛ إذ أن موجات اللاسلكي تخترق الجو المعتم والمنهم ، فى حين أن موجات المسلكي تخترق الجو المعتم والمنهم ، فى حين أن موجات المضوء تعجز عن ذلك لمسافات بعيدة .



۲۹ ــ دهاء معاوية

كان لعبد الله بن الزُّيَر أرض ، وكان له فيها عبيد يمتلون فيها ، وإلى جانبها أرض لمُماوية ، وفيها أيضاً عبيد له يمتلون فيها . فدخل عبيد مماوية في أرض عبد الله بن الزُّير ، فكتب عبد الله كتاباً إلى مُماوية يقول له فيه :

« أمَّا بعدُ فيا مُعاويةٌ ! إن عبيــدك قد دخلوا في أرضى فأنْهَهُم
 عن ذلك ، وإلاَّ كان لى ولك شأن والسّلام . »

فلمًّا وقف مُماوية على كتابه وقرأه ، دفعه إلى ابنه يَزيدَ ، فلمًّا قرأه قال الله مماوية : ﴿ يَا مُنِيَّ ! ماترى ؟ ﴾ قال : ﴿ أَرَى أَن تَبَعْث إلى هماوية : ﴿ يَا مُنِيَّ ! ماترى ؟ ﴾ قال : ﴿ أَرِى أَن تَبَعْث إلى هماوية عنده ، وآخره عندك ، يأتونك برأسه . ﴾ فقال : ﴿ بِل غيرُ ذلك خيرُ منه يا مُنِيَّ . ﴾ ثم أخذ ورقةً وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه : —

« أمَّا بعد – فقد وقفتُ على كتاب ولد حَوارى ٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساءنى ماساءه ، والدُّنيا بأشرها هيَّنة عندى فى جَنْب رِضاه ، نزَلتُ عن أرضى لك ، فأُصِفْها إلى أرضِك بما فها من العبيد والأموال ، والسلام . »

فلما وقف عبد الله بنُ الزَّبير على كتاب مُعاوية كتب إليه : « بند وقفت على كتاب أمبرِ المؤمنين أطال الله بقاءه ، ولا أعدَمه الرأى الذى أحلَّه من قريش ِ هذا المحلِّ ، والسلام . »

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقرأه ، رمَى به إلى ابنه يَزيدَ ، فلما قرأه "لملّل وجهه وأَسفَر ، فقال له أبوه : ﴿ يَا مُنِى ! مَن عَفَا سَادَ ، ومن حَلُم عظُم ، ومَن تجاوزَ استَمال إليه القلوبَ ، فإذا ابْتُليتَ بشيء من هذه الأَدْوَاء فدَاوِه بمثل هذا الدّواء . »

٣٠ _ القطب

انظر إلى الساء ليلاً ووجَّه بصرك نحو الشّمال ، نجِدْ نجوماً أربعةً لامعة تكوَّن شكلاً مستطيلاً. وعلى مقرَبة من أحدها ثلاثة نجوم ، تؤلف خطًا مُنحنياً قليلاً ، آخر هذه النجوم الثلاثة – وهو أظهرها – يسمى : « القطب » . وهو نَجَم ثابت يبدو للراصد أن النّجوم كلّها – أو القبّة السماوية – تدور حوله .

هذه النّجوم السبعة – ومعها نجوم صغيرة لا تُحصى – تُسَمى « الدُّبُّ الأصغر ، تختّل القدماء هذا المستطيل الذي تَكوُّنه النجوم الأربعة جسمَ دُبِّ ، وهذه النجوم الثلاثة ذيلاً له

وعلى مقرَبة من الدُّب الأصغر سبمة نجوم أخرى أكتر لمَانًا ، تُوَلِّف دَبًّا آخر يسمى : « الدبّ الأكبر » . هذان الدّبّان وطوائف أخرى من النجوم قريبة منهما لا تَحْتنى ، بل تُرى ظاهرة فوق الأفْق أبداً . فإذا بدُدنا إلى الجُنوب رأينا صُورًا أخرى من الكواكب لها أسماء أخرى – مثل : الأسد والنّسر – تشرُق وتغرُب، أى تظهر فوق الأفق ثم تَنيب وراءه .

وهناك طوائفُ أخرى من النَّجوم لا تظهر لنا إلا إذا انتقَلْنا إلى

نصف الأرض الجنوبيّ ، كما أن بعض النجوم التي تظهر فوق أفقنا لا تُرى هناك. والعرب يُسمّون الدبّ الأصغر: « بنات نعش الصغرى» ، والأكبر: « بنات نعش الكبرى » . تخيّلوا النّجوم الأربعة نعشاً ، والثلاثة التي وراءها بنات تسير خلقه . ويسمون القطب : « الوّيد» ، والنّجم الذي يليه : « البّحدى » ، والنّجمين اللاممين في بنات نَعش السّعرى : « الفَرْقَديْن » . وفي بنات نعش الكبرى نَجَمْ خنى يسمى : السّما ، والناس يمتحنون به أبصارَ هم خلفائه .

وقال المتنبي :

كأن بناتِ نعشٍ في دُجاها ﴿ خَرَاثِيدُ سَافَرَاتُ فِي حِدَادُ

وقال بعض الشمراء :

وكل أخ مفارِقُه أخـــوه لمَثْرُ أبيك إلا الفَرْقدانِ

وقال الَمرَّى :

فاسألِ الفرْقَديْن عمن أحسًا من قبيلٍ وآنَساً من بلاد كم أقاما على زوال ِ نهـار وأنارا لمـُدليج في سـَــوادِ

وقال :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعيَّر قُسًا بالفهاهة باقِيلُ وقال الشَّما للشَّمس أنتِ صَنْيلةٌ وقال الشَّما للسّبح لوُنك حائِلُ وطاولت الأرضُ السماء سفاهةً وفاخرت الشّهب الحصى والجنادل فياموتُ زر إن الحياة ذميمة ويانفس جِدى إن دهرك هازل

وفى المثل : (أريها السُّها ، وتُرينى القس) .

وقد سمَّى النابغةُ الجُمدِيُّ بناتِ نعش بني نعشٍ فقـال :

وصهباء لاَيَخَنَى القذى وهى دونه تُصَفِّقُ فى راووقها ثمَّ تُقَطَّبُ تَمَرَّزْتُهَا والديك يدعو صباحه إذا ما بَنو نعش دنَوْا فَتَصَوَّبُوا



٣١ ــ منكلام قُدامة بن جعفر في كتابه نقدالنثر

من أوصاف الخطابة: أن تُفتَتَح الخطبة بالتّحميد والتّمجيد، وتوشح بالقرآن وبالسائر من الأمثال ؛ فإن ذلك مما يَزين الخطب عند مستمعيها ، وتعظم به الفائدة فيها ؛ ولذلك كانوا يُستّون كل خطبة لايذكر الله في أولها : دالبَرَّاء ، وكل خُطبة لاتوشح بالقرآن والأمثال : دالسَّوْها ، ولا يتمثل الخطيب في الخطب الطّوال التي يُقام بها في الحافل بشيء من الشّعر ، فإن أَحبَّ أن يستعمل ذلك في الخطب القيصار ، والمواعظ والرسائل فليفمل ، إلا أن تكون الرسالة إلى خليفة ؛ فإن عَلَّه يرتَفيعُ عن التَّمثيل بالشعر في كتابه إليه ، ولا بأس خليفة ؛ فإن عَلَي ها الرسائل .

وأن يكون الخطيب أو المترسَّل عارِفاً بمَواقع القَوْل وأوقاته ، واخْبَال المخاطَبين له ؛ فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة ، فيقصُرَ عن بلوغ الإرادة ، ولا يَسْتَعْمِل الإطالة في مَوْضع الإيجاز ، فيتجاوز مقدار الحَاجة إلى الإضجار والملكلَّة ، ولا يَسْتعمِل ألفاظ الخاصة في مخاطبة السامة ، ولا كلام الملوك مع السُّوقة ؛ بل يُعطى كلَّ قوم من القول بمقدارِه ، ويَرْنَهُم بوَزْنِهم ، فقد قيل : « لِكلَّ مقام مَقالُ »

وإذا رَأَى من القوم إقبالاً عليه ، وإنْصاتاً لقوله ، فأحَبُّوا أَنْ يَرِيده — زاده على مِقدار اخْبَالهم ونَشاطِهم . وإذا تَبَين منهم إغراضاً عنه ، وتناقلاً عن اسْبَاع قوله — خفَّت عنهم . فقد قيل : « من لم يَنْشَط لكلامك فارْفع عنه مئونة الاسْبَاع منك . »

وليس يكون الخطيب موسوفا بالبلاغة إلا بوَضع هذه الأشياء مواضعها، وأن يكون على الإيجاز إذا شرع فيه قادِراً، وبالإطالة إذا احتاج إليها ماهراً. وقد وصف بمضهم البلاغة بما قلناه فقال وقد سئل عنها: «هى الاكتِفاء فى مقامات الإيجاز بالإشارة، والاقتدار فى مواطن الإطالة على النزارة، » وقال الشاعر فى هذا المنى: يرمون بالخطب العلوال وتارة وهى المكلحظ خيفة الرقباء وقال جعفر بن يحيى: « إذا كان الإيجاز أبلغ كان الإيجاز ما يحمد وقال أيكار من الإيجاز كافياً كان الإيجاز من الإيجاز من الإيجاز كافياً كان الإيجاز من الإيجاز من الإيكار . » فيين ما يحمد من الإيجاز، وما يحتاج إليه من الإكثار.

فأما المواضع التي يَنبني أن يُسْتَممل كل واحد منها فيه : فإن الإيجاز ينبني أن يُستعمل في مخاطبة الخاصّة وذَوي الأفهام الثّاقِبَة ، الدّين يَحتَزِئون يبسير القوال عن كثيره ، ويجمله عن تفسيره . وفي المواعظ والسَّنَن والوَصايا التي يُراد حفظها ونقلها ؛ ولذلك لا ترى

فى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم والأثمة شيئًا يطول، وإنما يأتى على غاية الاقتصار والاختصار وفى الجوامع التى تعرض على الرُّوْساء، فيقفون على معانيها ولا يشغلون با لإكثار فيها .

وأما الإطالة : فني مخاطبة الموامَّ ، ومن ليس من ذَوى الأَفْهَام ، ومن ليس من ذَوى الأَفْهَام ، ومن لا يَكْتَنى من القول يبسيره ، ولا يَنْفَتَق ذِهْنُهُ إلا بتكريره وإيضاح تَفْسيره ؛ ولهذا استعمل الله عزَّ وجلَّ في مواضع من كتابه تكرير القصص ، وتصريف القول ؛ ليفهم من بَمُدَ فَهْمُهُ ، ويَملم من قَصُرَ علمه . واستعمل في مواضع أُخْرى الإيجاز والاختصار لذوى المقول والأبصار .

فيما رُوى من الخطب القصيرة ، والرّسائل الموجزة ، والألفاظ المختصَرة ما نحن ذاكروه أو بعضه ، ليدُلُّ على سائره ؛ فمن ذلك : خُطبة الني صلى الله عليه وسلم ، وهي أن قال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس! كأن الموت في الدنيا على غيرنا قد كُتِبِ ، وكأنَّ الحقّ فيها على غيرنا قد كُتِبِ ، وكأنَّ الخقّ فيها على غيرنا وَجَبِ ، وكأنَّ الذين نُشَيِّعُ من الأموات سَفْرُ ، هما قليل إلينا راجعون ، نُبَوَّئُهم أَجْداتُهم ، ونَأْكُل تراثهم ، كأنَّا يُغَلِّدونَ بعده . قد نَسينا كلَّ وَاعِظَة ، وأمِنا كلَّ جائِحة . طُوبي لمن شَظَة عَبْبُه عن عُيوب الناس ، وأَنْفَق من مالٍ اكْتَسَبَة من غير مَعْمِينَة ، ورحم أهْل الذَّل ، وخالَطَ أهل الفِقْة والحِكْمَة . طُوبي مَعْمِينَة ، ورحم أهْل الذَّل ، وخالَطَ أهل الفِقْة والحِكْمَة . طُوبي

لمن زكت َنفْسه ، وحَسُنَتْ خَلِيقَتُه ، وطابت سَرْيرَتُه ، وعَزَلَ عن النَّاس شَرَّه وأَنفَق الفَضْل من ماله ، وأَمْسك الفَضْلمن قَوْله ، ووسِمَتْه السُّنَّة ، ولم يَمْدُها إلى البِدْعَة . »

وخطبة أخرى له عليه السلام :

حَدِد الله وأثنى عليه ثم قال : أثبها النّاس ! إِنَّ لَكُمْ مُعَالِمُ فَانْتَهُوا إِلَى مُعَالِمُ فَانْتَهُوا إِلَى مُعَالِمُكُمُ ، وإِنَّ لَكُمْ نِهَايةً فَقَفُوا عند نِهَايَتَكُم ، إِنَّ المؤْمِنَ بِين نَخَافَتَيْن : بِين أَجَلِ قدمَضَى لا يَدْرَى مَا الله صافِح فيه ، وبين أَجَلِ قد يَقِي لا يَدْرَى مَا الله قاضٍ فيه . فليأُخُذ امرؤ مِن نَفْسه لنَفْسه ، ومن قد يُناه لا يَحْرَته ، ومن الشّبيبَة قبل الكِكبَر ، ومن الحياة قبل الموت . والذي نفس محمد بيده ، ما بَعْدَ الموب من مُسْتَعَتَبٍ ، ولا بعد الدنيا من دار إلاّ الجنّة أو النّار "

ومن الرسائل القصيرة الآتية على المعانى الكثيرة، رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة لما كتب إليه : « من مُسَيْلُمة رسول الله إلى محمد رسول الله . أمّا بعد ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قسم الأرض بيننا ، ولكنّ قُرَيْشًا قومُ غَدْر . » فكتب إليه : « من محمد رسولَ الله إلى مُسَيْلُمة الكذّاب أمّا بعد – فإن الأرض لله يُورثها من يَشاه من عِباده، والماقبةُ لِلْمَتّقين . »

ورسالة يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد - وقد بلغه عنه بعض التَكُونُ في بيعته - فكتب إليه :

من عبد الله أمير المؤمنين يَزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد.
 أما بمد فإنى أراك تُقدَّمُ رِجلاً وتوَّخَر أُخْرى ، فإذا أَتَاك كتابى هذا
 فاغتيد على أيهما شِئْت ، والسلام . »

ومن موجزالتوقيعات :

وقع أبو صَالح بن يزداد إلى رجل أَذْنب: «قد تَجَاوَزْتُ عنك، فإنْ عُدْتَ أَعَدْتَ أَعَدُتُ إِلَيْكَ ما صَرَفْتُهُ عنك. » وإلى آخر خافه: « ليس عليكَ بأس ما لم يكن منك بأس. » وإلى آخر أدل بكفايته: « أَذْلَلْتَ فَانْ مَا أُمَلْت. »

ووقع المـأمون إلى عامل شكى له: «قد كثُرَ شـاكوك ، وقلّ شاكروك ؛ فإمّا عَدَلْت ، وإمّا اغْتَرَلْت . » ووقع فى أمر الجند : «لا يُمطَوا على السَّنَب، ولا يحوجوا إلى الطلّب . » ووقع طاهر ابن الحسين : « والله لئن حَمَثُ لأَفْملَنَ ، ولئن فَمَلَتُ لأَبْرَمَنَ ، ولئن أبرمثُ لأُخكمن . »

ووقع يحيى بن خالد فى نكبة إلى رجل سأله عن حاله . ﴿ أَحْسَنُ النَّاسَ حَالًا فَى النَّمَةُ مَنِ ارْتَبَطَ مقيمها بالشَّكر ، واسْتَرْجَع ماضيها بالصّبْرِ »

۳۲ – المستشرقون وآثارهم في الأدب المربي

المستشرقون طائفة من علمناء الغرب ، درسوا اللغة العربية دراسةً أُهَّلَتْهُم للعمل على إِحيائها بالعلم والتعليم والتأليف . واهتمامُ الغربيين باللغة الغربية يرجع إلى الأجيال الوسطى قبل تَمَدُّيْهُم الحديث ؛ فقد بدءوا يهتمون بها ، ويُقْبلون على تعلمها من القرن الماشر الميلادى ؛ لِيَطَّلموا على ما فيها من علوم طبيميَّة وطبية وفلكية وفلسفية . ونقلوا أم الكتب فى هذه الملوم إلى اللاتينية ، وهى لسان الملم عندم يومئذ .



ويدرنك الناني وحولهالأطناء والعلماء من العرب

وفى القرن التانى عشر الميلادي ، أصبحت طُلَيْطلَةُ وغيرها من مدن الأندلس آهلةً بالنازحين إليها من الإفْرنْجَـة ؛ للاستفادة والترجمة – كما كانت بفدادُ في عهد الرشيد والمأمون . واهْتَمَّ ماوكُ أَوْرُبًّا حيىنــٰذ بآداب العرب للاستفادة منها . والانتفاع بها .

وأول من سمى في هذا السبيل « فِرِدْرِيكُ التاني » المَتَوَنَّى سنة ١٢٥٠ م « وأُلفونس » صاحبُ قَشْتَالَة ؛ فقد جمع إليه ، المترجمين كما فعل المأمون ، وأمرهم بترجمة كُتُبِ العربِ إلى الإسبانية ، ثم إلى اللاتينية . ثم شاح ذلك في سائر أَوْرُبُّا بعد هذا ، فَقَضى ملوكُها معظم القرون الوسطى في النقل والترجمة ، حتى بلغ عدد ما تُقِلَ من العربية إلى اللاتينية أَكْثَرَ من ٣٠٠ كتاب

وفى القرن الخامس عَشرَ ، بدأتْ رومة بإرسال المَبَشَّرين إلى الشرق ، فامنطُرُّوا إلى تَمَلَّم العربية ؛ ليستطيعوا القيام بمُهَمَّتهم ، فبدأ بهذا الاستشراق. والفضلُ فيه لرومة ، التي أيدتْ فَضْلُهَا بإنشاء المطابع العربية، وجَمْع كَتُبِ السّرق ، وحِفْظِها في مكتبة « الفاتيكان » وغيرها .

م اقتدت فرنسا وليطاليا ؛ فأوجدَت المطابع السريية ، وحذا حَدْوَها دَوْلُ أَوْرُبًا وبعد ماكان الاستشراق خاصًا برجال الدين ، وكانت فا يَتُه النبشير — صارعامًا ، يُقْمَدُ منه درس اللغات الشرقية وآدامها . وفي أوائل القرن السابع عَشر ، أخذت آثار المستشرقين في الظهور ؛ فظهر أول كتاب في قواعد اللغة « لأربانيوس » في ليدن سنة ١٦٦٣م .

وجاء القرن الثامن عَشرَ ، وقد أصبح الإفْرَنْجَة أكْبَرَ رغبةً فى استطلاع أحوال الشرق على اختلاف أُمِّه ولناته – ولا سيما العربية ، فاشتغل كثير منهم بطبع الكتب العربية فى التاريخ والأدب وغيرهما وتَشْرِها . ولم يَنْقضِ ذلك القرْنُ حتى أنشأ الفرنسيون مدرسة للغات مُ الشرقية الحيَّة .

وأصبحت فرنسا فى أوائل القرن التاسع عَشرَ كَتْبَةَ مُلَابِ العلوم الشرقية . يَوْمُثُونها مِن أَلمَانيا وإيطاليا وإسوج . وأكثر الشرقيين الذين نبغوا فى النصف الأول من هذا القرن من تلاميذ هذه المدرسة . وكان « لبونابرت » يد فى تنشيط الآداب العربية فى فرنسا ، ولا سيا بعد أن جاء إلى مصر ، وشاهد آثارها .



الاستاد دوري



سلمستر دساسي

وكَثُرَ بمد ذلك المستشرقون من جميع الأمم الغربيـة ، وأفادوا اللغة المربية وآدابَها فوائدَ تَتجلَّى فجا يأتى : —

(١) طبعُ كثير من كتبها طبعاً مُتَّقْناً ، والعنايةُ بضبطها ، وتَبُوِيبِ الكتب المجملة وتفصيلها ، ونشر هذه الكتب بمد وضع فهارِسَ مختلفةٍ لموضوعاتها ، وشرح ما تَمَسُّ الحاجةُ إلى شرحه منها . (۲) يبان مزايا اللغة العربية للإفرنجة ؛ بما تقلوه إلى لغاتهم من دواوين فطاحل الشعراء؛ أمثال : امرئ القيس ، والنابغة ، وطَرَفَة ، والخنساء ، والفرزدق ، والمتنبى ، وأبى العلاء — ومن كتب لغوية وأدبية ؛ أمثال : تاج العروس ، وأطواق الذهب ، ومقامات الحريرى ،



الاستاد عولترير المحرى



الاستاد ىراون الاىكلىرى

(٣) جمعُ النصوص الأدية والتاريخية لموصوع واحد في كتاب خاص .كما فعل المستشرق د امرى ، الإيطالى فى المكتبة الصَّقَلَـيَّـة ، وهو كتاب جمع كل ماورد فى كتب العرب عن صقلية

(٤) حفظ المخطوطات العربية فى المكاتب الكبرى فى عواصم أَوْرُبًا ، وإقامةُ المؤتمرات الشرقية ، يُدْعَى إليها أفاضلُ العلماء والأدباء من أطراف الدنيا

(٥) إنشاء فروع جامعيَّة لتعليم اللغة العربية في الجامعات الكبرى.



الاستاد حويدى الايطالي



الاستاد تولدكي الالماني

(٣) كتابة تاريخ آداب اللغة العربية كتابة مُفَصَّلَة على الاستقراء والاستنباط الدقيق ، وعلى البحوت الوافية المفصلة ، التى قام بها كل مستشرق في ناحية تَخَصَّصِه ، حتى تألف من ذلك عِلْم قوى الأركان ، كان له أكْبَرُ الأنر في إحياء الآداب العربية .

كل هذا سما بالأدب العربي، ونَشرَه في جميع أُنحاء العالم، وأَذْهَب من أذهان الأجانب مارسخ فيها في أتناء الأجيال المظلمة من سوء الظن بالإسلام ولغته، واحتقار أهله، وأزال خُرافات وأباطيلَ ، وحمل الغربيُّ على احترام الشرقيُّ ، والاعترافِ بفضل اللغة العربية، والنظر إلى أهلها نظر النَّدُّ للنَّدُّ ، والقرين للقرين .

ويمد دِساسى وكاترمير الفرنسيان فى مقدمة المستشرقين ، ومن أشهر هم فأوغِل وديتريتشى وفون كريمر ونولدكى من الألمسان ودوزى الهولندى ، ولين ومرجليوث وبراون من الإنجليز ، وغولنزير المجرى ، وجويدى الإبطالى .



٢٣ ـ حماية المستجير

كان العرب من أحرص الناس على حِماية المُسْتَجير، والذوْدِ عنه، وإن بذلوا في سبيل ذلك المُهَجَ وتفائس المال.

فن ذلك : ما رُوِى آن أمير المؤمنين المهدى ّ – ثالث خلفاء الدولة العباسية – أهْدَرَ دَمَ رجل كان يسمى فى إفساد دولته، وجمل لمن يقتله، أو يأتيه به مائة ألف درم، فلبِثَ الرجل زمانًا خاتفًا يترقّب.

ويينها هو يسير متنكَّراً في بعض دُروب بغداد ، إذ بَصْرَ به رجل كان يَمرفه ، فأُخـــذ يبده ، وقال : و بُغيَّة أمير المؤمنين . » فاجتمع الناس، وجَهِدوا أن يطلقوه فلم يقدروا . فمرَّ به وهو في تلك الحالة ممن بن زائدة ، فنـاداه الرجل ، وقال له : « يا أبا الوليد ! أُجِرْنَى ، أَجارِكُ الله ! » فقال ممن لبمض غلمانه : ﴿ إِنْنُولُ عَنْ دَابِّتُكَ ، واعمِله إلى منزلى . ، فقال الرجل الذي أمْسك به : ﴿ أَتَحُولَ يَنِي وبين طَلِبةِ أمير المؤمنين؟ ، قال معن : ﴿ اِذْهَبِ إِلَى أَمير المؤمنين ، وأُخْبِرُهُ أَنهُ عندى . ٥ فذهب الرجل وأُوصَلَ الْحَبِرِ إلى المهدى ، فَبَعثَ إليه من يُحْضِرِه . فركب ممن ، وقال لمن خَلفَه من غلمانه : « لا يَخْلُص إلى هذا الرجل أحَدْ وفيكم عَين ٌ تَطْرِف فإنَّه في جوارى . » فلما دخل معن على المهدى سلَّم ، فلم يرد عليه السلام ، وقال له : « أَنجِيرُ عَلَى ۚ يَا مَمَنَ ؟ ۚ قَالَ : ﴿ نَمِ ! ﴾ قَالَ : ﴿ وَنَمَ أَيْضًا ؟ ؟ ﴾ فقال ممن : ﴿ يَا أُمِّيرُ المُؤْمِنَينَ ! لقد قتلت في طاعتكم بالنمين في يوم واحد خسة عشرألفًا ، ولى أبام كثيرة عُرف فيها بلائى وغَنائى ، أفلا تَرانى أَهْلاً لأن يُوهب لى رجل واحد اسْتجار بي ؟ ، فأطْرَق الهدى مَلِيًّا ، ثم رفع رأسه وقد شُرًّىَ عنه ، وقال : ﴿ قَدْ أَجِرْنَا مِنِ أَجِرِتُ يا أبا الوليد . » فقال ممن : « فإن رأى أمير المؤمنين أن يَصِلَه ، فيكون قد أحْياه وأغْناه. » فقال : قد أمرنا له بخمسين ألف دره. » فقال : ﴿ يَا أَمِيرِ المُؤْمِنَينِ ! إِنْ صِلاتِ الْخُلْفَاءَ تَكُونَ عَلَى قَدْرَ جِنَايَاتِ الرَّعَيَّةِ ، وإن ذنب الرجل عظيم ، فأجزل له الصلة ، قال : قد أمرنا له عائة ألف درهم . » قال ممن : « إن رأى أمير المؤمين أن يُعَجِّلها فإن خير البرُّ عاجله . » قال: عَجلناهــا له. ، فأخذها وانصرف بها إلى الرجل ، ولم يَر المهدى وجهه .

فعاد الرجل إلى سالف طاعته وخدمته لدولته ، وندم على ما فرط من ذنبه

٣٤ _ الجبان المستأسد

كان أبوحية النُّميري جبانًا بخيلاكذابًا . قال ان قتيبة : ﴿ وَكَانَ له سيف يسميه : « لماب المنية » ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . وكان أجبن الناس . دخل ليلةً إلى يبته فسمع صوتاً لا عهد له به ، فانتضى سيفه ، ووقف في وسط الدار ، وأخذ يقول : ﴿ أَيُّهَا الْمُغْتَرِ بِنَا ! الْمُجْتَرِئُ علينا ! بئس — والله — ما اخترت لنفسك : خير قليل ، وسيف صقيل ، « لماب المنية » الذي سمعت به ، مشهورة ضربتهُ ، لا تُخاف نبوته ، أخرج بالمفو عنك قبل أن أدخل بالعقوية عليك . إنى — والله — إن أدع قيساً إليك لا تقم لها . وما قيس ؟ تملأً – والله – الفضاء خيلا ورجْلا ؛ سبحان الله ما أكثرها . ،

ويينا هوكذلك إذ خرج كلب من باب الدار فقال : « الحمد لله الذي مَسَخَك كلبًا ، وكفانًا حرْبًا . »

« نهاية الأرب »

٣٥ - الجل الشاعر المصرى

هو الخسين بن عبد السلام ، الشّاعر المِصرِيُّ المعروف بالجُل ، المَّاوَقَى سنة ثمان وخسين وماثنين ، وقد قارَب النَّسمين . كان شاعراً مُفلِقاً ، مدح الخلفاء والأمراء ، وقدم دِمَشق وافداً على أحمد بن المدبَّر، وكان أحمد يَشْهِرُ جَيَّد أُجزَل صِلَتَه ، ومن مدحه بشهْرِ جَيَّد أُجزَل صِلَتَه ، ومن مدحه بشهْر جَيَّد أُجزَل صِلَتَه ، ومن مدحه بشهْر جَيَّد أُجزَل صِلَتَه ، ومن مدحه بشهْر دىء ، وجَّه به مع خادم له إلى الجامع فلا يُفارقه حتى يُصَرّفه . فدخل عليه الجلل وأنشده : —

كَمَّا بَالمَدْجِ تُنْتَجَعُ الوُلاةُ وَمِن جَدْوَاه دِجْلَةُ والفُراتُ أَجَلُ صِلاتِ مادحه الصَّلاةُ صَلاتى ، إِنَّمَا الشَّأْنُ الزَّكَاةُ فَتَصْبِحِلى الصَّلاةُ هِي الصَّلاتُ فَتَصْبِحِلى الصَّلاةُ هِي الصَّلاتُ

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسنِ مَدِيجًا فقالوا: أكرم الثَّقَلَبِّن مُطرًّا وقالوا: يَقْبُلُ الشعرَاء لكن فقلت لهم: وما يُنْنَي عِيالى فَيَأْمُرُ لِي بكسر الصَّاد منها

كَفَتْكَ القَنَاعَةُ شِبْعًا وريًّا وهامَةُ جَمَّنَـهِ فَى الثُّرَيَّا تَواه بَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَيَّا وَ وَاقَةً ماه المُحَيَّـاً وَ

ومن قوله فى القناعة: إذا أَضَّاأَتُك أَكْفُ اللَّمَام
فكن رَجُلا رِجْلُه فى التَّرى
أبيًّا لِنائِل ذى ثَرْوَةٍ
فإن إراقة ماء المُلياً

٣٦ ــ عاقبة الاسراف

لا مُبدّ للماقل الأريب من التبصُّر فى عواقب الأمور ، والنظر فى مَقتَبلها ، فلا تغرُّه ما تفيض يده من الدينار والدرم ، فيزعُم أن الأيّام لا تتنكّرله ، وأنّ الفقرلن يلمج بابه ، فيُبذُّرويُسرِف ، ويبدُّد ومُيتلِف ، لا يحسيب للمواقب حِسابًا ، ولا يخشى من الأيام انتِقاضًا .

فَكُم رأينا من عزيز أصبِح بعد الرَّفَه والنَّمَة ، وبعد الحياة الليَّنة يَتَهَد الثَّرَى ، ويستَنْدى الأكُفُّ ، يَطرُق الأبواب فلا يُجاب . قد صَدَّ عنه صديقه ، وفرَّ من لقائه من كان في نسته منموراً ، وبنناه فرِحاً مسروراً . وشُربت عليه الذَّلة والمَسكَّنة، فضاقت عليه الأرض بما رَحُبت؛ فهو من ليلة في سُهْدٍ وأرَق ، لا يذوق النَّوم إلا غِرارًا ، ومن نهاره فی همّ وقلَق، لا یری للراحة مناراً. لا یجد حُرًّا یواسیه، ولا رفيقاً 'ينسيه ما هو فيه . تَجرى دموعه على خدٍّ أَذْبَلَته الأيام بعد النَّضرة ، أَسَفًا على ذلك النميم الرَّائل ، والمجد الحائل ، حتى إِذا قرَض الجوع أحشاءه، وأنهَك قُواه، دار يتفرَّس الوجوه علَّه يجد كريمًا يسدَّ خَلَّته، ويرقّ لمصابه. وأين الكريم ؛ فهومن نهاره فى نصَب وعَناء، ومن ليله في شقاء وبلاء . غالبتُ كلّ بليّة فغلَبتُها والفقر غالبني فأصبح غالِي إنّ الفاقة هي الموت أو شرّ منه .

كَلَلْمُوت خيرٌ من حياة أُبرى بها على أُلْخُرٌ بالإقلال وسُمُ هَوان

الفقر يُخرِس الفَطِن عن حُجّته ، ويجعله غريباً فى بَلْدته ، لا يجد مُبدًا من تَرَكُ الحياء . ومن ذهب حياؤه ذهبت مروءته ، ومن ذهبت مروءته فلا خبرَ له فى الحياة .

ولو أنّ ذلك المسرِف المبذّر ، أعدَّ للدهر وتقلَّباته عُدَّة من القصد في موارده ، فادَّغَر ما يدرَأ به عادية الرّمان ، واتبع قول الله الكريم : والدّين إذا أنفَقوا لم يُسرفوا لم يَقتُروا وكان بين ذلك قواماً » — ما لقي من دهره ما ليس له بحمله يدان . فإنّ حُسن التقدير مع الكفاف أبثق من الكثير مع الإسراف ، وإن في إصلاح المال سلامة الدّين ، وجال الوجه ، وبقاء البيزّ ، وصون البرض .

قليل المال تُصلِحه فيبقى ولا يَبقى الكثير مع الفساد

فأما أولئك الذين يغرُّهم أن يُقال جواد ، فيُنفِقون أموالهم بين الملاعب والملاهى ، ولا يَدعون مُنكراً إلا ارتكبوه ، ولا إنما إلا اقترَفوه — فلا دواء لهم إلا الفقرُ الذي يَضرِب على أيديهم ، ويقع مواقع الأغلال من أعناقهم ، وذلك جزاء المفسِدين .

الجود فضيلة ، ولكنّه إن جاوز الحد أو أخطأ الفرّض - انقلَب رذيلة لا تُنفَر ، وزَلّة لا تُستباح . وكيف يجود المره بماله تكرُّما - وحاجتُه إليه ماسَّة ، ونفسه بما يجود به أجدَر . ولَأَن يُمسِك ما في يده ، أحتُ وأفضل من أن يُدّها إلى الناس .

يارُبِّ جود جرَّ فقر امرئ فقام فى الناس مقام الدَّليل فاشدُد عُرا ما لَكَ واستَبقهِ فالموتُ خيرٌ من سؤال البخيل



۳۷ – الحسن بن الهيشم مؤسّس عِلم الضّوء

علم الضّوء من العاوم التي اشتغل ببحثها القدماء من مصريّين ويونانيين ، وذلك لاتَّصاله بالفلك ، ولا غَروَ فإن النَّجوم هي التي تَهديهم سواء السبيل ، وتبيَّن لهم الانجاهاتِ الأصليةَ ، فتمينُهُم في أسفارهم البرّية والبَحْرية . وَكَمَا وَقِعِ القدماء فِي أَخْطَاء فِي عَلَمِ الفلك – إِذْ كَانُوا يستبرون الأرض مَركزًا تدور حوله الأجرامُ السياو يَّة — كذلك قد وقموا في أخطاء في علم الضَّوء ؛ فقد كان ﴿ إِقليدِسُ ﴾ — العالم اليوناني المشهور — يرى أن السبب في رُؤيَّة الأجسام هو : انبِعاث أَشِيَّةٍ من العين تسقُط على الجسم المبصَر ، والأجسام التي لا تقع عليها هذه الأشعة لا تُبصِرها المين . وهذا رأىٌ خاطئ بلا شكِّ ، ولم يُبطله إلا السالم الجليل ابنُ الْحَيْثُم ، الذي يُعتبَر بحتَّ مؤسَّس علم الضَّوء ؛ إذ أن أبحاث القُدَماء فيه لم تكن وافيةً ، والموضوعاتِ التَّى عالجَوها لم يتمتَّقوا كثيرًا فى دراستها . أما بحوث الحسن فقــد تمدَّدت نواحيها ، وتمنَّق فى دِراستها نَمْنُقًا كبيرًا شهد به علماء الإفرنجة ، فتَرَجُوا له كتابه عن البصَريَّات أو الضُّوء المسمَّى « بالماظر » . وقد ُفقد أصل هذا الكتاب العربى ، ولم تَبق إلا ترجتُه اللاتينيَّة التى قام بها أحد ُعلماء النَّرب فى أَوْربًّا سنة سبمين ومائتين وألف ، ونُشرت هذه التَّرجة سنة . اثنتين وسبمين وخسمائة وألف.

وللحسن كُتب أخرى غير كتاب « المناظر » ؛ فقد ذكر القفطي أ في كتابه « أخبار العلماء بأخبار الحكاء » أن للحسن نيفًا وستين كتاباً عددها وذكر أسماءها ، منها ما يبحث في علم الضوء ، ومنها ما يبحث في علم الفك ، ومنها ما يبحث في الرياضيّات ، وفيها المباحث المبتكرة التي لم يسيقه إليها أحد ، ومباحث كانت مطروقة من قبل ، فصححها وتوسّع فيها ، وكثير من كتب الحسن في دور الكتب بأوربًا.

رجمة حياء:

ولمل أوفى مَرجع فى ترجمة حياة ِهذا العالم الجليل ما ذَكَرَهُ القفطِى * فى كتابه، وإليك طرفًا منها:

« الحسن بن الحسن بن الهيثم أبو على المهندس البَصْرَى نَزيلُ مصرَ ، صَاحبُ التَّصَانيف والتَّواليف المذكورة في عِلم الهندسة . كان عالماً بهذا الشَّان ، مُتَقِنًا له ، متفننًا فيه ، عالماً بنَوامضه ومعانيه ، مشاركاً في علوم الأوائل . أخذ الناس عنه واستفادوا منه ، وبلغ مُشاركاً في علوم الأوائل . أخذ الناس عنه واستفادوا منه ، وبلغ الحاكم بأسر الله الفاطمي صاحب مصر من العلويين – وكان عيل الحاكم بأسر الله الفاطمي صاحب مصر من العلويين – وكان عيل

إلى الحكمة - خبرُه وما هو عليه من الإتقان لهذا الشَّأْن ، فتاقَت نفسه إلى رُؤيته، ثم ُنقِل له عنه أنه قال : ﴿ لُو كُنْتُ ۚ فَي مَصَّرَ لَمِيلَتُ في نيلها عملاً يمُصل به النَّفع في كل حالة من حالاته ؛ من زيادة ونَقَصٍ ، فقد بلنني أنه يُحدِر من موضع عال ، وهو في طرَف الإقليم المصرى . » فازداد إليه الحاكم شَوَقًا ، وسيَّر إليه سرًّا جملة من مالي ، وأوغبَه في الحضور، فسافر قاصداً مصر. ولما وصلها خرج الحاكم للِقائه ، والتقيا عند قرية على باب القاهرة المرَّية ، تُعرف بالَخْندق ، وأمر بإنزاله وإكرامه ، وأقام ريثما استراحَ ، وطالبه بمـا وعَد به من أمر النيل . فسار ومعه نفرَ من الصنَّاع المتولَّين للبِمارة بأيديهم ؛ ليستَمين بهم على هَندسته التي خطَرَت له ، ولما سار إلى الإقليم ورأى آثارَ من تقدَّم من سأكنيه من الأم الخالية ، وهي على غاية من إحكام الصَّناعة وجَوْدَة الهندسة ، وما اشتَملت عليه من أشكال ٍ سماوّية ، ومِثالات مندسيّة ، وتصوير مُعجز ، تحقّق أن الذي يقصِده ليس تُمكِنَا ، فإن مَن تقدَّموه لم يَنْرُب عنهم علم ماعلِمه ، ولو أمكن لَفَمَاواً . فَانَكَسَرَتْ هِمَّتُهُ ، وضُفُفت عزيمتُه ، ووصل إلى الوضع المعروف ِ بالجنادل قِبلي مدينة أسوانَ ، وهو موضِع مرتفع ينحدر منه ماه النيل ، فعاينه وباشره واختبره من جانِبَيه ، فوجد أمرَه لا يمشى على مُوافقة مُراده ، وتحقَّق الخطأَ فيما وعَد به ، وعاد خَجِلاً منخذلا ، واعتذَر بما تَبِل الحاكم ظاهرَه ووافقَه عليه .

وولَّاه الحاكم بمضَ الدُّواوين . فتولُّاه رهبةً لأ رَغْبة ، وتحقق النَّلَط في الولاية ؛ فإن الحاكم كان مُستهتراً ، سفَّاكاً للدَّماء بنير سبب أو بأضف سبب من خَيال يَخيُّله . فأخذ 'يفكُّر في أمر يَخَلُّص بِه ، فلم يَجد طريقاً إلى ذلك إلا إظهارَ الْجُنون والخبال ، فاعتَمد ذلك وشاعَ ، فأحيط على موجوداته بيد الحاكم ونُوّابه ، وجمل برَشمــه من يخدُمه ويقوم بمصالحه ، وتُقيَّد وتُرك في موضع من منزله . ولم يزل على ذلك إلى أن تحقَّق وفاة الحاكم عام اثنى عشر وأربعائة من الهجرة (١٠٢١ م) ، وبعــد ذلك يبسير أظهر العقل وعاد إلى ماكان عليه ، وخرجَ من داره ، واستَوطَن ُقبَّة على باب الجامِع الأزهر ، وأقام بهما مُتَفَسَّكاً مُتصنَّماً ، وأُعيد إليــــه مالُه ، واشتَغل بالتّصنيف والإفادة .

وللحسن بحوث في الانمكاسات والانكسار، وهو الذي بيّن أن كثافة الهواء في الطَّبقات السُّفلَي أكبر منها في الطبقات المُليا، وأن الهواء لا يمتدُّ من غير نهاية ، وأنه ينتهي عنــد ارتفاع مُميّن. وبيّن سبب انكسارِ الضَّوء في هــنه الطَّبقات: أن النّجم أو الكوكبَ الذي ترقبُه العينُ يظهر في موضع أقرب إلى السَّمتِ من موضِعه الحقيقَ. وعلَّلَ كثيراً من الظَّواهر الفلكية . وأبطل نظرية إقليدسَ في سبب رُوْية الأجسام وعَكَسما ؛ فقرَّد أن الشَّماعَ الضوئيَّ يخرج من الشَّيء المبصرِ ويقَع على العين .

وشرح الحسن كيفيّة حُدوث الرّقية ، وينّ فى ذلك تركيب العين وما يؤدّيه كلّ جُزْه من أجزائِها من الأعمال ، ودلّ على ماكان له من باع طويل ، ودراية بتشريح الدين وأجزائها . وقد مات بالقاهرة عام ثلاثين وأربعائة هجرية (١٣٠٨ م) ، وكان قد وُلد بالبصرة عام خسة وخسين وثلاثمائة هجرية (٩٦٥ م) وبذلك عاش تَيْفًا وسبعين عاماً ، قضاها فى خِدمة العلوم فى عصر كان العربُ والمسلمون فيه قادةً النهضة العلمية ، ومن تصانيفهم أخذَ أهل الغرب وتقدّموا .



ذَكَرَ بِمضُ مُؤَرَّخَى الرومان أنَّ التَّبابِعةَ مُلوكَ الْمِنِ عرفوا جَمِيع مَالِك إفريقيَة الشَّرْقِيَّةِ وَجُزُرِها ، وكان لهم عليها بعضُ السلطان ، وكانوا يَتَّجِرون مع أهلها في الأفاويةِ والطَّيوبِ المختلفةِ ، وقد حرَّموا على السوقةِ من عامَّتِهم الانجارَ بهذه الأصنافِ مع اليونانِ والرّومانِ ، إثلاً ينشَّوها — على زهمِهم

ولمّا ظهر الإسلامُ رحل كثيرونَ من العرب في القرَبْنِ الأوَّابْنِ للمُجْرَةِ إِلَى سواحِل إِفريقية الشَّرقيَّة والشاليَّةِ ، فَلَكُوا تُونُسَ وطرابلسَ ، واجتازَ كثيرونَ منهم صحارى القَيْرَوان ولوبية ، وتوغّلوا في البلادِ ، وذهَب بعضهم إلى السّودانِ من طريق مِصرَ وقنا ، وكأنت القُصيَّر مرفاً لمراكِهم ، يبحرون منها إلى مضيقِ باب المُندَب في البحر الأُحْرِ ، ويرتادون السّواحل الشَّرفيَّة ، وقد وصلَ بَعْضهم في القرن الأوَّل الهُجْرى إلى سواحِلِ جزيرةِ مَدغَشقر جنوباً ، وأسسوا في شماليًّا عُلكَةً عَرَبيَّةً ، ما زالت آثارُهما وقلاعُها وبَقايا شُعوبها ماثلة إلى الآن . ويُعرَفون هناك بالصّقالِيّة ، ولُعْتهم عَربيَّة قديمة مُشوبة بالحُمْدية أيالمُهْم عَربيَّة قديمة مُشوبة بالمُهْم أَن المُهْرَبَّة .

⁽۱) من كتاب الرواد .

وفى القرْنِ الرَّابِعِ للهِجْرةِ كَانتَ كُلُّ سُواحِل إِفْرِيقِيَةَ الشَّرْقِيَّةُ وبلاد الرَّبْعِ التى تلبها معروفَةً عندَ المَرْبِ ، فاسْتَوطَنوها واتجَّروا مع أهلها فى الماجِ والنَّهبِ والطَّيوبِ العِطْرِية ، وهِ الَّذِينَ مَّمُوا بلادَها وأنهارَها وجبالها بأسماعُها المعروفَةِ الْآنَ .

وقد امتَدَّ مُلكُ العرب في داخل إفريقيَـةَ شمالاً وغرباً وشرقاً حتى بلادِ الكونْفو والرَّولو ، ولم نزل آثارَّه هُناك إلى الآن . وقد عشَّر بعضُ الأثْرَيُّينِ الإِنكايز في سنة ١٩٠٣م شماليِّ التَّرِنسفالِ بالقرب من بلادِ ﴿ الْكَفْرَةِ ﴾ على قبرِ عربيِّ قديم وعليه كتابة " بالحروف الْحِنْبَرِية تُنْبِيُّ أَنْ اسم اللِّت سَلامٌ ، وأنه تُوُفِّ سنة ٥٠ هجرية (سنة ٧١٤ ميلادية) ، ويَنتظرُ العلماء كَشفَ آثارِ أخرى عربيَّةٍ هامّة في ثلك الأصقاع النائية . وكشَف الألمانُ منذُ بضع سنوات بالقُرب من « دانمًا ، تحت أنقاض مدينةِ « فوماكو ، القديمةِ في داخلِ إِفريقيَـةَ الشرقيةِ كتاباتٍ عربيَّةً قديمةً فنَقاوها إلى مُنْحَفِهم في برلين . وفي خرائب مبسةً ومِلينْدَةَ وقِلاعِهِما آثارٌ كثيرةٌ ، وكتابات عربية لا تزال محفوظةً إلى الآنَ .

وقد استدل العلماء من ذلك على أن العربَ منذ صَدرِ الإِسلام عرَفوا أكثرَ بلاد إِفريقيَةَ ؛ فوصَاوا منابع النّيلِ ، وتُوغَّاوا فى بُحيراتها وغاباتها ومجاهاها ، ولم يكن الإِفرنجةُ يعرفونَ من ذلك شيئًا إلى وسط القرنِ المـاضى ، فـكانت أقدامُ الفاتحينَ من العرب أسبقَ إلى تلك البلادِ السحيقَةِ من أقدامِ السائحينَ النرْبيَّين بعشرةِ تُرونٍ.

وقد أثبت أصحابُ الخِطَط - وينهَم المقريزيُّ - أن كلُّ سواحِل إفريقيةَ الشَّماليةِ والشرقيةِ والجنوبيةِ ، قدكشفها العربُ بصـد الفَتح الإسلاميُّ بزمن وجيزٍ ، على عهدِ أَلْحَلْفَاء الأُمويَّينَ والعباسِيينَ ، في إبانِ والنيجر والكونغو ، وكان عرَبُ ثمانَ وحَضْرَموتَ والشَّحر والبَحْرَ بْن أَوَّلَ من عرَف طريقَ الهنــدِ من عَهدٍ سحيق . وفي بدء الفُتوحِ الإسلاميّة ِ اجنازَت مراكِبُهم سواحلَ إفريقية كلَّها ، ومَلكُوا الصومالَ وممبسّةً وزنجبارَ وموزَمبيقَ وجزائرَ الكومور ، ولا تزال بقايا العربِ شاخصةً في جزائر مَدغَشقَر وفيلبّين ، وقد أسَّسوا فيهــا المالكَ ، وأقاموا الحصونَ والقِــــلاعَ . ووَسَّموا تجارتُهم فى تلك الِجهات ، فاتجروا فى الذهب وريش النمامِ والعاجِ والتوابلِ والطيوب وغير ذلك مما كان الناسُ يتجرون فيه من التحف والنفائس .

ولقد زاران بُطوطة — الرّحالة الشهير ُ — كثيرًا من هذه المالك الإسلامية الإفريقية ، وجال في ممبسة ولامو ومندشو وكلوة وسغالة وغيرها . ووصف أهلها وعادا ِتهم ، ولَتِيَ من سلاطينها الإكرامَ والحفاوة ، والهدايا الكثيرة ، ووصفهم بالتقوى والأمانة والكرم .

العيبنة المتوى (۱) لعلى بك الجارم



أَخْرَجَ الرَّوضُ أَطْيِبَ الْمُرَاتِ هَاتِ مَاشِئْتَ مَنْ قَرِيضُكَ هَاتِ وَمُصُونٌ تَنْيَدُ مَنْ قَرِيضُكَ هَاتِ وَمُصُونٌ تَنْيَدُ بَالنَّمْراتُ لَمُ تُفَارِقُ كِمَامَهَا ، وشذَاها كَيْشُرُ الطِّيبَ في جميع الجِّهات مُصْنَياتُ إذا الخَائِمُ رَنَّتْ بن تلك الحَائِلِ النّضِرات

⁽۱) احتملت ورارة الممارف المصرية فى اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ۱۹۳۷ نميدها المثوى ، وقد أنشدت هذه القصيدة فى هذا اليوم بدار الأوبرا الملكيه فى حشد حافل حم عطماء مصر وكبار علمائها وأدنائها .

صَاحِكَاتُ إِذَا بَكَى عَابِسُ النَّبُ بِنَ وَفَاضَتُ عَيْنَاهُ بِالعَبَرَاتِ وَإِذَا مَا جَرَى الفَديرُ بَدَانَتُ لَتُحَيِّى الفَديرَ بِالقُبُ لِلاَ فَانْظِرِ الرَّوْضَ لَا تَرَى غير تِبْر من تراب ودُرَّةٍ من حَصاة كُلَّما رُمْتَ منه قَطْفَ جَنَاةٍ سَبَقَتُ رَاحَتَيْكُ أَلْفُ جَنَاةً وإذَا بَارَكَ الإَلْهُ بَأْرض جعلَ النَّبْرَ في مَكَانِ النَّبَاتِ

* *

* *

حُسنه بالحدائق الباسِقاب قد غَرسْناهُ روْضَ عِلْمِ فَأَزْرَى وكرامَ النُّفوس والْمُجات وبذَرْنا به القُـاوبَ صِغاراً هانِ أُخْلَى من كلُّ ماهِ فُرات وسَقَيْنًا ثَوَاهُ ماءٍ من الأذْ ضاعَفَتْ من يَماره الطَّيبات دِی وتجنی علیه کف الجناة وَحَمَيْنَاهُ أَنْ تَمِيتُ بِهِ الأَّبِـ لي سِياجاً موثق اللَّبنات وجَمَلْنا له من الْخُلُق العا وَوَقَيْنُاهُ شِرَّةً الْخُشرات وحَفظِنا من الرَّباحِ جَناهُ ت مَثَابَ الْخَيْرَاتِ والبركات إِيهِ يا رَوْضةَ المارف لا زَلْـ

أنت أنبت في ثرَى النَّيل شَعْبًا نافِذَ الرَّأَى طاهرَ النَّرَعات أَعْبَرُ المُؤْمَاتِ أَعْبَرُاتِ أَعْبُرُات أَعْبُرُان أَعْبُرُات أَعْبُرُات أَعْبُرُات أَعْبُرُات أَعْبُرُات أَعْبُرُان أَعْبُرُانِ أَعْبُرُانٍ أَعْرَانُ أَعْبُرُانِ أَعْبُرُانُ أَعْلَالْ أَعْرُانِ أَعْبُرُانِ أَعْبُرُانِ أَعْرَانُ أَعْبُرُانِ أَعْرُانِ أَعْبُرُانِ أَعْرَانِ أَعْرُانِ أَعْرَانِ أَعْرَانِ أَعْرَانِ أَعْرَانِ أَعْرَانِ أَعْرَانِ أَعْرَانِ أَعْرُانِ أَعْرُانِ أَعْرُانِ أَعْرُانِ أَعْرَانِ أَعْرَانُ أَعْرَانِ أَعْمِلُونُ أَعْرَانِ أَعْمِلُوا أَعْرَانِ أَعْمِلُوان

B B

ـرَ دَييبُ الْحياةِ بين الرُّفات إِنَّمَا مَوْلَكُ الْمَارِفِ فِي مِعْدٍ فالق الحُبُّ ، باعِثِ الأَمْوات جلَّ رِّبي ! آمنْتُ بالله ربي ! أَرْسُـلُ الله للكِنانَة نَدْبًا هِبْرزَى الأغراقِ والعَزَمات عيلَ) بالْحُصبِ مورقًا والحياة فأتَاها (مُحَمدُ) جدُّ (إشما غَرضٌ جاء في اتجاهِ الرُّماة لَقيت مصر تشلَه ما ميلاقي من دَفينِ الأَدْواء جَهْـل الأَساةِ جَهلوا داءها الدَّفينَ وشَرُّ قَطَرَاتٍ تَجُرى إلى قَطرات نَـكُثُوا جُرْحَها فسالتُ دِماها مُقْفِرِات من دُورِهِ دارسات لا تَرى في الظّلامِ للعِلْمِ إِلاّ ء ولو كان في ابتيسام الفَتَاة يَكُرَهُ الظُّلمُ كُلَّ شيء من الضَّو هَر) يَبْدُو مَفَزُّعَ اللَّمَحَات لم يَكن مِنهُ غيرُ وَمْضِ من (الأز ها برأي ، وعَزْمةٍ ، وتَباتِ فأتى مُنْقِذُ البِـلادِ فأَحْيَا مُهطِعاتٍ لأمره صاغِراتٍ لو دَعا أَنْجُمُ السَّاء لَلَبِّتْ

شادَ في مِصرَ للمَمَارفِ ديوا نَا مَنِيعَ الأعلامِ والشُّرْفات

عَلَوِي فَكَانَ خَيرَ البُنَاةِ تَسْتَحِثُ البُنَاةِ تَسْتَحِثُ النُّلِطَ إلى نهضات بُ يَقُودُ النُّنَى إلى الفايات دانيات تُطوفُها زاهِيات

مائة من سنى (الممارِف) مَرَّت زَاهِيات بما حَوَتْ حافلات بلَفَتْ مصرُ فى مَدَاهُنَّ شَأْوًا فَوقَ شَأُو الكُواكِ السّابحات وغدَا عُبدُها الحديثُ — وقد شا عَ شَذَا عِطْره — حديثَ الرُّواة أصبحت كَمبة يُحُجّ إليها الشّر قُ بين الْخُشوع والإقنات تَتَهادَى وحق أَن تَتَهادى بين مارِض زاهى الجُبين وآتى كلُّ تاريخها كتابُ من المنج به كريمُ مُطَرَّزُ الصّفحات

بعد يأس الزّمان أمَّ اللَّفات كان صُبْحَ اللَّجى ، وهَدْى السُّرَاة هُمْ دُروعُ البِلادِ فى الأَزَمات خَيْر شَعْبِ أَجابَ خَيرَ اللَّعاة صادِقِ الحِسَّ بارِعِ اللَّفتات فى قوافيه موضِعَ الكَلمات بَمَثَتْ دارِسَ الفُنُونِ وأَخْبَتْ وأَخْبَتْ وأَعَادَتْ إلى المُلوم منارًا أَنْجَبَتْ الْجُبَتْ للمُلا عَزْمِ وَعَوْلًا الشَّمْبَ للمُلَا فَرَأَيْنا أَنْجَبَتْ كُلُّ شاعرٍ عَبْقَرَى تَنْمَى الأَزْهارُ لو كنَّ يوماً يتمنى الأَزْهارُ لو كنَّ يوماً

وَبَنَّى للصُّلومِ خَيرَ بنَاءٍ

نَهَضَتُ مِصْرُ بَعْدَه نهَضاتٍ

أَرْسُلَ العِلْمُ نُورِهِ فَسْرَى الرُّكُّ

ورَأَيْنَا بِكُلُّ أَرْضَ رِياضًا

أَنْجَبَتُ كُلُّ مِدْرَةٍ وَخَطِيبٍ سَاحِرِ الْقَوْلُ ، صَادِقِ الْخَمَلاتِ
وَحَمَتُ شِرْعَةَ الْخَلَائِقُ أَن يَنْسَبَرُّ صَافَى نِمِيرِهَا بَقَسَدَاة
قد وَلَجْنَا الحَيَاة من كُل بابٍ فَرَأَيْنَا الأَخْلاقَ باب النَّجَاة
أَصْبَحَتْ مِصْرُ مَهْداً لشباب الشَّسِرْقِ ، يَسْعَوْن نحوها بالمثات
عَقدت يَيْنَنَا اللّيالَى صِلاتٍ مُحْكَماتٍ أَخْبِبْ بها من صِلات

* *

إِنَّ عِيدَ المعارِفِ اليومَ عيدُ للنَّهِي والجُهودِ والنِّكرَياتِ
عيدُ يُمنِ لِمِسْرَ، فالدَّهرُ دانِ خاضِعُ الرَّأْس ، والرَّمان مُواتِي
بلَغَتْ مِصْرُ ما تُرَجِّى وفازَتْ بعد طولِ الأَسَى، وذُلُ الشَّكاة
وأطاحَت قيُودَها فاستقلَّتْ واعْي ما تَرَكْنَ من نَدَبات

. .

واستَمَزَّتُ بطلْمةِ المَلِكِ الغا رُوقِ، زَيْنِ الِحْمَى، وفَخْر الحُمَاةِ يَشْرَق النَّمَاتِ الْمُشْرِقات يُشْرِق النَّمَاكِ وَيُزْهِى بَعَجَالَى آلاثِهِ المُشْرِقات بَخْتَلِيهِ النَّيُونُ الزَّمَانِ بالحَدقات عاشَ المِيْرِ والبِكدِ مُمامًا أَرْبَحِيًّا، وعاشَ المَكْرُمات عاشَ المِيْرِ والبِكدِ مُمامًا أَرْبَحِيًّا، وعاشَ المَكْرُمات

وع _ العصا

لق الحجاج أعرابيا فقال: و من أبن أقبلت؟ وقال من البادية وقال : و ما يبدائه؟ قال و عصا أر كُرُها لصلاتى ، وأعدها لمداتى، وأسوق بها دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشى؟ ليتسع بها خطوى ، وأعبر بها النهر فتؤمنى، وألق عليها كسائى فيسترنى من الحر ، ويقينى من القر ، وتدنى ما بعد منى ، وهى محمل سفرتى، وعلاقة إداوتى ، ومشجب ثيابى . أعتد بها عند الضراب ، وأقرع بها الأبواب ، أتتى بها عقور الكلاب . تنوب عن الرمح فى الطمان ، وعن الحربة عند منازلة الأقران . ورثتها عن أبى ، وأورثها بعدى ابنى وأهش بها على غنيى ، ولى فيها مآرب أخرى . »

(زهر الآداب)



٤١ _ مِن رِحلةٍ في الصحراءِ الغربية

قال أحمد باشا حسنين :

﴿ أَقْتُ فِى ﴿ الْكَفرةِ ﴾ نحو نلاثة أسابيعَ في صيافة السيد العابد
 وغيره من الأعيان ، وخالاصة مباحتى العاميّة في هذه المرة : أنّ



· الرحالة أحمد حسس ماشا

« الكَفرةَ » أبعد أربعين د ڪيلومترا ۽ إلى الجنوب الشرقيّ ، مما أثبته درولفس من أرصاد «ستكر» ووجدت ارتفاعها كما حقّقه «رولفس»؛ أي أنَّ ارتفاع ﴿ بِوما ﴾ في أسفل الوادى ٤٠٠ ﴿ مِتْرٍ ﴾ وارتفاع «الثاج» ٥٥٧ « مترا » ه وبُعيَد وصــولى إلى « الكفرة » ، سمعت أخباراً اضطرَّتني إلى تغيير خُطَّة

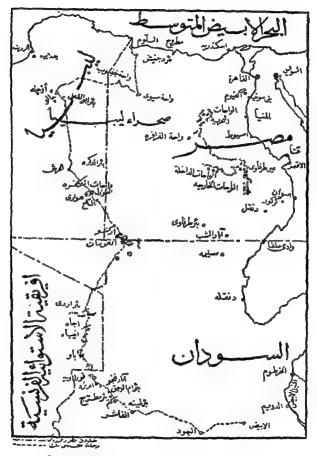
رحلتي ؛ فقد كنتُ عازِماً أن أذهب بطريق القوافل من « الكفرة »

إلى ﴿ ودَّاى ﴾ ، وهو طريق لم يسلكه أحد قبلي من غير أهل البلاد ، ولكين بلنني أنَّ كشافة فَرَسيَّة قدِمت من ﴿ ودَّاي ﴾ إلى منتصف الطريق بين ﴿ ودَّاى ﴾ و ﴿ الكفرة ﴾ ، وسمِمت أخباراً مُبهجة عن الواحَتَيْن المفقودتين ، وقيـل لى إنَّهما إلى الشرق من طریق « ودَّای » ، ولم أر لحما رسماً فی خریطة من الخرائط ، فنيّرتُ خطة سفرى ، وعولتُ على النَّماب إلى السودان ؛ لملي أكشف هاتين الواحتين في طريقي ، فأكون قد عمِلتُ عملاً 'يدكر . وتغيير الخطّة سهل فِكرًا ، ولكنه صعبُ عملاً ؛ فإن ﴿ أَبَا حَلِيقَةً ﴾ – صاحب الجمال التي استأجرتها من « جالو » ليذهب معي إلى « ودَّاى » -- آبي أن يذهب بطريق « عُوَينات » قائلاً إنه لا يُخاطى بنفسهِ ، وأبى أن يدَع رجاله وجماله تذهب معي، وأتانى بسليمان أبي مطارى – وهو تاجر غنيّ – ليصرِهني عن هذا الطريق ، فقالي لي : ﴿ إِنْ أَخَاهُ مُحْدًا سَارَ مَنْذُ تماىي سنوات في هذا الطريق ، مهلَّك هو والقافِلة ، قَتِلوا على تخوم دارفور ، مع أنهم لم يسيروا في الطريق الدي عرمتُ على السير ميه ؛ بل فى طريقي أسلمَ وأسهل من طريق «عوينات » إلى « مَريجا » . أما الطَّريق الذي أنوى النَّماب ميه ميمرُّ في بلاد لم تطأها رجلُ بَدَويٍّ ،

و « الدفه » (قَفَر لا ماء فيه) بين « عُوينات » و « أردى » طويلة كثيرة المخاطر ؛ فالقافِلة التى تغيرب فيها يرَحها الله ، فإن جِمالها تقع كما تقع المصافير في ربح السَّموم . وإذا سَلِمنا في الطريق ، فمَن يعلم كيف يستقبلنا سكّان البلاد التي نصل إليها ، فيجب ألا أخاطرَ بنفسي ، ولا أدع الطّريق السليم ، طريق القوافل إلى « واجنجا » و « أبشه » . « فشكر تُه على نصحه وأنا وائق أنني لستُ عاملاً بها »

د ثم بحثتُ فى هذا الموضوع بمد يؤمّين مع د أبى حليقة » فلم يُقنِمنى ولا أقنمتُه، وأخيراً لما رأى إصرارى على النَّهاب بطريق د عُوينات »، وأن السيد المابد يُوافِقنى على ذلك ، رَضِىَ أن يُؤجّرنى بمض جماله بأجرة الجمال كلّها ، وأن يدبّر رجالاً يذهبون ممى ، فاتفقنا — وأنالا أعلم ما خُبّى لى فى لوح القدر ، ولكن حبّ كشفِ المجاهل تملّكنى ، فسلّمت نفسى . »

« فى النامن عشرَ من شهر إيريل صارت قافلتنا على أهبة السفر ، فأتى كثيرون من الإخوان ورؤساء البدو لتوديمى . وودّع رجالى أصدقاؤهم وهم يحسبون أنه الوداع الأخير ، ويقولون : « إذهبوا بحفظ الله ! (المقدّر مُقدّر) وعسى الله أن يأخذ يبدكم ، ويكون ممكم . » قالوا ذلك قول من يرى التهلكة أمام عينيه ، ويدعو للنّجاة منها .



خريطة رحلة احمد حسنين بك (باشا) من السلوم إلى الأبيض

قطعنا الحيد الجنوبي فوق و الكفرة ، فانبسطت أمامنا الأرض صراء ناعمة الرَّمال دقيقة الحصى . وفي المُشرين من إبريل قطمنا حُرُّوناً كثيرة الحجارة ، ورأينا سنونة في الصباح ، وباشقاً في الأصيل . وكانت الليالي شديدة البرد ، والحر وسط النهار يُزهِق النفوس ، فكنا نسير بعيد نصف الليل، ونستريح حيمًا يشتدُّ الحر.

وفى التانى والمشرين من إبريل وصلنا إلى كنبان من الرّمال منطاق بحجارة سوداء ارتفاع الكثيب منها ما بين ثلاثة « أمتار » وعشرة « أمتار » ، ثم رأينا على يسارنا سلسلة من التلال تمتذ من الشمال إلى الجنوب الغربي ، فتقطع طريقنا ، فصيدنا فيها ، وإذا أمامنا تجد سرنا فيه النهاز كله ، واسمه وادى « المحاريج » ، ورأينا هناك قُسورًا من ييض النمام ، وأتانى رجل من رجالى بغرخى نَسْر ، فأمرته أن يردهما إلى عُشهما . وفي الثالث والعشرين من إبريل وصلنا إلى كُنبان من الرمل المنهار عَسِرَةِ المرتقى ، وجُزْنا غور « فوراو » ، ورأينا جبال « أركنو » ممتدة أمامنا .

مَرَّ بنا ثمانية أيام لم ننَم في اليوم منها أكثرَ من أربع ساعات ، وحالما كنا نشرَع في السيركنتُ أرى رجالي يُغْيِضون عيونهم ، وينامون على الرمال ولو نصف ساعة ، ورأى الجالَ تابعة الدليلَ ومصباحَه الضنيلَ ، وأما أنّا فقَلَق على آلاتى كان يحرمنى النوم معهم . ولقد كابدنا مشقّة كبيرة فى قطع كنبان الرمال القائمة أمامنا ، ولم نكد تُنِم قطمَها حتى قابلَتْنا الجبال كأنها من قلاع العصور الوسطَى . وقد كاد ضباب الصباح يحجُبها عن عيوننا ، وبعد دقائق

وفى الرابع والمشرين من إبريل قطمنا ٣٧ «كيلومتراً » فبلننا جبل « أركنو » .

قليلة حَوَّلت الشمس ذلك الضباب الأُعْبِرَ إِلَى شُعاع وردِيٍّ .

أركنو جبل من الحجر المحبّب (الجرانيت) يملو خسّمائة « متر» عن سطح الصّحراء المجاورةِ له ، وهو تُنن مخروطة متّعيلة من أسفلها . بلغناه من طرّفه الغربي وسرنا حول هذا الطرف ، فوصلنا إلى مدخل واد فيه متّجه شرقاً ، وقرُبَ مدخله شجرة وَحِدَة من نوع يسمى هناك شجراتِ الأركنو ، وقد أطلق اسمه على الألواح للتي هناك ، فنصبنا خيامنا إلى جانب هذه الشجر ، وأرسلنا الجال إلى الوادى لتشرب وتأتينا بالماء وكنا في حاجة شديدة إليه . وحينئذ أتانا أناس سود من سكان تلك للبلاد فأحسنا مُلتقاهم ، ودَعَوتُهُم للأكل مع رجالى . هذا الجبل قاحل لا يُنتَظر أن يكون فيه واد خِصب

مسكون، والواقع أن هؤلاء الناس لا 'يقيمون فيه السنة كلها، بل يأتونه بجالهم فى فصل الربيع لِتَرْتَبِعَ فيه ثلاثة أشهر، ويتركونها فيه وحدها؛ بمد أن يسُدّوا مَدخل الوادى بالصخور.

وواحة « أركنو » هى أول الواحتين المفقودتين اللنين سمِمت أخبارهما ، وكان من نصيبي أن أكون الأول فى رشمها . وقد يصير لهذا الوادى شأن حَربي في المستقبل ؛ لأنه واقع في مُلتق تُمنم مصر الغربي بخمها الجنوبي .

وفى ٢٨ من إبريل بدأنا سُرانا ؛ لأن للسرى ليلاً مزيّةً على السير. نهارًا ، ويرى المسافر الوقت ينقضي سريعًا ، إلا إذا كان قد أَصْنَاهُ التَّمْسِ ، ويرى له من النجوم رفيقاً أُنيساً يُسلَّية إذا كان من عمى الطبيعة . وكنا نرى جبالَ «عوينات» في الأفق قائمة أمامنا فنطمئن إليها، لأن السآمة تزول إذا كان أمام المرء غرَض محدود يسمى إليه ، بَدَلا من أن يسير في عُرض القفر على غير هُدَّى ، لا برى أمامه إلا أبعاداً شاسعة لا حد لها . ولما دَنُونا من تلك الجِبال ظهرت الشمس فوقها . وأفاضت على تُنتَما من أشعتُها الذهبية ، فألقت على الأرض ظِلَّا ظليلاً كنا نراه يتقلص ويقصُر رُويْدًا رويداً بدُنوًنا من الجبال ، فنصبنا خيامنا عند الزاوية الشمالية الغربيـة ، وهناك شِمب فى طرّفه عين ماء ، والجبل قائم على جانبيه كشاهق تَسنِد قدميه حجارة كبيرة وصغيرة ، فعَلَت بها أنياب الدّهر فأزالت زواياها ، وسحَلتها سَخُلا ، والعدين ليست يَسبوعاً جارياً بل قُلْتُ فَى الصخر يَتجبع فيه مياه المطر .



محيم البعتة في الصحراء

وقمنا فى الصباح ، وصمدنا فى الجبل إلى المين الكبرى ، وهى غزيرة المياه طيَّبُها ، تحبط بها قَصْباء دقيقة القصب وفى أخريات النهار أمنعنا فى الواحة ، حتى إذا كان مُنصَف الليل دخلما وادِيًا يحيط به التلال عن يسارما ، والجبل عن يمينا . والودى ناعمُ الرمل كثير الحجارة ، السَّير فيه شاقٌ على الجم ل . ووقفنا عند الفجر ، وصلَّينا

الصبح، وشربنا الشاى ، حتى إذا كانت الساعة السابعة دخلنا واديا واسما بين جبلين شاهقين ، أرضُه منبسطة كالكف ، وفيه عُشب وأشجار من السَّنط، وأنجُمُ إذا مَرثَت أورافها يبدك شَمَّت لها رائحة كرائحه النّعناع . وهناك كثير من نبات الخّنظل وهو عريض الورق، له ثمر أصفرُ مستديرٌ كاللّيمون الكبير، يُمْلِي السكان بَذره، حتى تزول مرارته، ثم يَسْحَنُونه مع التمر والجراد في هواوين من الخشب، ومنه أكثر طعامهم.

ونصبنا خيامنا الساعة العاشرة، ونِمنـا ثم قنا وأكلنا ، وسرتُ لأشاهد آ ثار الإنسان في المصور الخالية، فإذا هناك رسومُ حيوانات منقوشة " في الصخر ، تجد فيها رسم الأسد والزَّرافة والنَّمامة وأنواع الغَزال، ورسوماً كالبقر. والنقشُ غائر في الصخر، من ربع بوصة إلى نصف بوصة ، ولم أقف على تاريخ ٍ لهذه النقوش . وبما لفَت نظرى بنوع خاصِّ أمران، الأول: أن الرَّرافةَ لا تقطُن تلك البلاد الآنَ، ولا توجد فى قَفَرِ مثلِ هذا القفر . والثانى : أن ليس بين هذه الرَّسوم رسمُ الجلل، مع أنه يستحيل على المرء أن يصل إلى هناك إلا إذا كان الجُل مطيَّته . فهل كان الذين نقشوا هبذه الصُّور يعرفون النمامة ولا يعرفون الجلل ؟ مع أن الجمل أدخل إلى أفريقيةَ مِن آسيا نحو سنة خيمائة قبلَ المسيح. ولم أر هناك من أنواع الصّيد إلا النزالَ والضّأن الجبليّ ، ونوعاً صغيراً من الثملب رمادِي اللون .

غدنا إلى خيامنا صباح الثانى من مايو، فوجدنا الشيخ و هرى » فى انتظارنا و يُلقّب بملك و العوينات »، مع أن سكانها ١٥٠ نفساً وقد اتفقت معه لكى يرافقنا إلى و أردى » كدليل ، وقمنا من هناك مساء الأحد فى السادس من مايو ، وسرنا فى أرض مُنبسطة ، وهى رمال تعطّيها الحصى ، وهنا وهناك شىء من الحشيش ، فكانت جالنا تتقوّت به ، فقطعنا ٤٥ و كياومتراً » فى ١٢ ساعة .

وفى التاسع من مايوكنا سائرين ، فشعَرتُ نحو الساعة الثامنة ليلاً أن الربح تهبُ فى وجعى ، وكأن الجو مُطَبِّقاً بالنيوم ، فالتفت إلى الحك (البوصلة) وإذا نحن سائرون إلى جهة الشمال الشرقى بدل الجنوب الغربي ، فاتضح لى أن دليلنا سُكَراً أضاع رأسه . وهنا مشكل تجب مداواته بالحكمة لئلا يفقيد الدليل ثقته بنفسه . وزاد الطين بِلّة أن ثارت زَوْبعة رملية أطفأت المصباح الذي يسير به أمامنا ، فاختلط الحابل بالنابل ، واستد عَمنف الرياح ، وأدرك كل أحد أننا صَلَّك السبيل ، فصمَّمتُ على السير مسترشداً بالحك ، وأصاً نا المصباح ، وسرت في المقدمة والحك في يدى ، وبعد ساعات قليلة هدأت العاصفة ، وارد نحن بين كثباني من الرمال .

٢٤ ــ مصر والشـــام

من قصيدة أنشدها حافظ بك إبراهيم فى حفلٍ أقامه جماعة من أدباء الشام بمصر لتكريمه سنة ١٩٠٨ :

هنا المُلا، وهناكَ الجُدُ والحسَبُ ولا تَحوّل عن مَنْناهُما الأدَبُ وإن سألت عن الآباء فالعربُ باتت لها راسِياتُ الشّام تَضْطَرَبُ أجابَه في ذُرًا لُبْنان مُنْتَحب لِصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنتَسَبُ خِدْران للضّاد لم تُهْتَك سُتورهما أَمُّ اللّمَات غَــداةَ الفَخْرِ أَمْهُما إذا ألئت وادِى النَّسِل نازلَة ٌ وإن دَعا في ثَرَى الأهرام ذو أَلمَ

أُسْدُ جِياعُ إِذَا مَا وُوثِيوا وَتَبُوا فَالشَّهِبُ مَنْثُورَةٌ مُذْكَانت الشهُبُ فَكُلُّ حَيِّ لِهِ فِى الكُونِ مُضْطَرَبُ فَصَافُوها نَصافِحُ نَفْسها العَرَبُ بأرض «كولُب ، أبطالُ عطارِقَة أُ ماعا بَهُم أنهم في الأرض قد تُثِروا ولم يَضِرْهم سُراء في مَناكِبِها هذى يَدى عن بَنى مصرٍ تُصافح



٣٤ _ حسن التخلص

روى عن الرَّيع مولى الخليفة المنصور أنه قال :

« ما رأيت رجلا أرْبَط جأشاً ، وأثبت جَناناً من رجل شيى به إلى المنصور أن عنده ودائع لبنى أمية وأموالاً ، فأمرنى بإخضاره ، فأحضرته إليه » فقال له المنصور :

قد رُفع إلينا خبر الوَدائع والأموال التي عندك لبني أُمية فأخرج لنا منها وأحضرها، ولا تكتُم منها شيئاً. ، فقال : « يا أمير المؤمنين! أنت وارث بني أُمية؟ ، قال : « لا . » قال : « فوصِيٌ لهم في أموالهم ورباعِهم؟ » قال : « لا . » قال : « فما مَسْأَلتك عمّا في يدى من ذلك؟ » فأطرق المنصور وتفكّر ساعة ثم رَفَع رأسه وقال :

(إن بني أمية قد ظَلَموا المسلمين فيها ، وأناوكيلُ المسلمين في حقوقهم،
 وأريدُ أن آخُذَ ما ظَلموا المسلمين فيه فأجعله في يبت أموالهم . »

 قال: « نم ، حاجتی یا أمیر المؤمنین أن تجمع بینی و بین من سَمَی فی إلیك ، فواقد الذی لا إله إلا هو ما فی بدی لبنی أُمیّة مال ولا ودیمة ، ولَکنی لما مَثَلَث بین بدیك ، وسألتنی عما سألتنی عنه ، قابَلْتُ بین هذا القول الذی ذكرتُه الآن ، و بین ذلك القول الذی ذكرتُه أوّلًا ، فرأیت ذلك أقرب إلی الخلاص والنّجاة . » فقال : « یا رَبِیع ! اِجم بینه و بین مَن سَمّی به . » فجمعت بینهما ، فلما رآه قال : « هذا غُلای ، اختلَسَ ثلاثة آلاف دینار من مالی ، وأ بِق منی ، وخاف من طلّبی له ، فسَمّی بی عند أمیر المؤمنین »

فشَدَّد المنصور على النُلام وخوَّفه ، فأقرَّ بأنه غلامه ، وأنه أخذَ المال الذي ذكره ، وسمّى به كذِبًا عليه ، وخوَّفًا من أن يَقَعَ في يده .

فقال له المنصور: « سألتك أيها الشيخ أن تمفوَ عنه ، فقال: « قد عفوات – يا أمير المؤمنين – عنه، وأَعْتَقْتُه، ووهَبتُه الثلاثة الآلاف التي أخَذها، وثلاثة آلاف أخرى أدفعها إليه. »

فقال له المنصور: «ما على ما فعلت من مَزيد. » قال : « بلى يا أميرَ المؤمنين ، إن هذا كلّه لَقليل فى مُقابلة كلامِك لى ، وعَفوك عنى . » ثم انصرف .

قال الربيع : « فكان المنصور يتعجب منه ، وكلما ذكره يقول : « ما رأيتُ مثل هذا الشيخ يا ربيع . »

٤٤ ـ وصف تحمّل

كتب أبو الخطاب الصابي في وصف عمل مُهدَّى :

وصلتْ رُفْمتُك فَفَضَضْتُهَا عن خطٍّ مُشْرِق ، ولفظ مُونق ، وعِبارة مُصيبة ، ومعان غَريبة ، واتَّساعِ في البلاغة ، يَمْجز عنه عبد الحميد في كتابته ، وسَحْبان في خطابته . وتَصَرُّف بين جِـدٍّ أَمْضى من القَدَر ، وهَزْل أَرَقٌ من نسيم السَّحر ، وتقلُّب في وجوه " الخطاب الجامع للصُّواب، إلا أَنَّه الفِمل قصر عنـه القَوْل ؛ لأنك ذَكرت حَمَلاً جملته بصفَتك جَملاً ، فكان النُمَيْدي الذي تسمع به ولا أن تراه . وحضر ، فرأيت كبْشًا مُتقادم الميلاد ، من رِنتاج قوم عاد ، قد أُفْنَتُه الدهور ، وتماقبَت عليــه المُصور فظننته أحد الرَّوجين اللَّذين جملهما نوح في سفينته ، وحَفظ بهما حِنْسَ النَّم لذرِّيَّته . صغر عن الكبر ، ولطف عن القـدم ، فبانت دَمَامتُه ، وتقاصَرت قامته ، وعاد ناحِلاً صنئيلاً ، باليّا هزيلاً ، بادى السُّقام ، عارى العظام ، جامِعاً للما يب ، مُشتملاً على المثالب . يَعْجَب العاقل من خُلول الحياة به ، وتأتَّى الحركة فيه ؛ لأنه عَظْمْ مُجَـلَّد ، وصوف مُلبَّد . لا تَجِد فوق عِظامه سَلَبًا ، ولا تَلْق يدك منه إِلا خَشَبا ، لو أُنْتِيَ إِلى السَّبُع لأباه ، ولو طُرِحَ للذَّئْبِ لمافه وقلاه . قد طال لِلْكلاَّ فقْدُه ، وبَمُدَ بالمرعى عَهْدُه . لم ير القَّتَ إِلا ناتماً ، ولا عرف الشَّمِير إِلا حالما .

وقد خيرتني بين أَنْ أَقْتَلِيه فيكون فيـه غِني الدهر ، أو أُذْبحه فيكون فيه خِصْب الرّحل . فلت إلى اسْتَبْقَائه لما تعرف من عَبَّتي للتَّوفير ، ورغْبتي في التَّشْير ، وجَمْعي للولد ، وادِّخاري للمتد . فلم أجد فيه مُسْتَمْتُمًا للبقـاء ، ولا مَوْضعًا للفَناء ؛ لأَنَّه ليس بأَنثى فَتَحيل ، ولا بَفَتِّي فَيَنسُل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليم فيبقى . فِلْت إلى الشانى من رأيبُك ، وعوَّلت على الآخِر من قوْ لَيْك ، وقلت : « أَذْبحه ؛ فيكون وظيفة للميال ، وأُقيمُه رطبًا مقام قدِيد الغَرَال » فَأَنْشَدَنَى – وقد أُضْرِمت النار ، وَحُدَّت الشَّفار ، وَشَمَّر الجزار – : أُعيذُها نَظَراتٍ منك صادقة أن تَحسَبَ الشَّح فيمن شَحْمه وَرَم وقال : ﴿ مَا الفَائِدَةُ لِكُ فِي ذَبِّنِي ؟ وَأَنَا لَمْ يَبْقِ مَنِّي إِلَّا نَفَسُ ۗ خافِت، ومُثَلَّةُ إِنسانُهَا باهِت. لستُ بذى لحم فأَصْلُحَ للأَكل ؟ لَّانَّ الدهر قد أَكُل لحمى ، ولا جلدى يَصْلح للدباغ ؛ لأنَّ الأيام قد مزَّقت أَدَى . ولا لى صُوف يصلِح للغزْل ؛ لأن الحوادث قد حصَّت وَبَرَى . فإِن أَرَدْتني للوقود ، فكفُّ بعر أَبْتي من نارى ، ولن تنى حرارة جُرى بريح قتارى . فلم يَبْق إلا أن تَطْلُبَى بذَخُل ، أو يكون ينى ويبنك دم . » فوجدته صادقًا فى مَقالَته ، ناصحًا فى مَشورَته . ولم أعلم من أَىَّ أَمْرَيْهِ أَعِب ؟ أَمِن مُماطَلَته للدهر بالبقاء ؟ أم صبره على الضُّر واللَّأُواء ؟ أم قدرتك عليه مع إغواز مثله ؟ أم تأهيلك الصديق به مع خَساسَة قدره ؟

وبا ليت شعرى إذ كنت - وإليك سوق الغنم ، وأمرك ينفذ في الضّأن والمعز ، وكل كبش سمين وحَمَل بَطين مجاوب إليك ، مقصور عليك ؛ تقول فيه قولاً فلا تُرد ، وتريده فلا تُصد - وكانت هدينتك هذا الذي كأنّه ناشر من التّبور ، أو قائم عند النّفيخ في الصّور . فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عُرْض الكتّاب ، كأبي على ، وأبي الحطاب ؟ ما كنت تهدى إلا كلباً أجرَب ، أو قرداً أَحْدَب !

ه. المقامة الحلوانية لبديم الزمان الهمذاني

حدثنا عيسى بن هشام قال :

لا لما تَقَلَتُ من الحبحُ فيمن قَفلَ ، ونَزَلْت حُلْوانَ مع من نَزَل ،
 قلتُ لِنُسلامی : ﴿ أَجِدُ شَعْری طویلاً ، وقد اتَّسَخَ بَدَنی قلیلاً ،
 فاختر لنا حمَّاماً نَدْخُله ، وحَجَّاماً نَسْتَعمله ، ولْیَکن الحمَّام واسعَ الرُّقْمة ،
 نَظیف البُقمة ، طَیْب الهواء ، مُعتدل الماء . ولْیکن الحجَّام خَفیفَ الید ، حدید المُوسَی ، نظیف الثیاب ، قلیل الفُضول . »

غرج مَلِيًّا ، وعاد بَطِيًّا ، وقال : ﴿ قد اخْتَرَه كَا رَسَمْت . ﴾ فأخذنا إلى الحمام السَّمْت ، وأَتَمِنْناه فلم نَر قَوَّامَه ، لكنى دخَلته ، ودخل على أثري رجل ، وحَمَد إلى قطمة طين فَلطَّخَ بها جَبِينى ، ووضعها على رأسى ، ثم خرج . ودخل آخر فجعل يدلكنى دَلْكًا يَكُدُّ العِظام ، ويَنْمِزُنى ثَمْزًا يَهُدُّ الأَوْصال ، ويَصْفِر صفيرًا يَرُشُّ البُرَاق ، ثم عَمد إلى رأسى يَنْسله ، يَهُدُّ الأَوْصال ، ويَصْفِر صفيرًا يَرُشُّ البُرَاق ، ثم عَمد إلى رأسى يَنْسله ، وإلى الماء يُرْسِله . وما لبث أن دخل الأول ، فيًا أَخْدَعَ الثانى بَضْمومة قَمْقَتُ أَنِيابَه ، وقال : ﴿ يَا لُكُمُ اللهِ اللهِ ولهذا الرَّأْس وهو لى ؟ ﴾ تَمْقَمَتْ أَنِيابَه ، وقال : ﴿ يَا لُكُمُ اللهِ عَلَى حَابَه ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ لَا يَعْمَلُونَ مُحَابَة ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّول بَعْمِوعة فَتَكَت ْ حَجَابَة ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه عَلَى اللَّه اللَّه اللَّه عَلَى اللَّول بَعْمُوعة فَتَكَت ْ حَجَابَة ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ مُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّه اللَّهُ عَلَى اللَّه عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّه اللَّه عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّه اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ

بل هذا الرأس حتى وملكى فى يدى . ، ثم تَلاكما حتى عَييًا ،
 وتحاكما لما بَنيا . فأتيا صاحب الحام ، فقال الأول : « أنا صاحب هذا الرَّأس ؛ لأنى لَطَّخْتُ جبينه ، ووضعت عليه طينهُ . » وقال الثانى :
 بل أنا مالكه ؛ لأنى دَلَكْبتُ عامِلَه ، وَخَمَزْت مفاصِله . »

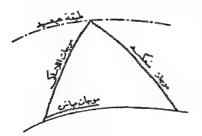
فقال الحماى : « اثتونى بصاحب الرأس أسأله : ألك هذا الرّأس أم له . » فأتيانى وقالا : « لنا عندك شهادَةٌ فَتَجشّم . » فَقُست وأتيت ، شئت أم أييّث .

فقال الحماى : ﴿ يَا رَجُلُ ا لَا تَقُلُ غِيرَ الصَّدَق ، وَلا تَشْهِد الْحَق ، وَقُلْ لَى : هذا الرأس لأَيَّهما . ﴾ فقلت : ﴿ يَا عَاقَالُ الله ! هذا رأسى ، قد صَمِنى فى الطريق ، وطاف معى بالبيت العَتبق ، وما شَكَّكُتُ أنه لى . ﴾ فقال لى : ﴿ أَسُكُت يا فضولى . ﴾ ثم مال إلى أحد الخصْمَيْن ، فقال : ﴿ يَا هذا ! إلى كم هذه المنافسة مع الناس بهذا الرّاس . تَسَلّ عن قليل خَطَره ، وإلى لعنة الله وحَرَّ سَقَره ، وهب أن هذا الرأس ليس ، وأنا لم نَر التَّيْس . ﴾

قال عيسى بن هشام : ﴿ وَقَمْتِ مِن ذلك المكان خَجِلًا ، ولبِستِ الثيابَ وَجِلًا ، والبِستِ الثيابَ وَجِلًا ، والبِستِ الثيابَ وَجِلًا ، ﴾

73 ــ انعكاس الموجات

جيع أتواع الموجات تنمكس ، فوجات الصوت تنمكس ، وما صدى الصوت إلا تتيجة تصادم موجات الصوت وبناء مرتفع أو تل عال وانمكامها إلينا ثانية . وموجات الضوء تنمكس من السطوح اللامعة



والمرايا . وما ظهور صور لنا إذا وقفنا أمام المرآة إلا تتيجة انعكاس موجات الضوء . فا شأن موجات اللاسلكي إذاً العمل هي تنعكس أيضاً ؟

الجواب على ذلك بالإيجاب ، أى أنها تنمكس كما تنمكس الموجات الأخرى ، فعى تسير فى خطوط مستقيمة ، وتمكسها بمض الطبقات المليا فتنير اتجاهها وتتجه ثانية نحو الأرض . وإليك البيان :

إن القشرة الأرضية تعلوها طبقة من الهواء، وإن هذا الهواء تتغير طبقته بحسب ارتفاعنا فوق سطح الأرض، فكلما ارتفعنا عن سطح الأرض قلت كثافة طبقات الهواء حتى نصل إلى ارتفاع تجد بعده الطبقات خالية من الهواء، ويصل هذا الارتفاع إلى مائة ميل تقريباً . ولحسن الحظ أيضاً أن الحالة الكهربية لطبقات الهواء تتغير على حسب الارتفاع أيضاً ؛ فعلى ارتفاع نحو ستين ميلاً عن الأرض طبقة من الهواء تمكس الموجات اللاسلكية الطويلة والمتوسطة وتسمى طبقة وهيفيسيد » (۱) نسبة إلى العالم الطبيعي الإنجليزي الذي كشفها ، وعلل بوجودها انعكاس الموجات اللاسلكية الطويلة والمتوسطة منها . فوجات اللاسلكي تسير في خطوط مستقيمة ، وإذا ارتفعت في الجو تسير كذلك في خطوط مستقيمة ، حتى تصل إلى هذه الطبقة فتنمكس وتمود إلينا أي إلى الأرض ، فتلتقطها أجهزتنا . ويمكن هذه الموجات أن تنمكس ثانية من الأرض فترتفع ، ويتكرر ويمكن هذه الموجات أن تنمكس ثانية من الأرض فترتفع ، ويتكرر

ولو لا ذلك الانمكاس لانتشرت موجات اللاسلكى فى الفضاء وتبمثرت . وتذكرنى هذه الطبقة — بالنسبة لموجات اللاسلكى — بموجات الحرارة بالنسبة للسحب ؛ فنى الليــلة النائمة ذات السحب الكثيفة تجد الدفء أكثر منه فى الليلة الصافية ، وما ذلك إلا لأن موجات حرارة الأرض لا تكاد تصل إلى السحب حتى تعكسها إلى الأرض ثانية ، فلا تتشتت هذه الموجات ، ونشعر لذلك بالدفء .

[«]Heaviside» (۱)

وهناك طبقة أعلى من الطبقة الأولى تسمى طبقة « أبلتن » (۱) وهى طبقة أخرى على ارتفاع أربعين ومائة ميل من سطح الأرض وهى تمكس الموجات القصيرة التي يمكنها أن تنفذ من الطبقة الأولى فجميع الموجات اللاسلكية الطويلة والمتوسطة والقصيرة تنعكم وتغير انجاهها ، وهذا هو السبب في أنها تخنى مع انحناء الأرض .



[&]quot;Appleton's Layor" (1)

٧٤ - العسبرات

للمرحوم السيد مصطني لطني النفاوطي:

كنت أغيط نفسى على التجلّدِ والصبر ، وأحسَبنى قادرًا على الاستمساك في كل رُزء مهما جلّ شأنه ، وعظُم وقْمُهُ . فلما مات مصطفى كاملٍ علمِتُ أن من الرزايا ما لا يطاقُ احتمالُه ، ولا يستطاع تجزُعهُ .

كلَّ يوم نَرى الموت، ولا نزال نعدُّ الموت غريباً . هيهات ! لاغرابةَ في الموت، ولكنَّ الغريب موتُ الرَّجل الغريب .

كل يوم تمرُّ بنا قوافلُ الموتى فلا نأَبَهُ لها ، وأكبر نصيبها مِناً الحُوفلة والاسترجاع ، فلما مرت قافلة مصطفى كامل دَهِشناً وجزِعْنا لأَنه كان غريباً في مماته ، فأخرى أن يكون غريباً في مماته .

مات مصطنى كامل فعرفنا الموت ، وماكنا نعرفه قبل ذلك ؟ لأننا ماكناً نرى إلا أمواتاً 'ينقلون من ظهر الأرض إلى بَطلها ، أما مصطنى كامل فكان حيًّا حياةً حقيقيًّة ، فكان موته كذلك .

لا يَحسَب الكاتبون أنهم صنَموا شيئًا إذا بذلوا لذلك الرَّجل العظيم قطرةً من المِداد، ولا الباكون أنهم أبلَوا بلاء حسنًا إذا بذلوا له تَطرة من الدَّمع ، فإنه كان يبذُل لهم ماء حيانه قطرةً فقطرةً ، حتى أفناه ومضَى نسبيله ، وشَتَأن ما بين صنيعهم وصنيعه .

أين قطراتُ الدموع التي يُريح بها الباكون أقسهم ،أو قطرات المداد التي يُرصِّع بها الكتاب يباض صحائفهم — من قطرات الحياة التي أراقها مصطنى كامل في سبيل وطنه وأمته ؟

كان مصطنى كامل سِراجا كبير الشَّعلةِ ، وكل سراج تكبُر شملتُه يفرَغ زيته وشيكاً ، وتحترق ذُبالته فينطنيُّ نوره .

كان مصطفى كامل نشيطاً سريع الحركة ، فقطَع جِسر الحياة فى لحظة واحدة .

كان الوطنيّون قبل اليوم يتكلّمون، فلما صاح مصطنى كامل وأسمع في صياحه، عرفوا أن آذان السّياسة لايخترِفها إلا الصّوتُ الجُمْوُرَىُّ، ولولاه ماكانوا يعرفون.

كان الوطنيّون يحتقِرون أنفسهم ، ويُسيئون الظنَّ بها ، فلا يُصدّقون أن تُرْبةَ مصرَ تُنبِت أمثالَ: فولتيرَ ، وهوجو ، وغريبالدى ، وواشِنطونَ . فلما نبغَ مصطفى كامل عرَفوا أن تُربة الشرق لا تختلف كثيراً عن تربة الغرب — لو تَعَهّدها الزَّارعون . كان مصطنى كامل أناملهُ أشبهُ شىء بريشة الموسيقارِ ؛ يضربُ ، بها على أُوتارِ القاوب . وكأَنما كان بينه وبينها سِلك كهر بِيُ * ؛ فعى تخرك بحركته ، وتسكُن بسكونه .

ما كان مصطفى كامل أَذْكَى النَّاسِ ، ولا أُعلَم الناس ، ولا أُعقلَ الناس ، ولكنه كان أشجعَ الناس .

كَانَ يَفكر فيقتنيعُ ، فيصمَّمُ فَيَمْضِي ، فلا ينتَى حتى الموت .
كان مُخطِئُ أحيانًا في اتخاذ الوسائلِ إلى آماله ، ولكنَّه كان إذا الخذَها لا يتمهَّل ريثها يتبيَّن أى طريق يأخذ ، ولا أى مَسلَك يسلكُ ؛ مخافة أن تفترَ همتُه بين الأخذ والرد ، فيكون خطوه في تردُّدهِ أكثر من خطئه في جهاده .

كان له مُنافسون يرمونَه بالِخْفَّةِ والطَّيْس، ويقولون له إنك مُخْطِئ، أو مُضرَّ، أو غيرُ محسن ، أو غير عظيم ، فما كان يصدَّق من ذلك شيئاً ، كأنما كان ينظر بدين النيب إلى هذا اليوم الذى اتّفق فيه أصدقاؤه وأعداؤه ، وخصومه وأولياؤه أنَّه رجلُ عظيم.

ماكان مصطنى كَاملٍ من الأغنياء ، ولا من كيثت المُلكِ. وما كَان آمرًا ولا ناهِيًا ، ولا رافعًا ولا خافضًا، ولكنَّه اتِيَ من إجلال الناس لموته ، وإعظامهم لمُصيبته ما لم يلق واحد من هؤلاء . ولا فضْلَ لهم فى ذلك عليه ؛ فهو الّذى علّمهم كيف يحترمون الثُمّقولَ ، ويجِلُّونَ المناقِبِ والمَزايا .

فيأيها القارئ الكريم ! إِنْ كان لك ولد تحب أن نجملة رجـلا ، فاجمل بين يديه حياة مصطفى كامل ، ليتملّم منها الشجاعة والإقدام .

ويأيّها المصرى اكن أحرص الناس على وطنيّتك ، ولا تبغرِ بها بدلاً من عرَضِ الدنيا وزُخرُفها ، فإنك إن فعلت كنت مصطفى كامل .

ويأيها الإنسانُ ! أَقْدِمْ على عظائم الأمور ، ولا تلتَفِت يَمنةً ولا يَسرةً ، وأُختَرِق بسيف شَجَاعتك صفوف المُعترضين والنّاقين ، والمحازِثين والساخِرين ، فأنهم سيعتَرفون بفَضْلك ، ويُسَمّونك عظيماً كا مثمو المصطفى كامل .

ويأيها الراحلُ المودَّع ! إن بينَ جنبً لوعة تَمْتلِج لِفراقك، لا أُعرِفُ سبيلاً إلى التعبير عنها إلا القلمَ.

وهأنذَا أعالجُ القلمَ عِلاجًا شديداً ، على أن يُسْمِفَنِي بحاجتى ، وأُقلَّبه ظهراً لبطن ، وأَكثِر من استِمداده ، وأُصنَط به القرطاس صغطاً شديداً ، فلاأراهُ يُغنى عنى شيئاً

خطر لى أن الحزنَ فى شُوَيْدَاه القلب ، وأنه بميد الغَوْرِ ، لا تبلُفه هذه الأداة القصيرةُ التى فى يديى ، فاستبدَلتُ بها أداةً أطولَ منها ، فكان حكمُها حكم سابقتها .

إذن كيف أُعَبِّرُ عن وجْدِي أَيّها الفقيدُ الكريمُ، وقد خرِس القلمُ، وعَبِيَ اللّسان ؟

أَلاّن عرفتُ السبيلَ ، ووصلتُ إلى ما أريد .

أنت َ الآنَ في عالمَ الأرواح ، وقد انكشف لك كلُّ شيء من أسرار النّفوس ودخائل القلوب ، ولابُدَّ أن يكون قد انكشف لك ما يُكِن قلبي من الوَجْد عليك ، والأسنف على فِراقك. فما حاجتي بعد ذلك إلى ترجَعة القلمِ أو تَعبير اللّسان ؟

أيها الراحلُ المودَّعُ الطِبتَ حيَّا وميتاً خدمتَ أُمَّتك في حياتك وبعد مماتك . ولولا حياتُك ما نَمَت العاطفةُ الوطنيّةُ في نفوس المِصريين ، ولولا مماتُك ما عرف العالمُ أجعُ أن الأمةَ المِصريةَ المُعلم اختلاف مشاربها ومذاهبها - تجمعُها كلة واحدة ، هي : حبُّ الوطن ، وحثُ رجالِهِ العامِلين .



٨٤ – أبو نصر المنتازى وأبو العلاء المعرى

قيل إن أبا نصر أحمد بن يوسف المنازى ، دخل على أبى العلاء المَرى في جاعة من أهل الأدب ، فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر ، فأنشده أبو نصر :

وقانا لفحة الرّمضاء واد سقاهُ مُضاعَف النيثِ السيم نُرلنا دَوْحَه فَحَنا علينا حُنُوّ الوالدات على الفَطيم وأرشَقَنا على ظمأ زُلالا ألدّ من اللّدامة للنّديم يصدُد الشمس أنّى واجهتنا فيحجُبها ويأذَن للنّسيم يروع حَصاه حالية العذارى فتليس جانب العِقد النّظيم

فقال أبو العلاء : ﴿ أَنْتَ أَشْمَرُ مَنْ بَالشَّأْمِ . ﴾

ثم رحل أبو العلاء إلى بنداد ، فدخل المنازى عليه فى جماعة من أهل الأدب ببغداد - وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً - فأنشد كل واحد ما حضره من شعره ، حتى جاءت نَوْبة المنازى فأنشد :

لقد عَرَض الْحُمَامُ لنا بسَجْعِ إذا أَصْغَى له رَكْبُ تلاحَى

شَجًا قلبَ الْحَلِيُّ فَقِيل : غَنَّى وَبَرَحَ بِالشَّجِيُّ فَقِيلَ : ناحاً وَكَمَ للشَّوقِ فِي أَحشاء صَبِّ إِذَا اندملتُ أَجَدُّ لَهَا جِرَاحاً صَبِفُ الصَبَرِ عَنْكَ وَإِنْ تَقَاتِي وَسَكَرَانُ الفَوَّادُ وَإِنْ تَصَاحَى بَذَاكَ بَنُو الْهُوى سَكَرى ثُصَاةٌ كأحداقِ المَهَا مرضَى صِحاحاً

فقـال أبو العــلاء : « ومَن بالعراق . » عطفًا على قوله « سَن بالشأم »



۹ حماوية وعرابة بن أوس الانصارى

. كان عرابة بن أوس الأنصارى سيد ناديه ، و بمَال عافِيهِ ، تُجِله عشيرته ، و بمَال عافِيهِ ، تُجِله عشيرته ، و ينزل قومه على إرادته ، فقال له معاوية : ﴿ بأَى شَىء سدّت قومك ياعرابة ؟ » قال : ﴿ أُخبرك يامعاوية بأنى كنت لهم كماكان حاتم لقومه » قال : ﴿ وَكِيفَكَانَ ؟ » قال : ﴿ كَانَ كُمَا وَصِفَ نَفْسِه بقوله :

وأصبحت فى أمر المشيرة كلها كذى الحلم يُرضى ما يقول و يعرف وذاك لأنى لا أعادى سراتهم ولا عن أخى ضرائهم أَتَنكُف وإلى لأعطى سائلى ولربما أكلّف ما لا أستطيع فَأَكلَف وانى لمذموم إذا قيل : حاتم نبا نَبّوة ؛ إن الكريم يُمنّف ووالله إني لأعفو عن سفيههم ، وأحلم عن جاهلهم ، وأسمى فى حوائبهم ، وأعطى سائلهم فن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل منى ، ومن قصر عن فعلى فأنا خير منه . »

فقال معاوية: « لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك: --رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين إذا ما راية رمعت لمجــــد تلقاها عرابة باليمــــين

٥٠ ـ العُقاب

المقاب خفیفة الجناح ، سریمة الطّیَران ، إن شاءت ارتفعت حتی لا تُری ، وإن شاءت هَبَطَت . وهی مُولَمةٌ بصید الحیّات .



وفى طبعها – قبل أن تتدرّب – أنها لا تُراوغ صيداً ، ولا تجيدٌ فى طَلَبِهِ ؛ بل لا تزال موفية على شرف عال ، فإذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً ، انقضّت عليه ، فتتركه لها ، وتنجو بنفسها .

ومتی جاعت لم یمتنع علیها الذّئب ، وربما صادت مُحُر الوحش ، وذلك أنها إذا نظرت الحار ، رَمَت بنفسها فی الماء حتی یَبْتُلَّ جناحاها ، ثم تتمرَّغ فی التراب وتطیر ، فتقع علی هامَته ، وتصفی علی عینیه بجناحها ، فتملؤها تُراباً ، فلا یری أین یذهب ، فیؤخذ .

وقد وصف العقاب الشعراء ؛ فن ذلك ما قاله أبو الفرج الببغاء ما كل ذات غِنْكِ ونابِ من سائر الجارح والككلاب عُدْرك في الجِدُّ والطَّلاب أَيْسَرَ ما يُدْرَك بالْعقابِ شريفة الصَّبغة والأنساب تطير من جناحِها في غابِ وتَسْتُر الأرض عن السَّحاب وتَحَمُّجُبُ الشمس بلاحِجاب يَظَلُ منها الجُو في اغْتِراب مُسْتَوْحِشاً للطَّير كالمُو تاب

¥ ¥

ذَكَية تَنْظر من شِهاب ذات جِران وَاسِع الْجُلْبابِ
وَمَنْكِب ضَغْم أَثبت رابى وتمنْسِر مُوتَّق النَّصاب
وراحَتَى لَيْثِ شَرَى غَلاَب نِيطَت إلى براثن صلاب
مُرْهَفَةٍ أَمْضَى من الْجراب وكل ما حَلَّق في الضَّباب
للكها خاصِصة الرُّقاب



٥١ ـ أبو العتـــاهية

نَشَأُ بِالكُوفة وسَكَن بَفدادَ ، وكان يَبيعُ الجراد ، فَقيل له الجراد . ومن مديحه :

إِنَّى أَمِنْتُ مِن الرَّبَانُ وَصَرُفُهِ لَمَا عَلِقت مِن الأَميرِ حَبَالاً لَو يَسْتَطَيعُ النَّاسُ مِن إِجْلاله تَحَذِوا له حُرَّ الْخُدود نِصَالاً إِنْ المَطَايا تَشْتَكَيكَ لأَنْها قَطَمَت إليك سَبَاسِبًا ورِمالاً فإذا وَرَدْنُ بِنَا وَرَدْنُ خَفَاتُهَا وإذا صَدَرْنُ بنا صَدَرْنُ ثِقَالاً

وهذه الأبيات قالها في تخرو بن القلاء، فأعطاه سَبِمين ألف درم . وخلع عليه من الجِلَع ما لم يقدر أن ينهض به ، فغار الشُعراء لذلك ، فَمَنهم ثم قال: ﴿ يَا مَمْشُر الشَّعراء ! تَجبًا لَكُم ا ما أَشَدَّ حَسَدَكُم بِمضَكُم بِمضًا ! إِن أَحَدَكُم يَأْتينا لِيَمْدَ حنا بقصيدة يُشَبِّب فيها بصديقته بخمسين بيتًا ، فا يَيْلُمُنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورَوْنق شِعره ، وقد أتانا أبو العَتاهية يُشَبِّب بأيات يسيرة ، فا لكم منه تَفارون ؟ »

وكان أبو المتاهِيَة لما مدحَه بهذه الأبيات تأخَّر عنه بِرْه قليلاً ، فَكُتَبِ إِلَيْهِ يَسْتَبْطِيْهُ :

أصابَت علينا بُودَك العبنُ يا عمرُو فنحن لها تَبنى التّمامِ والنّشرُ مَن الله على الله الله ورد ال

أذلا فأجل إدلاكمسا ألا ما لسيَّدتى مالَمـــــا قال : ﴿ فَنَخَسَنَى بِشَارٌ ۚ بِمِرْ فَقَهِ وَقَالَ : وَيْحَكَ ا أَرَأَيْتَ أَجْسَر مَن هذا يُنْشِد مثل هذا الشمر في هذا الموضع ؟ ، حتى بِلغ إِلى قوله : أُتَتْ الْجِلَافَةُ مُنْقَادَةً إليه تُجَرَّرُ أَذْبَالَهَا فلم تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا له ولم يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ا كَوُلْزِلَتِ الأَرْضِ زَلْزَاكُمُـا ولَوْ رامَها أحـدُ غَيْرِه لما قبل الله أعمالَمُـــــا ولو لم تُطِعْه كِناتُ القُارِبِ فقال لى بشار : ﴿ أَنْظُرِ ! وَيْحَكَ بِا أَشْجَعِ ! هُلُ طَارَ الْخَلِيفَةُ عَنْ فَرْشِهِ ؟ ٥ قال أَشْجَع : ﴿ فَوَاللَّهُ مَا انْصَرَفَ أَحَدُ عَن ذلك المجلِس بجائِزَة غير أبي المتاهِيَة . • وله فى الرُّهْدِ أَشْمار كثيره . وهو من مُقَدَّى المُـُوَلدين فى طبقَـة بَشَار وأبى نُواس وتلك الطائِفة ، وشِعْره كَثير .

وكانت ولادَتُه فى سنة ثلاثين ومائة ، وتُورُفَّى يوم الاثنين لثَمَان خَلَوْن من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وماثنين -- وقيل ثلاث عشرة وماثنين --بيَمْداد ، وقَبَرُه على نَهر عيسى قُبالَة قَنْطَرة الزَّيَّاتين (رحمه الله تمالى).

ولما حَضرَتُه الوَقاةُ قال : ﴿ أَشْتَهَى أَنْ يَجِىءَ مُخارِقَ المُغَى ، وَيُغَمِّى عَنْدَ رَأْسِي . ﴾ (والبيتان له من جملة أبيات) :

إذا ما انْقَضَتْ عَنَى من الدَّهرمُدَّتَى فإن عَزاء الباكيات ِ قَلِيـلُ سَيُعْرَضُ عَنذِ كُرى وتُنْسَىمَودَّتَى ويَحْدُث بمدى لِلْخَليل خليل

وأوْصى أَنْ يُكْتَبِ على قَبْره هذا البيت .

إِنْ عَيْشًا يَكُونُ آخِرهُ المو تَ لعيشٌ مُعَجِّل التَّنْغيص

ويحكى أنَّه لقِيَ يوماً أبا نُواس فقال له : « كم تَمْمل في يومك من الشَّمر ؟ » فقال أبو المتاهية : « لكننى أعمل المماثة والمماثتين في اليــوم . » فقال أبو نواس : « لأنْك تممل مِثل قواك :

يا عتبُ ما لى والهِ يا ليتنَى لم أُوكِ

« ولو أردتُ مِثل هذا الألف والألفين لقدَرتُ عليه . » ومن لَطيف شعره قوله :

ولقد صَبوْتُ إليكِ حـــــــــــــــــــق صار من فَرط التَصابى يحِــدُ الْجُليسُ إذا دنا ربح التَصابى في ثِيابى وحكاياته كثيرة ، ومن شعره في عتبة جارية المهدى :

يا إخوتى إن الهُوى قاتلى فبشَّروا الأكفان من عاجل ولا تاوموا في اتَّباع الهوى فإننى في شُنْلِ شاغِل

ويقول فيها :

عنى على عتبسة مُنْهاة بدَمها المُنسكب السائِل با مَن دأى قبلى قتيلا بكى من شدة الوَجدِ على القاتل بسطت كن نحوكم سائلاً ماذا تردُّون على السّائل إن لم تُنفِياوه فقولوا له قولاً جيلاً بدَلَ النائل أو كنتم المام على عُسرة منه فنوه إلى القابِل أو كنتم المام على عُسرة منه فنوه إلى القابِل

وكان أبو المتاهية ترك قولَ الشعر ، فحكَّى قال : ﴿ لَمَا امْتَنْهَ مِنْ مَنْ قُولُ الشَّعْرِ ، فَاسَا دَخَلْتُهُ دَهِشْت ، قول أمر المهدِئُ بَحَبَّسَى فى سِجن الجرائم . فاسا دخلتُهُ دَهِشْت ، ورأيت مَنظرًا هالنَى ، فطلبتُ موضِعاً آوِى فيه ، فإذا أنا بكُهل

تعودتُ مسَّ الشُّرُّ حتى أَلِفتهُ وأُسلمنى حسنُ الْمَزَاء إِلَى الصَّبْرِ وصَيِّرَنَى يَأْسِي من الناس واثقاً بحسن صنبِحِ الله من حيثُ لاأدرى

فاستحسَّنتُ البيتين وتبرَّكت بهما . وثاب إلىَّ عقلي . فقلت له : « تفضل – أعزك الله – على بإعادتهما . » فقال : ياهذا وَيحك ! ما أسوأ أدبك ، وأقل عقلَك ومروءتَك ! دخلتَ فلم تُسلَّم عَلَى "تسليمَ المسْلم عَلَى المسْلم ، ولا سألتَنى مَسألة الوارد عَلَى المقيم ، حتى سمِعتَ منى بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله تمالى فِيك خيراً ولا أدباً ولا مَماشاً غيرَه، طفِقت تستنشِدنى مبتدئًا كأن بيننا أنسًا وسالفَ مودة توجب كِسط القَبض ، ولم تذكر ماكان منك ، ولا اعتذرتَ عمـا بدا من إساءة أدَّبك . » فقلت : « اعذِرني مُتفضًّلاً ، فدون ما أنا فيه مُيدهِش .» قال : ﴿ وَفِيمُ أَنَّ ؟ تَرَكَتَ الشَّمَرِ الَّذِي هُو جَاهُكُ عَنْدُمْ ، وسَابِكُ إليهم ، ولا بدَّ أن تقوله فتُطلَق . وأنا مطالَب بميسى بن ِ زيْدٍ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأدُلَّ عليه وعلى مكانه ، فإن دلَلتُ عليه لقيتُ الله بدمه ، وغضِب منى رسول الله ، وإلاَّ تُتِلْتُ ، فأنا أَوْلَى بالحيرة منك .

وها أنت ذا نرى صَبرى واحتسابي . ﴾ فقلت : ﴿ يَكْفِيكُ اللَّهُ عَز وَجَل . ﴾ وخجلت منه ، فقال : « لا أجم عليك التوييخ والمَنع ، اسمع البيتين . » ثم أعادهما على مرارًا حتى حفظتُهما ، ثم دُعِيَ به وبى . فقلت له : « من أنت أعزك الله عز وجل ! » قال : « أنا حاضر صاحب عيسى ابن زيْدٍ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . • فأدخلنا على المهدئ ، فلما وقفنا بين يديه قال للرجل : ﴿ أَيْنَ عَيْسَى بَنُّ زَيْدٍ ؟ ﴾ قال : ﴿ وَمَا مُدريني أين عيسي بن زيد ؟ تطلّبتَه فهرب منك في البلاد ، وحبستَني فمن أين أقف عَلَى خبره؟ » قالله : « متىكان متواريًا ؟ وأين آخر عَهدك به ؟ وعند مَن لقيتَه ؟ ، قال : ﴿ مَالقَيْتُهُ مَنْذَ تَوَارَى ، وَلَا عَرَفْتَ لَهُ خَيْرًا. ﴾ قال : « والله لتدُلَّن عليه أو لأَضرِبُّ عنقَك الساعة . » فقال : « اِصنع مابدا لك ، فوالله ما أدلُّك على ابن رسول الله صلى الله عليه وســلم ، وَٱلْتَى الله تمالى ورسوله عليه السلام بدمه ، ولوكان بين تُوْبِي وجلدى ماكشفت لك عنه » قال: « اضربوا عنقه. » فأمر به فضربت عنقه . ثم دما بى فقال : « أتقول الشمر أو ألحقُك به ؟ » قلت : « بل أقول . » قال: ﴿ أُطْلِقُوهِ . ﴾ فأطلقت .

وقد رَوَى القاضى أبو على التّنوخِيُّ فى البيتين المذكورين زيادة يبتِ ثالث وهو :

إذا أنا لم أَتْنَع من الدهر بالذي تكرَّهْتُ منه طال عَنْبِي على الدهر

ومن شعر أبي المتاهية في الحكم قوله: --

الحُرص داء قد أضر عن تَرى إلا قليلا كم من عزيز قد رأيست الحرص صبَّحه ذليلا فتجنب الشهوات واحسفر أن تكون لها تَكيلا فلربَّ شهوةِ ساعةٍ قد أورثت حُزنًا طويلا

* 4

من لم يكن لك مُنْصِفًا فى الوُدّ فَابْغ به بَديلا وعليك نفسك فارْعَها واكسِبْ لهَا فسلاً جميلا ونقلًا الله علي الله مستطيلا والمره إن عرف الجسيل وجدته يَبْغي الجميلا

وقوله :

خیرُ أیام الفتی یومٌ نفع واصطناع الخیر أبتی ماصنع ونظیرُ المرء فی معروفه شافعُ مَتَّ إلیه فشفَع خذمن الدنیا الذی دَرَّتْ به واسْلُ محا بان منها وانقطع إِمَّا الدُنيا مَنَاعُ زَائِلُ فَاقتصدُ فِيهِ وَخُذُ مَنه وَدَعْ وارضَ للناس بما تَرضَى به واتْبعْ الحق فنمُمَ اللَّبَعْ وابغ مااسْطَمْتَ عن الناس الفِنَى فن احتاج إلى الناس ضَرَعْ

ما أنا إلا لمن بَنَانِي أرى خليلي كا يرانى لست أرى ما ملكت طَرْفي مكان من لا يرى مكانى لا ترى ما في الهوات لا ترقع مكسبًا حلالًا تكون منه على يبان فالمال من حِله قوام الميرض والوجه واللسان والفقر ذائ عليه باب مفتاحه العجز والتوانى



٢٥ ــ أمّ العبّاس بن المأمون

عن أبي عبد الله النُّميريُّ قال : كنتُ يوماً مع المأمون وكات بالكوفة ، فركب للصَّيد ، ومعه سَرَّيَّة من العسكر ، فبينها هو سائر إذ لاحت له طَريدَةٌ فأطلق عِنان جواده . وكان على سابقٍ من الخيل ، فأشرَف على نهر ماه من الفُرات ، فإذا هو بجارية عربية خُمَاسِيّة ِ القَدُّ ، كأُنها القمر ليـلة تمامه وبيدها قِربة قد ملأتها ماء ، وحملتُها على كَيْفِها ، وصعِدت من حافَة النَّهر ، فامحلَّ وكاؤها ، فصاحت برفيع صوتها : ﴿ يَا أَبِتِ ! أَدْرِكُ فَاهَا ، قَدْ غَلْبَنِّي فُوهَا ، لَاطَاقَةَ لَى بَفِيهَا . ﴾ « فعجب المأمون من فصاحتها ، ورمت الجاريةُ القِربةَ من يدها ، فقال لها المأمون : « يا جاريةُ ! من أيِّ العرب أنت ؟ » قالت : « أنا من بني كِلابِ . » قال : وما الَّذي حملك أن تكوني من الكلاب ؟ » فقالت : « والله لستُ من الكلاب ، وإنحا أنا من قوم كرام غير لثام ، يَقْرُون الضَّيف ويضربون بالسيف ، ثم قالت : « يا فتى؟ من أَىُّ الناسأنت ؟ » فقال : « أَوَ عِندَكُ علم بالأنساب ؟ » قالت : ﴿ نَم . ﴾ قال لهما : ﴿ أَنَا مِن مُضِرَ الْحَرَاءِ . ﴾ قالت : « من أى مضرَ ؟ » قال : « مِن أكريها نسبًا ، وأعظمها حَسبًا ، وخيرها أمَّا وأبًا ، مِّمَن تهابُه مضركلُها . » قالت : « أَطَنْكُ من كِنانَةَ . »

قال : « أنا من كنانةً . » قالت : « فمن أيُّ كنانةً ؟ » قال : « من أكربها مولدا ، وأشرفها عبداً ، وأطولها في المكرَمات يداً ، ممن تهابُه كِنانةُ وتخافه . » فقالت : « إِذًا أنتَ من قريش . » قال : « أنا من قريش . » قالت : « من أيّ قريش ؟ » قال : « من أجلبها ذِكرًا ، وأعظمها فخرًا ، ممن تهابه قريش كلُّها وتخشاه . » قالت: « أنت والله من بني هاشم » ، قال : « أنا من بني هاشم . » قالت : « من أى هاشم ٍ؟ » قال : « من أعلاها منزِلةً . وأشرفهـا قبيلةً ، ممن تهابه هاشم وتخافه . » فعند ذلك قبَّلتِ الأرض وقالت : « السلام عليكَ يا أمير المؤمنين ، وخليفةَ ربِّ المالمين . » فسجب المأمون وطرب طربًا عظيما ، وقال : « والله لأتزوَّجَنَّ بهــذه الجارية ؛ لأنها من أكبرالغنائم ، » ووقف حتّى تلاحَقت عنده المساكِرُ فَنْزَل هَنَاكُ ، وَأَنفَذَ خَلْفَ أَبِهَا ، وخَطَّبِها منه ، فزوَّجه بِها ، وأخذها وعاد مسروراً . وهي والدة ابنه العبّاس . »



۵۳ ـ نفس كبيرة

· كتب إلى بديعالزمان بمض إخوانه يهتُّنه بمرض أبى بكر الُخوارزمى ، وكان بينهما مُنافسة ، فكتب البديع : --

أَكُورُ - أطال الله بقاءك - لاسيًّا إذا عَرَف الدهرَ مَعْرفتى ، ووصف أحواله صفتى - إذا نظر علم أنَّ نِمَ الدَّهرَ ما دامت معدومة فعى أمانى ، وإن وُجدت فعى عوارى . وأنَّ عِنَ الأيام وإن طالت فَسَنْفَد ، وإن لم نُصِب فكأنْ قد ، فكيف يَشْمَت بالحِنْة من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يَمْدَمُها فى جنسه . والشَّامِت إن أَفْلت فليس يفوت وإن لم يَمُت فسيموت . وما أقبح الشَّمَاة بمن أمِن الإمانة ا فكيف بمن يتوقَّمها بعد كل لحظة ، وعقب كل لَفْظة ؟ والدهر غَرْانُ طَعمه الخيار، وظمآنُ شِرْبه الأحرار . فهل يشمَت المرء والدهر غَرْانُ طَعمه الخيار، وظمآنُ شِرْبه الأحرار . فهل يشمَت المرء بأنياب آكله ؟ أم يُسَرُّ الماقل بسلاح قاتله ؟

وهذا الفاصل – شفاه الله – إن ظاهرناه بالمداوة قليلا ، فقد باطّناه ودًّا جميلا . والحر عند الحُمِيَّة لا يَصْطاد ، ولكنه عند الكرم يُنقاد ، وعند الشَّدائد تَذْهَب الأحْقاد ، فلا تَتصوَّرْ حالتي إلا بصورتها من التّوجُّع لمَّلته ، والتحرُّن لمرضَتهِ . وقاه الله الكروه ا ووَقاني سماع المحذور فيه ! عَنَّه وحوْله ، ولُطفه وطُوله .

٥٤ – المعتقصم بن صادح ملى فراش الموت

الأندَلس في أمر مَريج ، زال عنها سلطان الخلافة فاضطَّربت ، وفقدَت رواسِيهَا من بني أمية فادت ، وأصبحت كرُّقعة الشَّطْرَنج ، يتغالَب الملوك على كل يبت فيها ، كل قوي يحوز ماوسِع حولُه وهِمَّته ، والعيش غِلاَبُ ، « والبَرّ أوسعُ والدنيا لمن عَلَباً . »

في هذا المُعتَرك ملك عبد بن أحمد بن صادح التجبي مدينة (وَشُقَة) بالأندلس . ثم ملك ابنه مَعن بن محمد مدينة (المَريَّة) (١٠ وخلفه ابنه أبو يحيي المتَصِم بالله وهو في سن الرابعة عشرة . نشأ في مُلك صيق الرُّقة ، فاستماض منه سعة الخلق وبُعد الهمة ، وحِلية العلم والأدب ، والسخاء الشامل ، والجود العميم ، حتى طاول المتبد بن عباد كبير ملوك الطوائف ونافسه ، وقال أمير المسلمين يوسفُ بن تاشفين حينا لقيمها بالأندلس و هذان رجُلا هذه الجزيرة . »

قال ابن خلكان:

« وَكَانَ رَحْبَ الفِناء ، جزيلَ العطاء ، حلياً عن الدُّماء ، طافت

⁽١) مدينه بالأمداس على ساحل البحر الرومي كانت قاعدة الأسطول الاسلامي .

به الآمالُ ، واتسع فى مَدحه المَقال ، وأعملت إلى حضرته الرَّحال ، وأعملت إلى حضرته الرَّحال ، ولرِّمه جماعة من فُحول الشعراء . »

وقال الفتح بن خاقان :

د ملك أقام سوق الممارف على سانها ، وأبدع فى انتظام تجالسها واتسانها ، وأبدع فى انتظام تجالسها واتسانها ، وأوضَح رسمها ، وأثبت فى جبين أيامه وسمها ، لم تحفل أيامه من مُناظرة ، ولا تحمُرت إلا بُحذاكرة أو تُحاضَرة . وكانت دولته مشرَعاً للكرم ، ومطلماً للميم ؛ فلاحَث بها شمُوسٌ ، وارتاحت فيها نفوسٌ ، ونفقت فيها أعلام الأعلام ، وتدفقت بجار الكلام ، كإجادة ابن همار وإبداعه فى قوله مُعتذرًا من وَداعه :

أَمُنتَصِماً بالله والحسربُ ترتمى بأبطالها والخيلُ بالخيـل َ للتَـقِى دعْتَى المطايا للرَّحيـل وإنَّى لأَفرَق من ذكر النَّوى والتَّفرق وإنى إذا غرَّبتُ عنكَ فإنَّما جبينُك شمسُ والْمَرِيَّةُ مَشرقِ ،

وكان المتمم كالمتمدِ بن عبّاد شاعرًا عيداً . كتب إلى الوزير الشّاعر ابن عمّـار :

طوى الأمير أربعين عاماً في إمارته ، شاع فيها ذكرُه ، ونبه اسمه ، وحلّب الدهر أشطُره ، ورأى أحداثه وعِبَره ، ثم حُمَّ القضاء ، ويمث ابن تاشفين جُنوده عَلَى ملوك الطوائف تثلُّ عروشهم ، وتُكفَّ آثارهم ، ولق « رَجُلَا الجزيرة » الصدمات الأولى ، فدارت على المستمد الدَّائِرات ، فإذا هو أسير أَثْمَاتَ (١) ، وللمستمد بن عبّاد قِصة ملوُها المبرات والزَّفرات .

وعَلِم ابن صهادح بما أصاب صاحبَه فعلَكَه النم ، وناء به الحزن وكان أسعدَ من صاحبه جَدًا ، نجًاه الموت من الإسار، وأنقذَه الحِمام من المذلة . « رُبًّ عيشٍ أَخفُ منه الحِمامُ . » ولله ابن بَسَّام حين يقول :

وكان بين المتَصم وبين الله سريرة أسلفت له عنـد الحمام يداً
 مشكورة ، فمـات وليس بينه وبين حُلول الفاقِرة به إلا أيام يسيرة في شلطانه وبلده ، وبين أهلهِ وولده . »

دع ما نتم الكتاب وأسد الشمراء، ودع أربعين مَواها الرَّمان كُأَمَّها أُحلامٌ، وانظُر المعتصم ليلة الحيس لثمان بَقِيْنَ من شهر ربيع الأول سنة أربيم ونمانين وأربعائة — اللَّيلة التي طلع عليه بالرَّدى فَجْرُها. ها هو ذَا على فِراش الموت في قصرِه بالْمَرِيَّة ، ومُعسكر ابن تاشفين على مقربة من المدينة ، ترى خِيامَه ، وتسمعُ ضوضاءه ،

⁽۱) ملیده کات وراء مراکش .

ويسمع المتمِم وَجبةً من الجيش اللَّجِب ، والجنـدِ المُصطَخِب، فيقول كأنْ لم ينتم بالمُلك والجاه أَربِمين عاماً:

« لا إله إلا الله، نُنَّص علينا كلُّ شيء حتى الموت » قالت « أَرْوَى » إحدى جَوَّاريه : « فدَمَعت عَيْنَاىَ ، فلا أَنسى طَرْفًا إلىَّ يرفَعُه ، وإنشاده لى بصوت لا أَكادُ أَسْمَه : »

« ترفَّق بدَمْمِك لا تُنفيه فبين يدَيك بكاء طَويلُ »



هه ـــ من رسالة لابي عمرِ بنِ بحرٍ الجاحظ في الحاسِد والمحسود

الحسدُ – أبقاك الله – داء ينهَك الجسد، ويُفسد الأوَد . علاجه عَبِيرٍ، وصاحبه ضَجِر . وهو باب غامض ، وأمر متمذَّر ، وما ظهر منه فلا يُداوَى، وما بطَّن منه فمداويه فى عناء ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دبَّ إليكم داء الأم من قبلكم : الحسدُ والبغضاء ، وقال بعض الناس لجلسائه: « أَيُّ الناس أقلَّ غَفْلة ؟ » فقال بمضهم: « صاحب لَيْلِ ؛ إنما همُّه أَن يُصبِح . ، فقال : ﴿ إنه لَكذَا ، وليسَكذَاكُ ، فقالواله : « فَأَخْبِرُنَا بَأْقِلِ النَّاسِ غَفَلَةً . » فقال : « الحاسد ؛ إنما همُّه أن ينزع الله منك النَّعمة التي أَعْطاكُها ، فلا ينفُل أبداً . » ويروى عن الحسن أنَّه قال : ﴿ الحَسد أُسرِع فِي الدينِ مِن النَّارِ فِي الْخُطْبِ اليَّابِسِ ، وَمَا أَتِيَ المحسودُ من حاسده إلا مرِّ قِبَـل فضل الله عنده ونعمتهِ عليه . قال عز وجل: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ٓ آ تَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آل إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَة وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيها. ﴾ والحسد عَقيد الْكَفْر، وحَليف الباطل، وضِدُّ الحق، وحَرب البَيَانَ ، فقد ذمَّ الله أهل الكتاب به فقال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْل

الْكَتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَمْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْشُهِمْ . » فمنه تتولَّد المداوة ، وهو سَبب كل قطيعة ، ومنتج كل وَحْشة ، ومُفرَّق كل جاعة ، وقاطع كل رحِم من الأقرباء ، ومُحدث التَّفَرُق بين القُرَناء ، ومُلقَّح الشّر بين الخُلفَاء ، يَكُسُفُ الصدر كُمون النَّار في الحَجَر .

ولو لم يدخُل على الحاسد — بعد تراكم الفُموم على قلبه، واستكمان الحزن في جَوْفه، وكَثرة مَضَضه، ووَسواس ضميره، وتنفُص عُمره، وكذر نفسه، ونكد عيشه — إلا استصفاره نيمة الله عِنْدَهُ، وسُخطه على سيّده بما أفاد غيره، وتمنيه عليه أن يرجع في هبته إباه، وألا يرزُق أحداً سيواه — لكان عند ذَوِى المقول مَرحوما، وكان لدَيهم في القياس مظاوماً. وقد قال بعض الأعراب: «ما رأيتُ ظالماً أشبه بمظاوم من الحاسد: نفسٌ دائم، وقلب هاثم، وحزن لازم. والحاسد تعذول ومَوْزُور، والحسود تحبوب ومَنصور. والحاسد مغموم ومهجور، والحسود مَنْشِينٌ ومَزور.

والحسد - رجمك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات، وأول مَعصية حدثت في الأرض ، خُصِّ به أفضل الملائكة فعَصَى ربّه ، وقايَسه في خَلقه ، واستكبر عليه ، فقال : « خَلقتَنى مِنْ نَارٍ وَخَلقْتُهُ مِنْ طِينِ. ، فلمنه وجعله إبليساً ، وأنزله من جواره بعد أن كان أنيساً ، وشوَّه خُلْقه نشويها ، وموَّه على قلبه تمويها . نسى به عَزْمَ ربه فواقع الخطيئة ، فارتدع المحسود فتاب عليه وهَدَى ، ومضى اللهين الحاسد فى حَسَدِه فشتِي وغوى . وأمَّا فى الأرض فابْنا آدَم حسد أحدها أخاه فمصى ربه ، وأثكل أباه . وبالحسد طوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين ؛ فقد حمَّله الحسد إلى فاية القسوة ، وبلغ به أقصى حدود المقوق ، إذ ألتى الحجر عليه شادِخا ، فأصبح عليه نادِماً صارخا .

ومن شأن الحاسد - إذا كان المَحسود غنيًا - أن يُوبِخه على المال؛ فيقول: ﴿ جَمه حرامًا، ومنعه أيتامًا. ﴾ وألب عليه تعاويج أقاربه ، فتركهم له خُصَاء ، وأعانهم في الباطن ، وحمل المحسود على قطيمتهم في الظاهر ، فقال : ﴿ لقد كفروا معروفك ، وأظهروا في الناس ذمّك ، ليس أمثالمُم يوصَلون ، فإنهم لا يَشكُرون . » وإن وجد له خصما أعانه عليه ظُلمًا . وإن كان ممن يعاشره فاستشاره غشه ، أو خضر تفضّل عليه بمَروف كفره ، أو دعاه إلى نَصْرِهِ خذَله ، أو حضر مدحَه ذمّه ، وإن سئل عنه مجزه ، وإن كانت عنده شهادة كتمها ، وإن كانت منه إليه زلة عظمها ، وقال إنّه يجب أن يُعاد ولا يمود ، ويرى عليه القُمود .

وإن كأن المحسود عالماً قال : « مبتدع لرأيه متبع ، حاطب كيل ، ومُبتنى نيل ، لا يَدرى ما حَمل ، قد ترك العمل ، فاقبل على الحيل . وإن كأن المحسود ذا دِين قال : « متصنع يغزو ليوصى إليه ، ويحج ليُثنَى عليه ، ويصوم لتُقبَل شهادته ، ويُظهر النَّسك ليودَع المال يبتَه ، ويقرأ في المسجد ليزوَّجَهُ جارُه ابنته ، ويحضر الجنائز لتمرف شهرته . » وما لتبت حاسداً قط إلا تبيَّن مكنونه بتغيّر لونه ، وتخويص عينه ، وإخفاء سلامه ، والإقبال على غيرك ، والإعراض عنك ، والاستِثقال لحديثك ، والخلاف لرأيك .

وكان عبد الله بن أبي قبل نفاقه نسيج وحده ؛ لجودة رأيه ، وبعد هسته ، ونُبل شيعته ، وانقياد العشيرة له بالسيادة ، وإذعانهم له بالرياسة . وما استوجب ذلك إلا بعد ما استجمع له لبته ، وتبيّن لهم عقله ، وفقد ينهم جَهله ، ورأوه لذلك أهلا لما أطاق له حَلا . فلما بَمث الله نبية صلى الله عليه وسلم ، وقدم المدينة ورأى (عَبدُ الله) عِزَّ رَسُولِ الله ، شميخ بأنفه ، فهدم إسلامه بحسده ؛ وأظهر نفاقه ، وما صار منافقاً حتى طار حسوداً ، وما صار منافقاً حتى طار حسوداً ، وما طار حسوداً ، فهدم الله ، وتبوأ النار بعد الجنّة ولقد خطب النبي صلى الله وجهل بعد المعقل ، وتبوأ النار بعد الجنّة ولقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه إلى الأنصار ، فقالوا : « يا رسول الله لا تُلهُهُ ؟ عليه وسلم بالمدينة فشكاه إلى الأنصار ، فقالوا : « يا رسول الله لا تُلهُهُ ؟

ولو سلِم للمخذول قلبه من الحسد لكان من الإسلام بمكان، ومن الشُؤدُد في ارتفاع، فوضَعه الله لحسّده، وأظهر نِفاقهُ. ولذلك قال القائل:

طال على الحاسد أحزانه فاصفر من كثرة أحزانه دَعْه فقد أُشْمِلَ فى جَوْفه ما هاجَ فيه حَرَّ نيرانه الميبُ أَشْعَى عنده لذة من لدَّة المال خَلْرًانهِ فارم على غاربه حَبْلَة تَسلَم من كثرة 'بهتانه' فارم على غاربه حَبْلَة تَسلَم من كثرة 'بهتانه'



٥٧ – الوزير المهــــلي

قال أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي في الوزير المهلي:

قل للوزير أبى عمــــد الذى قد أعِزت كل الورى أوصافه لك فى المجالس منطق يشنى الجوى ويسوغ فى أذن الأديب سلافه وكأن لفظك جوهر مُتنَخَّل وكأنما آذاننا أصدافه

والمهلي هو أبو عمد الحسن بن محمد بن هرون بن إبراهيم بن عبد الله ابن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وزر لأحمد بن بويه الديلمى. وكانت وزارته سنة تسم وثلاثين وثلثمائة.

وكان أبو محمد من سروات الناس وأدبائهم وأجو ادهم وأعقائهم . وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد على طريق الفقر والتصوف . قال أبو على الصوفى : «كنت معه في بعض أوقاته أماشيه في إحدى طرقاته ، فضجر لضيق الحال فقال :

ألا موت يباع فأشـــتريه فهذا الميش مالا خير فيــه ألا رحم المهيمن نفس حر تَصــدَّق بالوفاة على أخيــه ثم تصرف بما يرضيه الدهر وبلغ المهلبي مبلغه. »

قال أبو على : « دخلت البصرة فاجتزت بسليمانان و إذا أنا بواسطيات وحراقات وطيارات فى عُدة وعِدة ، فسألت لمن هــذا ؟ فقيل للوزير ج ٣ (١٣) المهلبي. ونعتوا لى صاحبي ، فوصلت إليـه حتى رأيته ، فكتبت إليـه رقمة ، وتوصلت حتى دخلت فسلمت ، وجلست حتى خلا مجلسه ، فدفعت إليه الرقمة وفيها :

أَلَا قَـلَ لَلُوزِيرِ بَلَا احتشام مقال مُذَكِّر مَا قَـد نسيه أَتَذَكَرَ إِذَ تَقُولُ لَضِيقَ عِيش ﴿ أَلَا مُوتَ يَبِـاعِ فَأَشــتريهِ ﴾

فنظر إلى وقال: « نم . » ثم نهض وأنهضى معه إلى مجلس الأنس ، وجمل يذاكرنى مامضى ، ويذكر لى كيف ترقت حاله . وقدم الطمام فطممنا ، وأقبل ثلاثة من الفلمان على رأس أحدم ثلاث بدر ، ومع الآخر تُخُوت ثياب ، ومع الثالث طيب وبخور ، وأقبلت بفلة رائمة بسرج ثقيل ، فقال لى : « ياأبا على ! تفضل بقبول هذا ، ولا تخلف عن حاجة تمرض لك . » فشكرته وانصرفت . فلما همت باغروج من الباب استردنى وأنشدنى بديها :

رق الزمان لفاقتی ورثی لطول تحرق وأنالنی ما أرتجی وأجار ممــــا أتق فلأغفرن له الكثيـــرمن الذنوب السبق إلا جنايته التی فعل المشيب بمفرق »

٨٥ – الغـازات السامة

أَضْعَت النازات السامة من أشد وسائل الحرب خطَراً ، وأبلنها أثرًا ، حتى أصبحَت جميع الدُّول تخذِ الأَهبَـة لاتَّقاء شرَّها ، ودَفْع ضررها فتلجأ إلى الطرُق العلمية لمنع خطَرها . وقد استُعيلت هذه الغازات في الحروب القديمة ، وأدرَكت الحكوماتُ أضرارَها البالغة وَآلَامُها الجسيمة ، فقررَت في مؤتمر السَّلام الذي عُقِد بمدينة و لاهاى » سنة تسع وتسمين وثمانيمائة وألف عَدَم استعال الموادّ الكيميائيّـة في الحروب، وكذلك في مُعاهدة « لاهاى » عامَ سبيم وتِسمالة وألفٍ ، وانَّفَق المتهَّدون على تَحريم استعال الشَّم أو الأسلِحة المسمومة ، أو استِمَّال أيَّة أداةٍ غيرها تُسبُّب ألماً لا ضرورةَ له . وبرَغْم هذه المواثيقِ المُؤكِّدة ، والاتفاقات الاجتماعيَّة ، استُعملت الفازات السَّامة في الحرب العاكلية السُكبري (١٩١٤ - ١٩١٨) إذ فاجأ الألمانُ الفرنسيين فى اليوم الثانى والمشرين من شهر إبريل سنة خمسَ عشرةَ وتسمِائة بعد الألف بإطلاق غاز (الكلور) من اسطُوانات على جَبهة طوكُما أربعة ﴿ أميال ﴾ فكان ذلك سببًا في دَفْع جيش العدُّق إلى الخلف عِدة وأميال، ، فَضلاً عن وقوع الهلَع في قُلوب أفرادِ الجيشِ . وفي

الرابع والمِشرين من إبريل سنة خس عشرةً وتسمِائة بعد الألف، أطلَق الألمان نفسُ هذا الغاز على الخط الكندى، وفي نَفس المنطَقة بكميات كبيرة ، إذ أطلَقو ستَّة آلاف أسطوانةٍ في يوم واحد على جَبهة بها ستةً عشر ألفَ جنديٍّ ، فأدت إلى وفاة مُعظمهم . وقد تمكَّن الحلفاء عِقْبِ ذلك من تزويد أفراد جُيوشهم بقِناعات أوَّلية تَقيهم تأثير هذا الغازِ السامّ ، فلجأ الألمان إلى استمال غاز آخرَ غير الكلور وهو غاز الفوسجين ، الذي لا تُجدى ممه سبُل الوقاية من الغاز الأوَّل ، غيرَ أن الحلفاء كانت قد وصَلَتهم معلومات من أحدِ الأُسْرَى بأنَّ الألمان سيستميلون غازًا جديدًا ، علِموا من وصفه أنه غازُ الفوسجين ، فأعدُّوا النُّدَّة للوقاية منه قبلَ استِماله . ولما كان اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر سنة خمس عشرةَ وتسمائة وألف ، فاجأ الألمان جيوش الحلفاء به في المَيْدان الغربيّ بشدّة ، إلا أن تأثيرَه كان قليلاً ؛ لحيطة الحلفاء له قبل استعاله.

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من السنة نفسِها، استعمل الإنجليز غاز الكلور المرّة الأولى ضِدّ الألمان، وكذلك الفرنسيون فى معركة «فردان» سنة ستّ عشرة وتسمِائة وألف . وفى شهر يوليو من السنة نفسِها استعمَل الألمان غاز الخردل فى معركة

والأيبر» لأول مرّة ، وهذا الغازُ من أقوى الغازات التى استُعملت ، ويُنتظَر استِعاله فى المستقبل ؛ إذ أنه يسبَّب حدوث أبخرة سامّة خطِرة ليعدة أيام أو عدّة أسابيع . ويُصاب الإنسان من رَذاذه أو من لمس أشياء تلوثَث به . أو من بخاره بمدّ بَخْره .

والغازات السامة منها ما هو خانق مثل غاز الكلور، وغاز الفوسجين، وهذه لها تأثيرات مشتركة ، وتحديث أعراضاً منشابهة ، فهي إذا وقعت على نسيج الرئة وخلاياها أحدثت تهيئجاً وإفرازات غزيرة ، وسُمالاً واحتِقاناً يَزيد في وَزن الرئة ، وتعلى شُمّبُها بإفراز رغوى الشكل، ويسبّب ذلك نَقْصاً في كمية الأكسجين بالدَّم والأنسجة ، وكل هذه الأعراض تؤدِّي إلى الموت إن لم يُسمَف المريض بالملاج.

أما غاز الخردل فهو من المواد التي تتكون في أثناء عمل مواد الصباغة ولنلك يُمكن تحويل مصانع الصباغة أو مصانع الحرير الصناعي إلى مصانع لإعداد غاز الخردل في مُدة أربع وعشرين ساعة ، وهذا الغاز من الغازات المُحرقة ، ويعتبر أكثر المواد الكيميائية استيمالاً في الحرب العالمية الكبرى . وقد مُيلتى من الطائرات قنابل مملوءة بالغازات . وتصل حمولة الطائرة الجوية الآن إلى ثلاثة وعشرين

(طنّا)، وتصل سرعتُها إلى نحو ثلثمائة «ميل»، والقنابلُ التي تلقيها الطائِرات لا تقتصر على قنابلِ الغاز فقط، بل يُمكن أن تُلقى كافة أنواع القنابل؛ كالقنابلِ المتفجَّرة والقنابل المنحرِقة، والأولى تتراوح زنة الواحدة منها، بين مائة وخمسين (كيلوجراما) وألف وخمسائة (كيلوجرام) والأضرارُ التي تحدُث من هذه القنابل يُحدِثها الانفجار، وشظايا القُنبُلة. وأما القنابل المحرِقة؛ أى التي تسبّب حريقاً، فهي صفيرة وخفيفة عادة؟ تتراوج زنة الواحدة منها بين (كيلوجرام) واحد وثلاثين (كيلوجرام).



عوده 1. .. ه قناع وقاية العازات السامة

وأهم وسائل الخيطة ضد الفازات السامة هي استمال القناع ، وتحصين المنازل ضد الفارات ، وإنشاء المخابئ ليلجأ إليها الناس وقت الفارة ، إذ أنه إذا حَدثت الفارة والإنسان في مركبة أو سيّارة ، أو في الطّريق

المام يجِب عليه أن يلجَأ مباشرةً إلى الخابي ليَتَّقِيَ شرَّ هذه الغازات السامّة.

ومن أم سُبُل الرِقابة استِمالُ القِناع الَّذِي أُعِدَّ في السنوات الأخيرة لوِقابة المينَين والرُّتَين من جميع الغازات الحربية ، وفي القناع ما يسمى بالمُرشَّح ، وهو صُندوق من الصَّفيح مَطلِيُّ من الخارج بِطلاء ما نع للرطوبة ، ويحتوى على موادَّ تُرشَّح الحواء وتُنتَّيه ، وتمتعنُ منه الغازات السامة . وهكذا يُشتَّق شرّ العِلم بالعلم ، أو كَا قيل : « وداوني بالتي كانت هي الدَّاء . »



وه _ فی سکان أمریکا

لحافظ بك إبراهيم :

أَىْ رِجَالَ الدُّنيا الجَديدَة مَهٰلاً قد شَأُونَم بِالْمُعْجِزاتِ الرِّجَالا وَفَهِنْثُمُ معنَى الحَيَاةِ فَأَرْصَدْ ثُمُ عليها لكلَّ تَقْصٍ كَالا وحَرَصْتُم عَلَى المُقُول فَحَرَّمْ اللهِ عَصِيراً بَرَاهُ فَوْمٌ حَلالا وقَدَرْتُم دَقِيقَةَ السُر حِرْصاً وسواكم لا يَقْدِرُ الأجيالا كم أحالوا على غد كل أمْرٍ ومُحيلُ الأُمور يَبْنى المُحالا قد تَحَدَّيْتُم المنِيَّة حتى همَّ أن يَغْلِبَ البقاءِ الرَّوالا

وطَوَيْتُم فراسخ الأرض طَيًّا وَمَشَيْتُم على الهواء اختيالا ثم سخَّرَتُم الرَّيَاح فَسُسْتُم حيثُ شِثْتُم جَنوبَها والشَّمالا تُسرِجون الهواء إنْ رُمْتُم السَّيْ رَوف الأرض من يَشُدُّ الرَّحالا وَتَحَذِيْتُم مَوجَ الأَثِير بَرِيداً حين خِلْتُم أن البُرُوق كَسالى ثم حاوَلْتُم السَّمَاع مع النَّجْ مِ فَتَلْتُم الشَّماع مقالا عَا (فُورْدُ) آية المَشْي حتَّى شرعَ الناسُ يَنْبِذُون النَّمالا

وا نَتَزَعْتُم من كُلِّ شِبْرٍ بظَهْرِ اللَّهِ أَرْضِ أَو بطْنِهَا الْمُحجَّبِ مالا

وأَقَمْتُم فَى كُلُ أَرْضٍ صُرُوحًا تَنْطَح السُّعْبَ شَاخِئاتٍ طُوالاً وَغَرَسْتُمُ لَلْمِلْمُ رَوْضًا أَنِقًا فُوق دُنيا الوَرَى تُمُذُّ الظَّلَالاً وحَلَلْتُم بَأْرْضِنا فَعَرفنا كَيْف تُنْمُون يبتنا الأطفالا ورَأَيْنا البَنَاتِ كَيْف يُثَقِّفْ نَ بِعْلِمٍ يَزِيدُهُنَّ جَالاً

* *

ليت شِمْرِى متى أرى أرض مصر فى حِمى الله مُنْبِتُ الأَبْطالا وأَضالا وأرى أَهْلها مُيارو نَكُمْ عِلَّهُ مَا وَوَثْبًا إلى العلا ونِضالا قد نَفَضنا عنا الكرى وابتدرنا فُرَص الميش وانتقلنا انتقالا وعلينا بأن غَفْلَةَ يوم تَحْرِمُ المرْء سَمْيَة أُحُوالا فَشَقَتْنا إلى الحياةِ طريقاً وأَصَبْنا عَلَى الرَّمام عجالا وبَهَضْنا فى ظِل عرش (فؤاد) ورَفَمْنا في ظِل عرش (فؤاد) ورَفَمْنا لِمهْدِه يَمثالا قد أَبِي اللهُ أن نَعيش على النَّاس وإنضافَت الوجوه عيالا

THE REPARTS

م بين يدى القــاضى الــأمون وخصمه

دخل رجل على المأمون و في يده رُقْمَةٌ فيها: « مَثْلَمَة من أمير المؤمنين » فقال : « أَمَثْلَمَةٌ منى ؟ » فقال الرجل: « أَفَّا الحلبُ – باأمير المؤمنين سيو الله . » قال : « وما طُلاَمَتُكَ ؟ » قال : « إن سميداً وكيلك اشترى منى جَو اهِرَ بثلاثين ألف دينار ولم يَدْفَع ثمنها . » قال : « فإذا اشترى سعيدُ منك الجوهر تَشْكو الظلامة منى ؟ » قال : « نم إذا كانت الو كالة قد صَمَّت له منك . »قال : « لمل سميداً قد اشترى منك الجوهر، وحمَّل إليك المال ، أو اشتراه لِنفسه ، وعليه فلا يَدْزَمنى لك حَق ، ولا أَعْرِفُ لك طُلامة . » فقال : « إن في وَصِيَّة عُمرَ بن الحطاب لقضائيكم : البَيِّنَة على مَن ادَّعى ، والهين على مَنْ أَنْكر . »

قال المأمون: ﴿ إِنَّ الْتُقَدَّ عَدِمَتَ البَيِّنَةَ ، فَمَا يَجِبِ عَلَّ اللَّهَ إِلاَ خَلْفَةَ ، وَلَثْنَ حَلَفْتُهَا إِنْنَى لَصَادَق ؛ إِذَ كَنْتَ لا أُعْرِف لك حَقَّا يَلْزَمُنَى . ﴿ قَال : ﴿ فَأَنَا أَدْعُوكُ إِلَى القَاضَى الذَى نَصَبْتُه لرَعِيتَك ﴾ . فقال : ﴿ نَم : ياغلام ! علَّ بِهِي بن أَكْمَ . ﴾ فإذا هو قد مَثَلَ بين يديه ، فقال له المأمون : ﴿ افْض بيننا. ﴾ قال: ﴿ في حَمَم وقَضِيَّة ؟ ﴾ قال: ﴿ نَم . ﴾ قال : ﴿ إَنَّكُ لَمْ تَجْسُلِ ذلك تَجْلِسَ قَصْاء . » قال : « قد فَملْت . » قال : « فَإِنِي أَبْدَا بِالمامَّة أُوّلا ؛ لِيَصْلُح المجلس للقَصَاء . » قال : « افعل . »

فَفَتَحَ الباب، وقَمَد في ناحِية، وأَذِن للمامة، ثم دَعا بالرجل المَتَظُّمُ ، فقالله يحيى . « ماتقول ؟ » قال:« أَقول أَنْ تَدْعُوَ بَخَصْمَى أَمير المؤمنين المأمون . » فنادىالمنادى،فإذا المأمونقد خرج ومعه غلامٌ يحمل مُصَلَّى، حتى وقفَ على يحيي وهو جالس ، فقال له : « اِجلس . » فطُرحَ المُملَّى ليجْلسَ عليه ، فقال له يحيى : « بِأَميرِ المؤمنين ! لاَ تَأْخُذُ عَلَى خَصباك شَرَفَ المجلس. » فطرحالخصم مُصلِّي آخر ، ثم نظر في دَعْوى الرجل ، وطالب المأمونَ باليمين تَخْلَف، ووَثَب يحيي بعد فَراغ المأمون من يمينه فقام على رِجْليه ، فقال له المأمون: « ما أقامك ؟ » فقــال : إنى كنتُ في حقَّ الله عز وجل حتى أَخَذْتُه منك ، وليس الآن من حَتَّى أن أُتَصَدَّر عليك . •

71 — الملاعب الهزلية للمنفلوطي

كنتُ آلبتُ على نفسى (منذ أعلِنت هذه الحرب ، قبُّحها الله ! وقبِحَ كُلُّ مَا تَأْتَى بِهِ ! ﴾ ٱلاَّ أَكْتُبُ كُلَّةً في صيفة سيَّارةٍ في شأنٍ من الشئون العامة ، خيرها أو شرها (حتى ينقَضِيَ أجلها) ، ولكن نازلاً نزل بهذا المجتَمَع المصرى منــذ عام أو عامين ، لم أحفِل به في مبدئه ، ولم أُلقِ له بالا ، وعَدَدتُه في النوازل الصغيرة المترددة ، التي لاتلبَث غيومُها أن تنعقِد في سماء البـلد، حتى تهُبُّ عليها نَسمةٌ من نَسمات الروح الإلملى فتنقشِع . ولكن ها قد انقضى المام والعامان ، وهو باقٍ في مَكَانَه لا يَحُوَّل ولا يَشْلُمُل ؛ بل تُزداد قدمُه على الأبام ثَبَاتًا ورسوخًا، وأحسِبه سيَبقَ في مستَقبل أيامه أضعافَ ما يَقيَ في ماضيها إِنْ لَمْ أَنْثِرَ عَلَيْهِ مَعْشَرَ السُّكْتَابِ حَرْبًا شَعُواءَ تَهُنُّ جُدْرَانَهُ هِزاً ، وتَدَكه دِّكًا ، و ُتلحِق أعاليَه بأسافله .

لذلك كتبتُ هذه الكلمة غيرَ مُبالٍ بتلك الأَليَّةِ التي كنتُ آليتُها، فلمل أصدقائى من أفاضل الـكُتَّاب يساعدوننى في هذا الشأن الذي إن عجزنا عنه اليوم فما نحن بقادرين عليه غداً. نرلت بالأمة المصرية نازلة تلك المقاذر العامة التي يسمونها الملاعب الهزلية ، وما هي في شيء من الهزل ولا الجد ، ولا علاقة لها بالتمثيل والتصوير ، ولا بأى فن من الفئون الأديبة ، فأقبل الكثير عليها إنبالاً عظيماً ، وأغرموا بها غراماً شديداً ؛ فليُقْبِلوا عليها ما شاءوا ، وليفتتنوا بها ما أرادوا ، ولكن فريقاً واحداً من الأمة هو الذي نضِن به على تلك بها ما أرادوا ، ولكن فريقاً واحداً من الأمة هو الذي نضِن به على تلك المواطن الساقطة ، التي تطوّها قدمه ، أو تنال ساؤها رأسة ، لأنا نضِن به على كل منقصة في العالم تُروى به ، أو تنال من كرامته .

ذلك الفريق المَضنونُ به وبكرامته هو: أتتم معشرَ الطّلبة المصريين ، إخوتنا وأبناءنا ، وعنوان مجدنا وشرفنا ، وصورة وجودنا وحياتنا ، ومناطَ أمانينا وآمالنا . فائدَنوا لكاتب من كُتّابكم ، وصديقٍ من أصدقائكم ، أن يُحادِثكم قليلاً في هذا الشأن كما يحادث الأبُ ولده ، أو الأخ أخاه ، لا قاسياً ولا متجبّراً ، بل عاتباً مُتلطّفاً ، وأمله عظيم أو الأخ أخاه ، لا قاسياً ولا متجبّراً ، بل عاتباً مُتلطّفاً ، وأمله عظيم أن ينتَهي الحديث بينه وبينكم على ما يُحبُّ لكم ، وما يستَقِد أنكم تحبون لأنفسكم .

الحقّ أقول إن الحياء يكاد يمقد لسانى بين أبديكم ، فلا أدرى كيف أ أحدُّثكم ، ولا ماذا أقول لكم . أ أعظكم فى أمر أنتم تعلمون من نتائجه وآثاره وسوء عقباه مثل ما أعلم ؟ أو أدعوكم إلى اجتناب سبئة لا أحسب أن بين كباركم وصغاركم من يجهل أنها السيئة العظمى ، التى لم ترززاً الأمة بمثلها فى حاضر تاريخها أو ماضيه ؟ أو أقول لكم أن هذه الأماكن التى تطؤها أقدامكم إنما هى مقابر المجد والشرف ، ومدافن الفضائل والأخلاق ، ومصارع الأعراض والحرمات ؟ وهل غاب ذلك عن علم أحدمنكم فأعلمكم منه ما لا تعلمون ؟

لا يجهل أحد منكم شيئاً مما أقول . ولكنه الشباب يغرى الضعيف الماجز عن احتمال سلطانه وسيطرته بالإقدام على تلك المخاطر المهلكة ، فيمضى إليها قُدُما لا يجهل مكان الخطر منها ، ولكنه يسجِز عن مغالبة نفسه حتى يتردَّى فيها ، وربما كان هذا هو الفرق بينى وبينكم .

إننى لا أرى فى هذه المجامع — التى تفتتنون بها ، وتتهافتون عليها — حسنة تنتفر سيئة ، أو جمالاً ينى بقبح ، أو خيراً يعزى عن شر ؟ فتمثيلها سخيف بارد ، لا يستطيع من أوتى حظًا قليلاً من سلامة الذوق أن يَمْ بِر نفسه ساعة واحدة على النظر إليه . ومُلَحُها ثقيلة مستبشَعة ، لو نطق بها ناطق فى مجتمع من المجتمعات الخاصة ، ثم قلب نظره فى وجوه الجالسين حوله ، لرأى فى ابتسامات السخرية

المترقرقة فى شفاههم ما يذيبه حياء وخجلاً . وأناشيدها سوتية ، مبتذلة فى موضوعها ، وصورة أدائها لا يطرَب لمثلها إلا أصحاب الأذواق العامية الحشنة الذين يطربون لنشيد الأذكار ، وطبول الزار ، وتعداد النائحات ، وضجيج الباعة فى الأسواق . فاذا بنى فيها من وجوه الحسن بعد ذلك ؟

بقى فيها الهُرُّ، والسخرية بالطبقات الشريغة الساملة فى الأمة ؛ كالفلاحين آبائنا وأولياء نِصتنا ، والشيوخ حفظة ديننا ، وأثمة لفتنا ، والمحامين والأطباء والمعلمين أفاضلِ الأمة وعيونها ، وغيرهم من طبقات الأمة ؛ كالصناع والعال والحدَم والأكارين وأمثالهم .

بل بقى ما هو شرَّ من هذا جَمِعه ، وهو : تمثيل الشهوات البدنيّة والنفسية بجميع ألوانها وضُروبها على مشهد من رجالنا ونسائنا وأطفالنا ، وتُقام وتصويرها بتلك الصورة القبيحة التي تُرْخَى على مثلها السُّتور ، وتُقام من حولها الدعائم والجدران .

فلو أن غريباً وفد إلى هذا البلد – وهو لا يعلم من شأنه شيئاً – فذهب إلى مكان من تلك الأمكنة ، ليرى فى مِرآته صورة الأمة ثُمُثَلَةً فى مسارحها الوطنية ، لقضَى عليها للنظرة الأولى بأنها أحط الأم وأذناها . ذلك إلى ما يسمعُه فيها من ألفاظ السب والشّم ، وتُجل الفُحش والحُجرالتي لا يطرق أَذْنَه مثلُها في موقِف من مواقف حياته ، أو مشهد من مشاهدها ، إلا إذا قُدَّرَ له أن يتغلغل بنفسه يوما من الأيام في تلك الأحياء العامة الساقطة ، فيسمعها هناك في مشاجرات القرّادين ، ومهاترات الشحّاذين .

فهل تسمّح لكم نفوسُكم أيُّها الأصدقاء — وأنتم عُيون الأمة اليقظة، وعقولها المفكرة — أن تخدعوا بألاعيب هؤلاء الحبثاء المحتالين، فترضوم بأيديكم إلى هذه المرتبة العالية التي لم يخلقوا لها، ولم يمتوا إليها بسبب من أسباب الصلم، أو الذكاء، أو الشرف، أو الخلق. وها م أولاء نوابغ الممثلين في أمتكم أهل شقاء وبؤس، لا يكادون يمين ظهرانيكم ما يقيمون به أود عيشهم، أو يمينهم على ما م بسبيله من خدمة الفن والقيام عليه.

إنهم يحاولون دائمًا أن يُلبسوا مفاسدهم وشرورهم ثوب الفضيلة والجد ، وهو — وإن كان ثوبا شفافًا ينم عما وراءه — يكفيهم للذود عن أنفسهم فى موقِف الجُدل والمناظرة ، كما يكنى البرقُع الشفّاف المرأة المتهنِّكة للدخول فى سلك المخدّرات المتحبّبات .

أيمناون الفلاح أقبح تمثيل ، ولا يتركون مفسدة من المفاسد ، ولا رذيلة من المفاسد ، ولا رذيلة من الرذائل إلا ويُلصِقونها به . ويُنشدون تُختلِف الأناشيد في السُّخرية بشكله ، والهُنَء بصفاته وأعماله . ثم لا يَختَلُون أن يقولوا بمد ذلك في بمض تلك الأناشيد : (ما دام بلدنا ذراعية حبوا الفلاح إن كتوا تحبوا وطنكم .)

ويهدمون اللنة المرية هَدْماً بهذه اللهجة العامية الساقطة التى يكتُبون بها رواياتهم ، ويَنْظِمون بها أناشيدَه ، ويُنْشِدُونها فى كل مكان ، ويُفسدون بها الملكات اللهوية فى أذهان المتعلمين ، ثم يزعُمون بعد ذلك أنهم أنصار اللغة العربية وحاتها ، فيقولون بتلك اللهجة العامية الساقطة (مالها لفتنا العربية، آل همجية ، يا دى المصيبة يا دى العار. فشر دى لغة المدنية ، اتمسكوا بها صغار وكبار).

لا أرى لكم — معشر الطلبة المصريين — أمام هذه النازلة الفظنى التى نزَلت بنا ، إلا أن يَنتَدِب فريق من عقلائكم نفسه ، لنصيحة إخوانه بالامتناع عن الذهاب إلى تلك الملاعب ، وشرح مضارّها وسَيِّناتِها لهم ، فإن امتناع فريق منكم يؤثّر فى فريق آخر . وهكذا حتى يصبح فى عرفكم أن الدخول إلى تلك الأماكن عار ، يخجل مرتكبه من الظهور به بين أصدقائه ومعارفه .

نحن فى حالة نحتاج فيها إلى أن يعلم الناس عنا فى كل مكان، أننا أمة أخلاق وآداب، وأن فى نفوس أفرادنا من الصفات والمزايا ما يرفعنا إلى مصاف الأم العظيمة. ومقياس عظمة الأم عند العالم إنما هو بصفاتها ومزاياها، قبل أن يكون بأى شىء غير ذلك. فإن فات آباءنا أن يورّ ونا خلق العظمة والإباء فى عهده، فلتتخلق به لنورّ ه أبناءنا من بعدنا.



٣٢ ـــ المرأة العربية في الجاهلية

يَظْلِمُ السربَ من يَزْعُمُ أنهم كانوا في جاهِليَّهم يَحْتَقَرون المرأة، ويَظْلِمُ السربَ من يَزْعُمُ أنهم كانوا في جاهِليَّهم يَحْتَقَرون المرأة، وينظُر ون إليها نظر إهانة واستخفاف؛ فإن من يَقْرأ شِعْرُم - الذي هو ديوان أخباره، وسِجِلُّ ما ثرهم ومكارسهم - يَرى أنهم كانوا يُجِلُّونها، ويسْمَوْنَ جُهده في إرْضائها.

فشمراؤه كيد ون قصائده بمُخاطَبَها ، ولا يَذْهَبُون إلى شيء مما قصدوا إليه حتى يُمُطُوها قِسْطها من النَّسيب ؛ يَرَوْن أن شِعرهم بدون ذلك يَفْقِد طَلَاوَتَه ورُوَاءه ، ويَمْدم حُسنه وبهاءه ، ويُخاطبونها وهي ذات بَمْلٍ بخير الألقاب إليها ، فيقول أحده :

يا رَبَّـةَ البيت تُومى غيرصاغِرَة ضُمَّى إليك رِحال البيت والقربا ويَرُدُّون عليها إذا خالفتهم فى رأى بأرَق ما يرد به مُخالِف . اسْتَمَع إلى أحده يُجيبُ زوجه ، وقد عذلته على السَّرف ، وأشارَت عليه بالقَصْد :

أَلَمْ لَمْلَى ... ياعمرُكُ اللهُ ... أُنِّي كريم على حينِ الكرامُ قليل ويفخرون بنسبهم إلى آبائهم . ويفخرون بنسبهم إلى آبائهم . وكانت المراَّة فيهم إذا أرادَتْ فَرَّقَت ، وإن شاءت جَمَعَت ، فإن اتَّجَهت

عواطِفها للسّلام سَمَتْ إليه ونَجَحَتْ ، وإن ويَّهْتها إرادَةُ الانْتِقام إلى الشَّرُّ أَشْمَلت النار بين الأحباء .

قال الحارثُ بن عَوْف المُرَّى لِخارِجَة بن سِنَان ، فى إبَّانِ الحرب بين عَبْسِ وَذُيْبان : ﴿ أَتَرَانَى أَخْطُبُ إِلَى أَحَدَ فَيَرُدَّنَى . ﴾ قال : ﴿ نَم . أَوْسُ بنُ حَارِثة بن لَأُم الطَّائى . »

فقال الحارث لنُلامه: ﴿ هَيُّ لَى مَرَّكَبًا . ﴾ ثم ركبَ هو وغُلامه ، ومَمها خارجَة حتى أَتَوْا أَوْسًا ، فوجَدوه في داره ، فلما رأَى الحارث رَحَّبَ بِه، وسَأَلَه عن تَجيثه، فقال: ﴿ جِنْتُكَ خَاطِبًا. ﴾ فقال أوْس: «لَسْت هناك . » فانصرَف ولم 'يُكَلِّمُه . ثم دَخَل أَوْسُ على امرأته مُنْضَبًا — وكانت من عَبْس، فقالت: « مَنْ رجل وقف عليك فلم تُعلِل الكلام معه؟» قال : « ذاك سيَّدُ من سادات العرَب ، الحارثُ ابنُ عَوْف « قالت : فما لك لم تَسْتَنْزِلْه ؟ » قال : « إنه اسْتَحْمَقَ ؟ جاءنى خاطِبًا. » قالت : « أَفَتُرِيدُ أَن يُزَوِّج بناتك؟ » قال : « نم » قالت : « فإذا لم تَزَوِّج سيَّد العرب فَنْ ؟ » قال : « قدكان ذلك . » قالت : ﴿ فتدارَكُ مَا كَانَ مَنْكَ ؛ فَالْحِقْهُ وَقُلْ لَهُ : إِنْكَ لَقِينَنَى مُغْضَبًّا بأمر لم يَتَقَدَّم فيه قول ، فلم يكن عندى من الجواب إلا ما سَمِّمت ، فَانْصَرَفَ مَعَى ، ولك عندَى كل ما أُحْبَبْت ، فإنه سَيْفُعَل . » فعمل أُوْسُ برأَى زَوْجِهِ، ورَدَّحارْنة ومن معه. فلما وصلوا إلى بيت أَوْس ، وجَلَسُوا في مَكَانَ الضَّيَافَة ، دَخَلَ أَوْسٌ إِلَى زُوجِه، وقال لَهَا : « إدعى لى مُلانة . » أَكْبَر بنانه سِنًّا ، فأتَنَّهُ ، قال ، « يا بنَيَّة ا هذا الحارثُ بن عوف — سيَّدُ من سادات العرب — قد جاءني طالبًا خَاطِبًا، وَقَدَ أَرَدْتُ أَنَ أَزَوَّجِكَ منه . » فقالت : « لا تَفْعل ؛ لأَنى فتاةٌ في وجهي رَدَّة ، وفي خُلقٍ بمض النُهدة ، ولست بابنة عَمَّه فيَرْعى رَحِي ، وليس بجاركَ في البلد فيَسْتيحيَ منك ، ولا آمن أن يَرى مني مَايَكُرَه فَيُطَلِّقَني، فَيكُون على ۚ في ذلك ما فيـه . » قال : « قوى ! بارك الله فيك!» ثم دعا الوُسطى، فأجابته بمثل جوابها، وقالت: « إنى خَرْقاء، وليست بيدى صِناعة، ولا آمَنِ أن يَرى ما يَكُره، فَيُطَلِّقْنَى ، فَيَكُونَ عَلَى ۖ فَى ذلك ما تعلم . » ثم دعا الثالثة وهي صُغْراهُن ، فلما عَرَض عليها قالت: « أنت وذاك. » فأخْبرها بِإِباء أُخْتَمها ، فقالت: « لكنى والله الجميلة وجْهَا ، الصَّناع بِداً ، الرَّفيمة خلقًا ، الحُسيبة أبًّا ؟ فإن طَـُلَّقَني فلا أُخْلَفَ الله عليه يخير. » فزوَّجها الحارث.

ولما وصَل ديارقومه ، قالت له : ﴿ أَتَلْزَمَ المَذَلَ وَالْعَرِبُ يَقْتُلُ بَعْضُهَا بِعْضَهَا ؟ أُخْرِج إِلَى هُؤُلاء القَوم ، فأُصْلِحُ يَنْهُم ، ثُمَ ارْجِع إِلَى أَهْلك . » فَحَرَجَ الحَارِث مع خارجة بن سنان ، فأصْلحا بين القوم ، وَعَمَلا الدَّيات ، وكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين .

٦٣٠ ــ وصف السفر... (١) لمسلم بن الوليد

بجرَّ جَرَة الآذِي للمِبد فالمِبد جواريه أو قامت من الريح لا تجرى مدب الصّبا بين الوعاث من النفر بجارية محمولة حامل بحك مو قفة الدَّ أَبات مرقومة النمو وإن أدبرت رافت بقادمتي نسر يسير من الإشفاق في جبل وعر عباً ة من كِسر ستر إلى سيتر شديد علاج الكف مشمل الظهر شديد علاج الكف مشمل الظهر

وملتطم الأمواج يرى عُبابه إذا أعنقت فيه الجنوب تكفّأت كأن مَدب الموج في جَنَباتها كشت أهاويل الدجى عن مهوله لطشت بخديها الحباب فأصبحت الخا أقبلت راعت بتُنة قرهب بمجافي بها النوتي حتى كأنما تخلج عن وجه الحباب كما انشت أناف بهاديها ومسد زماما

(ت) لابن الرومي

تخايلُ فى درع من القار فاحم ملممةً بالودع سُفْعَ الملاطم بأجنحة خفـاقة وخراطم إليك ركبنا بطن جَوْفاء جَوْفة تُواهق أشباها لهـا ونظائرا إذا هى قيست بالنسورتشابهت بُصْطَخبِ التَّبَار جمَ الزمازم وإن أُمهلت زَفَّت زفيف النماثم إلى زاخر بالمارقات التواثم رُفاء الطايا لا نثيم الملاجم

تطير على أقفائها وظهورها إذا أُعجلت لم يسترث طيرانها وقد أيقنت أن سوف تقطع زاخراً هو البحر لا ينفك في جنباته

(ھ) لابن ھانی ُ الأندلسي

لقد ظاهر آنها عُدّة وعَدید ولکن من شُمَّت علیه أسود له بارقات جمة ورعود بنای علی غیر المَراء مَشید

أمّا والجوارى المنشآت التي سرت قِبابكما تزجى القباب على المها عليها خمام مُكفهرٌ صَبيرُه أنافت بها أعلامُها وسَمَا لَها

* *

فنها قِنات شَمَّخ ورُبُود فليس لها إلا النفوس مصيد فليس لها يوم اللقاء خمود كما شبً من نار الجميم وَقود

من الراسيات الشُّمَّ لولا انتقالها من الطير إلا أنهن جوارح من القادحات النار تُضْرم للصَّلى إذا زَفَرت غيظا ترامت عارج

* *

فأفواههن الحاميات صواعق وأنفاسهن الزافرات حديد

لها شُعَل فوق النِهار كأنها دماء تلقتها ملاحف سود تَمانق موج البحر حتى كأنه سليط له فيه الذبال عتيد فليس لها إلا الرياحَ أعِنَّةٌ وليس لها إلا الحباب كديد

(ء) للسّريُّ الرَّفاء

إليك أطرنا من ديار ربيعة نعائم في أرض العراق وقوعها ركائب تحدوها الشبال كأنها قلاع إذا أوفت عليها قُلوعها تمادى بها السير الحثيث فلم تحل لبعد المدى أغراضها ونسوعها تمد على الأمواج باعاً كأنه يُمَاتِقُها في مده ويَبُوعها فوردها عذب المياه غيرها ومربعها سهل الرياض مريعها



٣٤ ــ بين الانسان والحيوان (١)

'يُقَالُ إِنَّهُ كَا تُوالَدَ أُوْلَادَ بَنِي آدَمَ وَكَثُرُوا ، انْنَشَروا في الأرْض برًّا وَبَحْرًا ، مُتَصَرِّ فِينَ فيها في مَآرِبهِمْ ، آمِنينَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَلِقِينَ مُشتوحشِينَ ؟ من كَثْرَةِ الوُحوشِ في الأَرْضِ . وَكَانُوا ۖ يَأْوُونَ إِلَى ريوس الجبَال والتَّلال ، والمفاراتِ والـكُهوفِ ، وَيَأْ كُلُونَ مَن عُر الأشجارِ ، وبقول الأرضِ . وكانوا يَستترون بأوراق الشجر من آلحَرُّ والبرَّدِ، ويَشْتُون في البلدانِ الدفيئةِ، ويَصيفونَ في البلدانِ الباردَةِ. ثم بَنَوا الحصونَ والقُرَى والمدن وسكنوها. وسخَّروا من الأنعام البقرَ والغنمَ والْجِمَالَ ، ومن البهائم ِ الخيلَ والبغالَ والحميرَ ، وقيَّدُوهَا وأَتَجُوها ، وصرَّفوها في مآربهم ، من الرَّكوبِ والحَلْمِ والْحُرثِ والدَّرْسِ . وكلفوها أكْثَرَ من طاقتها ، ومنموها من التصرُّفِ في مَآرَ بَهَا ، بَمْدَ أَنْ كَانت في البَراري والآجامِ والفِياضِ ، تَذْهَبُ وَنجيهِ حَيث أرادت في طلب مراعيها ومشاريها . ونفَرَتْ منهم بقيُّتها من لْحُمرُ الوَّحْشِ والنِّزلانِ والوُحوش والطَّيُورِ . بعد أن كانت مطمئنةٌ في أوطانها، وهَربت إلى البرَاري البعيدة والآجاءِ ورءوس الجبال . وثمَّرَ بنو آدَمَ فى طلبها بأنواع من الحيّلِ والشَّباكُ والفِخاخِ ، واغتقدوا أنها عَبيدٌ لهم هرَبتُ وعَصتْ .

ومضت السنّون والأبامُ على ذلك . ثم وُكَّى على بنى الجانِ مَلِكُ مَمْ اللهُ على بنى الجانِ مَلِكُ مَمْ اللهُ اللهُ ويراست ، الحكيمُ ولَقَبُهُ ﴿ شَاهُ مَرْدَانَ » وكا نَتْ دارُ تَمَلَكُتِهِ في جزيرةٍ في وَسَطِ البحرِ ، يَمَّا يَلَى خطَّ الاسْتواه .

ثم إنه طرّحت العواصف سفينة من سفّن البَحْرِ إلى ساحلِ تلك الجزيرة ، وكان فيها قَوْمٌ من التُجَارِ والصَّناعِ وأهل العلم وسائِر أغنياه الناس ، تَفْرَجوا إلى الجزيرة وطافوا فيها فوَجدوها كثيرة الأشجارِ والفواكهِ والثارِ والمياهِ العَذبة ، والهواه الطيّبِ ، وأنواع الزَّرعِ والحبوبِ ورَأَوْا فيها أصناف الحيوانِ : من البهاثم والأغنام والطيور ، والوُحوشِ والحشرات . وهي كلّها مُتا لِفَةٌ مُسْبَا أَسِه تُعيرُ مننافرة .

ثُمَّ إِنَّ أُولَـٰ ثِكَ القوْمَ اسْتَطَابُوا ذَلك الْمُقَامَ ، وَبَنُوا هُنَالِكَ البنيانَ ، ثُمَّ إِنَّ أُولَـٰ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

جَوْدِ بَنِي آدمَ واعتقادِم فيها . فبمث رَسُولًا إِلَى أُولَـنَكَ القوْم ، ودعام إِلَى حَضَرَتِه . فذهبت طائقة من أهل ذلك المُركب إِلَى هناك ، وكانوا نحو سبمين رَجُلاً من مُبلدان شتى . فلمًّا بَلَفَهُ قُدُومُهُمْ أَمرَ بِإِكرامِم ، ثمَّ أُوْسَلَهِم إلى عَبلسهِ بعد ثلاثة أَبام . فلما رأوه على سرير مُلكه ، حَبَوْهُ . فقال لهم على لسانِ التَّرْجُانِ : « ما الذي جاء بِكُمْ إلى جَزيرتِنا من غير مراسَلةٍ قبلَ ذلك ؟ »

قَالَ قَائِلُ مِن الْإِنْسِ: « دَعَانَا إِلَى ذَلَكَ مَا سَمِينَا مِن فَضَائِلِ الْمَلِكِ وعَدْلِهِ ، فِئْنَا لِيَسَمِعَ كَلَامَنَا ويتبيَّنَ حُجَّتَنَا ، ويَحَكُمَ بيننَا وَبَيْنَ عَبيدِنَا الآبِقينَ ، واللهُ يُوفِق الْمَلِكَ لِلصَّوابِ . »

فقال المَلكُ: « كِيتُنوا ما تقولونَ. » قال زَعيمُ الإنْسِ: « إِنَّ هذه البَهَائِمَ وَالأَنْمَامَ وَالسَّبَاعَ وَالوُّحُوشَ أَجْعَ عَبِيدٌ لَنَا ، وَنَحْنُ أَرْبَابُهَا ، فِنْهَا هارِبُ آبِقُ عاصٍ ، ومنها مُطبعُ كَارَهُ مُنكِرٌ لِلمُبودِيَّةِ . »

قال الَمَاكُ: ﴿ مَا الدَّلِيلُ عَلَى مَا ادَّعَيْتَ ؟ ﴾ قال : ﴿ لَنَا دَلَائِلُ شَرْعَيَّـةُ ۗ عَلَى مَا قُلْنَا ۚ ۚ وَحُجِجُ عَقَلَيَّةٌ عَلَى مَا ادَعَيْنَا . ﴾ فقالَ : ﴿ أُوْرِدْهَا . ﴾ فقامَ خَطَيْبُ الْإِنْسِ ، ورَقِيَ فِي المِنْبِرِ وقال :

« الحمدُ للهِ الذي خَلقَ من الماء بَشراً فِعلَهُ نسباً وصِهراً، وخَلقَ منهُ زَوْجهُ ، وبَثَّ مِنهماً رجالاً كثيرًا ونساء ، وأكرَمَ ذُرِّيتهُماً،

وَجَلَهُمْ فَى البرُّ والبَحْرِ ، ورَزَفَهِم من الطَّيَبَاتِ ، قال اللهُ عنَّ وَجَلَّ : (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيها دِفْ وَمَنَافَعُ وَمِنها تَأْكُلُونَ ، وَتَحْسُلُ وَلَكُمْ فِيها جَلَلُ عِينَ تُرِيحُونَ وَعِينَ تَسْرَخُونَ ، وَتَحْسُلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلِيهِ لِمَّ بِشِيقٌ الأَنْفُسِ، إِنَّ رَبَّكُمْ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلِيهِ لِمَّ بِشِقٌ الأَنْفُسِ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَمُ وَفَى وَنِينَهً) وفي لَمَرَوفَ وَحِينَ لَتَرْكُوهَا وَزِينَهً) وفي القرآن والتوراة والإنجيلِ آيات كثيرة تدلُ على أنها خُلِقَت لنا ومن أَجْلنا ، وهي عَبيدَ مُستخرة لنا ونحن أَرْبابُها . وأَسْتَغْفِرُ ومن أَجْلنا ، وهي عَبيدَ مُستخرة لنا ونحن أَرْبابُها . وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لَى وَلَكُمْ .)

فقال اللَّكُ : ﴿ قَدْ تَعِينُمْ ۚ يَا مَعْشَرَ الأَنْعَامِ مَا قَالَ الْإِنْسَى ، فَأَى
شَى ۗ لَكُم ۗ وعِنْدَكُم فيما قَالَ ؟ ﴾ فقام البَعْلُ فقال : ﴿ الحَمْدُ فِيهِ
الْوَاحِد الْأَحَدِ ، الفَرْدِ الصَّمدِ . أمَّا بَعْدُ : فلبسَ في شَيْءِ مِمَّا
قَرَأُ هذا الْإِنْسَى مَن آياتِ القُرآنِ دِلاَلَةٌ على مَا زَعَم ، إنَّمَا هِي آياتُ القُرآنِ دِلاَلَةٌ على مَا زَعَم ، إنَّمَا هِي آياتُ تَذْكُر بِإِنْهَامِ اللهِ عليهم ، فإذا كان الله تعالى قد سخرناً لهم
ققد سخر لهم الشَّسْ والقَمَرَ والسَّحَابِ والرَّيَاحَ ، أَفَتَرَى أَنها عبيدُ
فقد سخر لهم أنسَامُ الشَّسْ والقَمَرَ والسَّحَابِ والرَّيَاحَ ، أَفَتَرَى أَنها عبيدُ
لهم وأنهم أَرْبابُها ؟ إنَّ الله حَلقَ كل ما في السَّمُواتِ والأَرْضِ
وجَمَاها مُسَخَّرًا بَعْضُها لِبعْضِ ، إمَّا لِجَرِّ مَنْهَةٍ ، أَو دَفْع مَضرَةٍ .
فَسَخَرَ الله الْحِوانَاتِ للْإِنسَانِ لَإِيصالِ الْنَفَعةِ إليه ، ودفع المَضَرَّةِ .
فَسَخَرَ الله الحَيوانَاتِ للإِنسَانِ لإِيصالِ الْمَنْهَةِ إليه ، ودفع المَضَرَّةِ .

عنه ، لا كمَا ظُنُوا وتَوَهِّموا أنَّهم أَرْبابٌ ونَحَن عَبيدٌ لِهُمْ . ﴾

ثم قال زَعيمُ البِهَائِمِ : ﴿ أَيُّهَا اللَّكُ ! كَنَّا نَحَنَ وَآبَاؤُنَا سُكَانَ الأرْضَ قَبل خَلْقُ آدمَ ، قاطِنينَ في أَرْجائِهَا ، ظاعِنينَ في فِيجاجِهَا ، مُشتَغلينَ باتْخَاذِ رِتَاجِنَا وَتَرْبِيةِ أُوْلادنَا ، في رَغَدٍ من العَيش . ثم إِنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ ، وكثُرَتْ ذُرِّيَّتُه ، وانتَشَرَت في الأرْضِ، وضَيَّقُوا عَلَينَا الأماكِنَ ، وأُخذوا مِنَّا أُسارَى من النَّهَمِ والبَقَرِ ، والخيْـلِ والبِعَالِ والحَمِيرِ ، وسَخَّرُوهَا واسْتَخْدموها في الأعمالِ الشَّاقَّهِ : من الْحُمْلِ والرُّ كوب ، والشَّدُّ في الفُّدُنِ والدَّوَاليبِ والطُّواحينِ بالقَهْر والقذابِ طولَ أُعْمَارِنَا ، فَهَرَب مِنَّا مِن هِرَبَ ، وشَمَّرَ بَنُو آدمَ في طلبِنا، فمنْ وَقعَ مناً في أَيْدِيهم شدوا وَثاقه، ثم عذبوه بالنَّبح ِ والسَّلخِ، وشَقٌّ البطْن وقطع المفاصِل ، أو نَتْفِ الرَّيش وجَزُّ الشَّمْرِ والوَبَر . ومَع هذه كلَّها لا يَرْضَى عنَّا الآدمِيُّونَ ، حتى ادَّعَوْا أنَّ هذا حتُّ " وَاجِبُ لَمُمُ عَلَيْنا ، وأَنهم أَرْبابُ لِنا وَنحن عَبيدٌ لَمُم ، بلا حُجَّةٍ ولا بُرْهانِ إِلا القَهْرَ والقُوَّةَ . ﴾

صمع الملك هذا الكلام ، فأمر مُنادِيًا فنادَى فى مُمْلَكَتِه ، وَدَعَا الْجُنودَ وَالأُعُوانَ مِن قَبَائِلِ الْجِئْ ، والقُضَاةَ المُدولَ والفُقَهَاء ، وقَمَدَ يَفْصِلُ بِينَ زُعْمَاء الْحُيوانِ والجُدَلِيَّينَ مِنَ الْإِنْسِ .

ثم قال ازعماء الإنس : « ما تقولونَ فيها تشكو هذه البهائمُ من الظُّلْم والتَّمدى ؟ ﴾ الظُّلْم والتَّمدى ؟ ﴾

فقال زَعيمُ الإِنسِ : ﴿ إِنَّ هُؤُلاءَ عَبِيدٌ لَنَا وَنَحَنَ مَوالِبُهَا ، وَلَنَا أَنَّ عَلَيْهُ اللَّهِ عَب تَقَكَّمَ بَهَا تُحَكِّمَ الأَرْبَابِ، وتتصرَّفَ فيها نَصَرُّفَ المَالِكِ كِيفَ شاء . ﴾ فقال الملكُ للإِنسَىُّ : ﴿ إِنَّ الدَّمَاوَى لَا تَصَحُّ إِلاَ بِالْبَيِّنَاتِ ، وَلاَ تُقْبَلُ إِلاَ بِالنَّهْجَةِ الواضِةِ . ﴾

فقال الإنسى : ﴿ حُسْنُ صورَتِنا ، وارتفاع قامَتِنا ؛ وَجَودَة حَواسَّنا ، وذكاه نفوسِنا ، ورُجحانُ عُقولِنا —كل هذا يدلُّ على أننا أَرْبابُ ، وهم عبيدُ لنا . »

فقال الملكُ لرعيم البهائم : « ما تقولونَ فيا قال الإنسى ؟ » فقال : « ليس شيء مما قال بدكيل على ما ادّعى ، ثم أفاض في الرّدُّ عليه ، ويتن أن في الحيوان ما هو أجودُ حِسًّا وأدقُ تمييزًا من الإنسان ؟ فالجملُ يرى مَوضعَ قدَميْه في الظلّمةِ ، والفرسُ يسمَعُ وَطْء قدَم الماشي من نَميد . »

ثم تكلَّم الحَارُ فقال: ﴿ أَيُهَا اللَّلِكُ ! لَو رَأَيْنَنَا وَنَحَنَ أَسَارَى فَى أَيْدَى بنى آدمَ ، مُوفَرَةً ظُهُورُنَا بأثقالِهم من الحجارة والآجُرُّ ، والترابِ والخشبِ والحديدِ وغيرِها ، وبأيديهمُ العِصىُّ يضرِبون بها وُجوهَنا وغيرَها — لرَخْتَنا. ﴾ ثم تكلَّم الثَّوْرفقال: ﴿ لِو رأيَنَنا — أَيَهَا الملك ! وَنَحَنَ أُسارى فى أَيدى بنى آدم ، مُقْرَنينَ فى فُدُنِهم ، مَشدودينَ فى دَواليبهم وأرْحِيَهِم ، مُغطَّاةً وُجوهُنا ، مَشْدودةً أُعينُنا ، وهم يَضرِعِوَننا مع ذلك — لأشفقت علينا . ﴾

ثم تكلم الكبشُ فقـال : ﴿ لُو رَأَيْنَنَا وَنَحْنَ أَسَارَى فِي أَيْدِي بني آدمَ ، يأخذون صِغارَنا ؛ فيُفرِّقون بينها وبين أمَّهاتها ليَسْتأثِّروا بألبانِها لأولادِم ، ويجملوها مَشدودةً أيديها وأرجُلُها ، محمولةً إلى المذابح ِ والمَسَالِخُ جائمةً عَطْفَى ، نَصيحُ فلا تُرْحمُ ، ثم تراها مذبوحةً مساوخةً ، مشقوقةً أجوافُها ، مفَرَّقة أعضاؤها ورُبوسُها وَكُروشُها وأكبادُها فى دَكَاكينِ القصَّابينَ ، مُقَطَّمةً بالسَّواطيرِ ، مَطبوخةً في القُدورِ ، مَشويَّة في التَّنْورِ ، ونحن شُكوت لا نَبْكَى ولا نَشْكو ، وإن شَكُونا أُو بَكَيناً لا نُرْحَمُ — لنهبَتْ نَفْسُك حسَراتٍ علينا . » ثم تكلم « الجملُ فقال : لو رأيتَنا — أيها الملك — عَزُومةً أنوفُنَا مُحَمَّلَةً ظهورُنا ، نُقادُ ونُساقُ فى ظُلَمَ ِ الليلِ فِى القِفارِ والمسالكِ الوَعِرَةِ ، نَصْدِمُ الصَّخورَ والْحِجارةَ بأخفافنِا ، مُقَرَّحةً جُنوبُنا وظهورُنا ، ونحن جياع" عِطاش" – لرَحْتَنَا . »

ثم تكلم الفيلُ فقـال : ﴿ لَو رَأَيْنَنَا فِي أَيْدِي بَنِي آدَمَ والقُيودُ

فى أَرْجُلِنَا ، والقُلُوسُ فى رِقَابِنَا ، وكلاليبُ الحديدِ فى أيديهِم ، يَضربون بها أَدمِنْتَنَا - لرَجْنَنَا. »

ثم تكلم الفرَسُ فقال: ﴿ لَو رَأْيَتَنَا وَاللَّّجِمُ ۚ فِى أَفُواهِنَا ، وَالشَّرُوجُ على ظهورِنَا ، يُزَجُّ بنا فِي النّبَارِجِيامًا عِطاشًا ، والسَّيُوفُ فِي وُجُوهِنا، والسِّهام في نحورنا ، والرَّماحُ في صُدورِنا ، نخوضُ المياهَ ، ونَسَبِحُ في الدماء — لرحْتنا . »

ثم التَفَتَ الجَلُ إلى الخِنْذيرِ ، فقال : ثُمُّ وتَكُلم ، واذْكُرْ ما تَلْقُونَ – مَشَرَ الخنازير – منجوْرِ بني آدمَ . » فقـال الْخنزيرُ : والله ما أدرى ما أقولُ من كثرةِ اختــلاف القائلين في أمرنا . أما حَكِاهِ الْجِئُّ فقد سمعتُ ما قالوا ، وأما الإِنسُ فهم أكثر اختلافًا فى أمرِنا ، إنَّ المسلمينَ يقولونَ إنا مَلمونونَ ويَسْتَقبجون صُورَنا ، ويَستقذِرونَ مُلحومَنا . والرُّوم يتَنافَسُونَ في أكل مُلحومِنا في قرابينهم ، واليهود يَلمنوننا من غير ذنبٍ مِنا إليهم ؛ ولكن لمداوةٍ بينهم وبين النصارَى . والأطبّاء من اليونان يَتَدَاوَوْنَ بشُحومِنا ، وساسَة الدوابّ يُخالطونَنا بدوَاجِّهِم وعَلفها ، لأن حالَما يصلُح بمخالطيِّنا . والأساكِفة يتنافسونَ في شَعرِ أَعْرافِنا ؛ فقد تحيَّرنا لا ندري لمن نَشكو ، ومِّمْن َ نَشَكُو وَ نَتَظلمِ ! » ثم التقت الحارُ إلى الأرْنبِ وكان واقفاً بين قوائم الجللِ - فقال له: ﴿ ثُمُ فَتَكُمْ ، واذكرُ ما تَلقُون مَعْشَرَ الأرانِبِ من جَوْر بنى آدم ، فقال الأرنبُ : ﴿ أما نحمت فقد هرَبنا من بنى آدم ، وتركنا دِيارَه وسَلِمنا من شُرورِه ، ولكننا مبلينا بالكلابِ والخيلِ والجواح ، ومُعاوَنتِهم لبنى آدم علينا ، وطليهم لنا ، ولإخواننا من الغزلان ومُحمُر الوحش وبقرها والوُعولِ السّاكِنةِ في الجبالِ . ﴾ الغزلان ومُحمُر الوحش وبقرها والوُعول السّاكِنة في الجبالو . » ثم قال الأرنبُ : ﴿ أما الكلابُ والجوارحُ ومعاونَتهم لبنى آدم فهم معنورون في مُعاوَنة الإنسِ علينا لما لهم من النّصيبِ في أكل معنورون أن مُعاوَنة الإنسِ علينا لما لهم من النّصيبِ في أكل معنورون ، لأنهم ليسوا أبناء جنسينا ، بل من السباع . »

« وأمّا الخيلُ فهى منّا – مشر البَهائم – ولَسْ لها نصيبُ في أَكُلِ لحومِنا . فا لها تُعاون الإِنْسَ عَلَيْنا ؟ لوْلاَ الجهالَةُ وقلَّةُ المعرِفَةِ والتحصيلي للأمورِ والحُقائقِ ! »

ثمَّ قالَ الملكُ لِجَمَّعَةً مَمَّنْ حَضَروا مِن حُكَمَاهِ الْجِنِّ وعُلمائهم : أَلاَ تسمعونَ شِكَايةَ هَذَهُ البَهَائمُ والأَنعامِ ، وما يصفِونَ من جَوْدِ بَنِي آدَمَ عليها ، وقَلَّةٍ رَحْمَتهم لهما ؟ » قالوا : « سَمِمنا كُلِّ ما قالوا . وهُوَ حق ". ومن أَجْلِ ذلك هَربَتْ بَنو الْجان من بَينَ أَيْدِيهم إلى البَرارِي والقِفارِ ، ورُءوس الْجِبال وبطُونِ الأودِية ، وسَواحل ع ٣ (١٥) البحارِ ؛ لِما رَأْوَا مِن قُبِح أَفْنَالُم ْ وَسُوهِ أَعَالَمْ ، وَمَع هَذَه النِّلْصَالَ كُلَّها لا يَتَخَلَّصُونَ مِن سُوهِ ظَنَهُم بَالْجِنُ ، وَذَلْكُ أَنَّهم يَعتقدونَ أَن للجِنُ فَي الإِنس نَزَعات وخبطات وفَزَعات في صِيبانهم ونسائهم وبُهاللم ، حتى إنهم يتعاوَذونَ مِن شَرَّ الجِئنَّ بالتَّعاويذِ والرُّقَ والنمائم وما شاكلها ، ولم يَرَوْا قط جِنِيًّا قتل إنْسِيًّا أو جرحه ، أو سرق مَناعة ، أو نَقَبَ جَيْبَهُ ، أو بَثَرَ كَنَّهُ ، أو قطع عَلَى مُسافِر طَرِيقة ، أو خرَج على سُلطان ، أو أخذ أسبراً . » مُسافِر طَريقة ، أو خرَج على سُلطان ، أو أخذ أسبراً . » فلمًا فرغ من كلامه نادَى مُنادٍ أيها الملاً أمسيتم ، فانصرِفوا إلى مساكنكم مُكرِّمينَ لتُعودوا غَدًا آمنينَ .

ثم خَلا الملكُ مِوزيرِهِ ، وكأن فيلسوفًا حَكَيمًا فقال له : « قد شاهَدت المجلِسَ ، وسمنت ما جرّى من الكلام والأقاويل، وعلِمتَ ما جاءوا له ، فجِإذا تُشيرُ ؟ وما الرّأى الصواب عندك ؟ »

فقال الوَزيرُ : ﴿ الرَّأَىُ عندى أَن يَأْمَرَ المَلِكُ قُضَاة الْجِنَّ وَقُتَهَاءِهَا وحكماءِها وأهل الرَّأَى أَن يجتمعوا عنده ، و يَسْتَشيرَهم في هذا الأمر . » فقال الملك : ﴿ نِمْ مَارَأَيت . » ثم أمر بإحضار القُضاة وأهل الرأى والحَكمام والفلاسفة . فلما اجتمعوا عنده قال : قد علمتم وُرودَ هذه الطوائِف إلى بلادِنا ، وسمنتم مناظراتِهم ، وقد اسْتجاروا بنا، فَمَاذَا تَرَوْنَ أَنْ نَفْعَلَ بَهِم ؟ » `

قال قائل ": « الرّأَى عندى أن تُرْسل رُسلاً إلى سائرِ الحيواناتِ فَتُمرَّفَهُم بِالْخَبَرِ وَتَسَأَلُمُ أَن يَبِعثُوا إلينا زُمَاهِم وخُطباءُم لِيعاونونا فيها نحن فيه . » فقالت الجماعة : « صواب ما رَأَيت . »



٦٥ ــ بين الإنسان والحيوان

(٢)

أرسل ملك الجان ستة نفر إلى ستة أجْناس من الحيوان ، فلما وصل الرَّسول إلى أبى الحارث (الاُسـد) ملِك السبَّاع عَرَّفه الخبرَ وقال : بَمثونى إليك لتُرْسل معى زَعياً من جُندك لينوب عن أبناه جنسه

فقال له: « ما يَزْعُمُ الإنس ؟ وما يَدّعون على البهائم ؟ » قال :
يَزْ مُحون أنهم عبيد لهم ! » قال : « بماذا يَفتخر الإنس عليها ؟ أبالقُوّةِ
أم بالحلات والوَّبَات ، أم الإمساك بالمخالب ؟ فإن كانوا يَفخرون بواحدة من هذه جمئت جنودى وحملنا عليهم حملة واحدة . »

قال الرسول: « إن منهم من يفتخرُ بمثل هذه الخصال ، ولهم مع ذلك أعمالٌ وحيّل ومكايدُ ، لاتخاذِ السَّلاحِ من السيوفِ والرَّماحِ والحراب والسكاكين والنُشَّابِ والقبيئَ ، والاخترازِ من غالب السباع وأنيابها باتخاذ الدروع وانُلُورَذِ ، مما لا تنفُذُ فيه أنيابُ ، ولا تممل فيه غالب . »

« وَلَمْمْ حِيَلُ أَخْرَى فَى أَخْذِ السَّبَاعِ وَالْوُحُوشِ مِنَ الْخَنَادَقِ الْحَفُورَةِ
وَالرُّبِى المَسْتُورَةِ وَالْفِخَاخِ، وَآلَاتُ أُخْرَ لَا تَمْرِفُهَا السَّبَاعُ فَتَحَذَّرُهَا،
وَلَا تَهْتَدِى إِلَى الْحُلاصِ مِنْهَا إِذَا وَقَمَتْ فَيْهَا. »

فَفَكُرَ الأَسَد ساعة ثمَّ أمرَ مناديًا مُينادى . فاجتمسَتْ جنودُه من أَصنافِ السَّباعِ والوُّحوش والنُّبودِ ، والدَّبيَةِ وبناتِ آوَى ، والذَّثَابِ والثمالبِ ، وسنانيرِ البَرِّ ، والضَّباعِ ، وأصنافِ القُرودِ، وبناتِ عِرْسٍ ، وكلَّ ذى غِلْبِ ونابٍ ، فعرَّفها الخبرَ .

والحرْصِ والبُعْلِ ، وما فى جِيلَتْها من الأخلاقِ المذْمومةِ الموجودةِ فَى بَنِي آدَمَ ؛ فإن بها مِن البُعْلِ والحرْصِ ما لا يَحْقلها كَثْرُكُ أَحَداً من السبّاعِ يَدْخُلُ ثريةً أَوْ مَدِينةً ؛ عنافة أن يُنازِعَها فى كلّ شىء من السبّاعِ يَدْخُلُ ثريةً أَوْ مَدِينةً ؛ عنافة أن يُنازِعَها فى كلّ شىء ممّا هِمَ فِيهِ 1 وقد يَدخلُ أحدُ من بناتِ آوَى أو بناتِ أبى الخصينِ قرْيةً بالليلِ ؛ لِيَسْرِقَ منها دَجاجَةً أو ديكاً أو سِنوْرًا ، أو جَرٌ جيفةً مَطْرُوحَةً ، أو كَسْرَةً مَرْمِيّةً ، فَتَحْمِلُ عليه الكِلابُ وتَطُرُدُهُ من القرْية . . . ومَع ذَلِك تَرَى بها من الذّلُ والْمَسْكَنَةِ ما إذا رَأَى أَحَدُهُما فى يَدِ آذِي يُنْعَهُ ، ويُبَصِّيمُ بِذَنْهِ ، ويُجِدُّ النَّظَرَ ، حَتَى يَسْتَعِي فَيَرْمِي بها إليه . »

قال الأستدُ: « ومَنْ عَيْرُها من المُستَأْمِنَة إلى الإنْسِ من السبّاع ؟ » قال : « السّنانيرُ ! « قال : « و لِم اسْتَأْمَنَتْ ؟ » قال : « العِلّةُ واحِدَة ! » قال د كَيْفَ حالمًا عندهم * ؟ » قال : « أَحْسَنُ حالاً من الكلاب ؛ لِأنّها تَدْخُلُ مُيونَهُم ، وتَغَلَم في عَبالسِهِم وتَحْتَ فَرُشِهم ، وتَحَصُّرُ مَوائِدَهُم ، وهِي تَسْرِقُ الطعام إذا وَجَدَت فُرْصَة . وأمّا الكلاب فلا يَسْر كو نَها تَدْخُلُ مُيُوتَهُم وعَبالسِهم ، ويَينَ الكلاب والسّنانيو _ لهذا السّبب _ حسد وهِي تَسْرِقُ العام عَدِيدة " . »

قال الأَسَدُ : ﴿ فَمَنْ رَأَيْتَ مَنَ المُسْتَأْنِسَةً غَيْرَ هَذَيْنِ مَنَ جِنْسُ

السَّباعِ ، ؟ قال : « الفَأْرُ والِجْرْذانُ ، يَدْخُلُونَ مَنازِلَهُمْ وَحَوا نِيتَهُمْ عَيرَ مُستَانِسِينَ ، بل على وَحْشَةٍ ونفورٍ . ، قال : « فما يحملُها على ذلك ؟ » قال : « الرغبةُ في المَأْكُولاتِ والمشروباتِ . » قال الأسد : « لا حَوْلَ و لا قُوْةَ إلا بالله . » ثم قال ليكليلة : « سِرْ بالسلامةِ والبركةِ وَبَلَّغْ ما أُرْسلتَ به . »

ولما وصل الرسولُ إلى ملِكِ الطُّيورِ وهو ﴿ الشَّاهُ مَرْغُ ﴾ ، أمر مناديًا فنادى ، فاجتمَع عندَه من أصناف ِ الطُّيور من البِّرُّ والبَّصْ والجبلِ عَددٌ كثيرٌ ، فأخبَرَهم ما أخبَره به الرَّسولُ . ثم قال للطَّاوس وَزيرِه : ﴿ مَن هَاهَنَا مِن فُصَحَاءِ الطَّيْورِ وَمُتَكَّلِّمِهَا يَصَلَّحُ أَن نَبِعْتُهُ هناك ، لينُوبَ عن الجماعة في المناظرةِ مع الإِنسِ ؟ » قال الطاوسُ : « هاهنا جماعة تصلح لذلك . » قال : » يَيْنَهُم لَى لأَعرفَهم ، وَارِيْهِمْ وَاحَدًا وَاحَدًا لأَنظُرَ إِليهِم ، وأَبْصِرَ شَمَائُلهِم ! » قال : ﴿ نَمْ . أَمَّا الهَدْهِدِ الْجَاسُوسُ فَهُو : ذَلُكَ الواقِفُ ينقرُ كَأَنَّهُ يَسْجِدُ ويركع ، وأما الدِّيك المؤذَّن فهوَ الواقِفُ فونَ الحائِطِ ، صاحبُ اللَّحْيةِ الحراه المنشرُ الجناحَينِ ، المنتصبُ الذنبِ ! وهُو النيورُ السَّخيُّ ، الشَّديدُ المراعاة لأمر حَرمهِ وحلائلهِ ، العارفُ بأوقاتِ الصلاةِ ، المذكَّرُ بالأسْمار ، المنبَّةُ للجيرانِ ، الحسَنُ الموْعظةِ . ،

« وأما البُلبل فهو : القاعدُ على غُصْنِ تِلكَ الشجرةِ ، الصغيرُ الجُنةِ ، الكثيرُ الحَركةِ ، الأبيضُ الخدين ، الفَصيحُ النَّسانِ . يجاورُ بني آدم ويحاكيهم في نفاتهم ويمظهمْ ، وهو القائلُ : « سُبحان الله ! كم تلمبونَ ؟ أليس للموت تولدونَ ؟ أليس للخراب تبنون؟ » ثم يقول « في دُمائهِ : » اللهمَّ اكْفني وَلَعَ الصَّبيانِ ، وشَرَّ سَتانير الجسيرانِ ، باحنانُ يا مَنَانُ ! »

« وأَمَّا النُّرَابُ الكاهنُ ، فهوَ : لابسُ السَّوادِ ، المُتوقَّى الحذرَ ، المُبَرِّقُ الحذرَ ، المَبَرُّ بالأسحارِ ، للطوافِ في النَّيار ، المتنبعُ للآثارِ ، المخبرُ بالكائناتِ ، وهو القائلُ في نَميقهِ وإنذارِه : « اَلنَّجا النَّجا ، احْذَرِ البِلَى ، يا مَنْ طَنَى وَبَنَى ! أَيْنَ المَفْرُ ؟ !

وأما الكُرْكِي، فهو: القائمُ في الصحراء، الطويلُ الرَّقبَةِ والرَّجلينِ ، القصيرُ الدَّنبِ ، الوافِرُ الجُناحين ، وهو القائلُ في تَسبيحهِ : « سُبحانَ مُسخِّرِ النَّيْرِيْنِ ، سبحان مارج البحرينِ ، سبحانَ رَبِّ المَشْرِ قَينِ ورَبِّ المَشْرِ قَينِ ورَبِّ المَشْرِ قَينِ

« وأَمَا الْهَزَارُ اللَّغوى الكَثيرُ الأَلْحَانِ ، فهو : القاعدُ على غُصنِ الشَّجرةِ ، الصغيرُ الْجُثِةِ . الطَّيْتِ النفعةِ . »

ثم قال مَلكُ الطيورِ للطاوسِ: « مَنْ تَرَى يَصلحُ من هؤلاء أن

نَبْمُتَهُ لِيَنَاظَرَ مِعِ الْإِنسِ، وَيَنُوبَ عَنِ الجَمَاعَةِ ؟ ، قَالَ : « كَلَّهُمْ يَصْلَحُهُمْ لَسَانًا ، يَصْلَحُ لَنْهُمْ فَصَحَاهِ خُطْباهِ ! غِيرَ أَنَّ الْهَزَارَ أَفْسَحُهُم لَسَانًا ، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْمَةً وَأَلْحَانًا . » قَالَ مَلْكُ الطيورِ : « سِرْ وَتُوكَلُ على اللهُ عَلَى اللهُ عَلْهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُولُولُولُولُولُولُولُولُهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ

ولما وَصلَ الرْسولُ إلى ملكِ الحُشراتِ وهُو النحلُ، وعرَّفهُ الْمُابِرَ الْمَادَيَهُ فنادَى، فاجتمعت عنده الحشراتُ من الرَّاييرِ واليّماسيبِ ، والنَّبابِ والبّق والجُمْلانِ والجرادِ ، فَعرَّفها الْخَبرَ وقال : ﴿ أَيْكُمُ يَذْهَب وَيَنوب عن الجماعَةِ في مُناظرةِ الإنسِ ؟ ﴾ قالت الجماعة : يَذْهَب وَيَنوب عن الجماعة في مُناظرةِ الإنسِ ؟ ﴾ قالت الجماعة : ﴿ بِكِبَرِ الجُمْثَةِ ، وعِظمَ ﴿ بِعاذا يَفْتَحُ الإنسانُ علينا ؟ ﴾ قال الرَّسولُ : ﴿ بِكِبَرِ الجُمْثَةِ ، وعِظمَ الْمُلْقَةِ ، وشِدةِ القوَّةِ والقَهْرِ والنّمَابةِ ! ﴾

قالَ زعيمُ الرِّناييرِ : نحن نَمَرُ إلى هناك وَننوب عن الجماعةِ . » وقال زعيمُ الديابِ: « لا . بل نحن نَمرُ . » وقال زعيمُ الديابِ: « لا . بل نحن نَمرُ . » وقال زعيمُ الديابِ: « لا . بل نحن نَمرُ ا »

قَالَ الملكُ : ﴿ مَالَى أَرَى كُلُّ الطَّوَاتُفِ قَدْ تَبَادَرَتْ إِلَى المَبَارَزَةِ مِنْ غَيرِ فِكُرٍ وَلا رَوِيَّةٍ فِي هذا الأمرِ ؟ ! ﴾

قالت الجُماعةُ: « لِلشَّقةِ بِنَصرِ اللهِ، ولِمَا تَقدمَ من التَّجْرِيةِ فيما مضى من التَّجْرِيةِ فيما مضى من الدُّهورِ والأُم الحُاليةِ. » قال: « أخبرونى كيف كانذلك؟ قالت: « البقُ – أصغرنا جُنهُ وأضعفنا بنيةً – قَتلَ النَّمْرُ ودَ أَكْبَرَ مُلُوكِ

بنى آدمَ، وأطَّفامَ وأعظمهم سلطانًا. » قال الذَّباب: «أليس الملكُ أعظمهم سلطانًا وأشدَّم هَيبةً ؟ إنه إذا قَمدَ على سَريرهِ وقام الخُجَّابُ دونهُ شَفقة أن ينالَهُ أذَّى ، يَجَى و أحدُنا من مَطبخهِ أو خلائهِ مُلوَّت الرَّجلين والجُناحينِ ، فيقمدُ على السَّريرِ ، وعلى ثِيابِهِ وَوَجهِهِ ولحيتِهِ ، ويُعدَّبهُ ولا يَقدر على الاحترازِ مِنّا ؟! »

قال البعوض: ﴿ أَلِيسَ إِذَا قَمَدُ أَحَدُمْ فَى تَجَلَّسَهِ وَسَرَيْرُهُ وَكَلَلِهِ الْمُنْسَوِّةِ ﴿ لَكُولُهِ ﴾ المنصوبَةِ — يَدْخُلُ أَحَدُثا بَيْنَ ثِيابِهِ فَيَقَرُّصَهُ وَيُزْعِهُ مَنَ سَكُولِهِ ﴾ وإذا أراد أن يَبطِشَ بناصَفَعَ نفسهُ يبده ولَعَلَم خَدَّه بِكُفْهِ ، ودقَّ رأْسَهُ فَنُفْلِتُ مَنه!! ﴾

قال: «صدقت! ولكن لا يمشى شَى الله من ذلك فى حضرة ملك الجنّ ، إنما يمشى الأمرُ هُناك بالمدل والأدب ودقّة النظر ، وجودة التمييز ، والاحتجاج بالفصاحة ، والبيان بالمناظرة . » فأطرقت الجماعة ، ثم قال الملك : « أنا أسيرُ بنفسى . » فقالت الجماعة : « لا . » قال أميرُ النَّصْل (اليمسوبُ) : « أنا أقومُ بهذا الأمر . »قال الملك : «خارَ اللهُ لك فيما عزمت عليه . » ثم ودعهم ورحل حتى قدم على ملك الجنة .

ولما وصلَ الرسولُ إلى ملكِ الجوارح وهوَ المَنقَاءِ وعرَّفَهُ الخَلِرَ، الدَى مُناديه فاجْتممَتْ عندهُ أَصْنَافُ الجوارح، من النَّسور والمِقْبانِ

والصُّقور والبُرَاةِ والشَّواهينِ والحُّدَأُ والرَّخَمِ والبُّومِ والبَّهْاء ، وكُلُّ طيرٍ ذى يُخلَبِ مُقَوَّسِ المنقارِ يَاكُلُ اللَّحْمَ ، ثم عرَّفَهَا الخَبرَ وما جاء به الرَّسولُ ، وقال لوزيرهِ «كَرْكَدَن » : « ترى من يصلحُ من هذه الجُوارِج أَنْ نَبْعَثَه فَا ثِبًا عن الجَمَاعةِ مِن أبناه جنسهِ للمناظرةِ مع الإنسِ ؟ » قالَ الوزيرُ : « ليس فيها أحدُ يَصلحُ لَهذا الأَمرِ غير البُومِ . » قال : « ولِمَ ذلك ! »

قال: «هذه الجوّار كلّها تَنفِرُ من الإنْسِ وَتَفزَعُ منهم، ولا تفهمُ كلامَهم، ولا تفهمُ كلامَهم، ولا تُجاورُهم . وأمَّا البومُ فهوَ قريبُ الجاورة لهم في دِيارِهم العافية ، ومنازِلهم الدَّارسة ، وتُصورِهِم الخَرِبَةِ ، ويَعظُرُ إلى آثارِهم القديمة ، ويَعتبرُ بالقُرونِ الماضية ، وفيه مع ذلك من الرَّهدِ والوَرَع والخشوع والتفشّفِ ما ليس لِفيرهِ ؟ يصومُ النَّهارَ ، ويُحْيى اللَّيْلَ ، ورعا يَمِظُ بنى آدم ويَنوحُ على مُلوكهم الماضية ، والأَمْ السَّابقة ويقولُ هذه الأياتِ :

أَيْنَ اللَّهُ لِلْ اللَّاضِيَة تَرَكُوا النَّازِلَ خَالِيهُ جَمُعُوا الكُنُوزَ بِجِدَّهِمْ تَرَكُوا الكُنُوزَ كَاهِيَهُ فانظُرُ إليهم هَلْ تَرَى في دَارِهِمْ مِنْ باقِيَـهُ إِلاَّ قُبُــوراً دُرِّماً فيها عِظام بالِيَـهُ ، قال المَنْقاه لِلبومِ: « ما تقولُ فيا ذَكَرَ الكُرْكَدُنُ ؟ » قال البومُ ! « صِدْقٌ ، ولكنْ لا يُمكِن المَسِيرُ إلى هُناكَ . » قال المَنْقاه : « لِمُ ذَاك ؟ » قال : « لأنَّ بَني آذَمَ يُبْغَضُونَني ، ويَسْطَيَّرُونَ بِرُوْيْتِي ، ويَشْتِمُونَني من غير ذَنْبِ إليهمْ ، ولا أَذِيَّةٍ تَنالَم م مِنَّى. فكيف إذا أظهرتُ لحم الخلاف ، فيز ذَنْبِ إليهمْ ، ولا أَذِيَّةٍ تَنالَم م مِنَّى. فكيف إذا أظهرتُ لحم الخلاف ، واذَعْهم في الكلام والمناظرة » قال : « فَمَنْ تَرَى يَصلحُ لَهٰذا الأمْرِ » ؟ قال اليومُ : « إنَّ مُلوكَ بَنى آدَمَ يُحبُونَ الجُوارِحَ مِن البُرَاةِ والصُّقورِ والشَّواهِينِ وغَيرِها ، ويُكرمونها ويحملونها على أكفَّهمْ ، فاو بمث الملكُ بواحِدِ منها إليهمْ لكانَ صَوابًا . »

قال البتازى: « ليست كرامتنا على بنى آدَمَ لِقرَابَةِ بيننا و يَنهم ، ولا عِلْم ولا أَدَب يجدونَه عِندنا ، ولكن لِأنهُمْ يُشارِكُونَنا فى ممايشِنا ومَكاسِبنا . » قال المَنْقاء للبّازى: « فَمَنْ تَرَى يَصْلُحُ لَهَذَا الأَمْرِ ؟ يَقَال : « أَظَنْ أَنَ البَبَغَاء يَصْلُحُ لَهَذَا الأَمْرِ ؟ لِأَنَّ بَنى آدَمَ يحبُّونَه . » فقال المَنْقاء للبَغاه : « ما تقول ؟ » قال : « صَدَقَ البّازِي وإنَّى ذاهِبُ إلى هناك . »

ولما وَصل الرسولُ إلى ملك حيوانِ البحرِ وهوَ التَّنَّيْنُ وعرَّفهُ الحَبر، نادي مناديهِ، فاجتمعت إليه أصناف الحيوانات البحرَّية من التنانين والتماسيج والدّلافين والحيتان، والسرطانات والسلاحف والضفادع، وذوات الأصداف والفاوس، وهي نحو سبمائة صورة مختلفة الألوان

والأشكالِ، فمرّفها الخبرَ، وما قال الرسولُ. ثم قال التَّنَّينُ المرسولُ: ﴿ بَمَاذَا يَفْتَخُرُ بِنُو آدَمَ عَلَى غَيْرِمْ ؟ أَبِكِبَرِ الجُثَةِ ؟ أَمْ بِالشَّدَةِ والقوَّةِ ؟ أَمْ بِالقَهْرِ والغَلَبَةِ ؟ ﴾

قال الرسولُ: ﴿ لَا يَفْتَخُرُونَ بَشَىءَ مِن ذَلَكَ ، وَلَكُنْ بِرُجِعَانِ الْمُقَلِّ، وَفَنُونَ الْمُلْمِ ، وَعُرَائِبِ الأَدْبِ ، وَلِطَائْفِ الْحَيْــل ، وَدَقَةَ الصَّنَائِعِ ، وَذَكَاءَ النَّفْسِ . ﴾

قال التنبنُ للصَّفدع : « ماذا ترى ؟ » قال : « أنا أنوبُ عن الجَماعةِ . » ولما وصلَ الرسولُ إلى ملكِ الهَـــوامِّ وهوَ « التعبانُ » وعرَّفهُ الحَبرَ ، نادى مناديه ، فاجتمعت إليهِ أصناف الحيواناتِ من الهوامُّ ؛ مثلِ الأفاعى والحيَّاتِ ، والعقاربِ والجرَّاراتِ ، والعَبَّ والحَرابِي ، والحنافسِ والعناكبِ ، والنمل والجنادبِ ، والبراغيث والمقدلِ ، والفارِ والصراصرِ ، وأصناف الديدانِ ، مما يتكوّنُ في والقدلِ ، والفارِ والصراصرِ ، وأصناف الديدانِ ، مما يتكوّنُ في المُفونات أو يدبُّ على رُموسِ الأشجارِ ، أو يَتكوّنُ في لُبُّ الحبوبِ وجوفِ الحيوانِ أو في الطينِ . فاجتمعت كلّها عند الملكِ لا يحصيها عددٌ ، ولا يملّها إلا اللهُ الذي خلقها .

فلما نظرَ الملكُ إليها بِنِيَ متعجِّبًا منها ، ثم قالَ لوَزيرهِ الْأَفْمَى : « مَنْ يصلُحُ من هذهِ الطوائفِ أن نَبعثهُ اِلمناظرةِ ، فإنَّ أكثرَها صُمْ اَبُكُمْ اَمُنَى ، بلا يَدَيْنِ ولا رِجلينِ ، ولا جناحَيْنِ ولا مِنقارٍ ، ولا خِنْب ولا مِنقارٍ ، ولا غِنْب ولا رئيسٍ على أبدانها ، ولا صوف ولا فلوسٍ ، وأكثرُها حُفاةٌ عُراةٌ ، مساكينُ بلاحيلةٍ ، ولاحوالَ لها ولا قوّةً . » وقد رق قلبهُ عليها ودممت عيناهُ من الحزن ِ . ثم دعا الله أن يكونَ لها وئيّا وحافظاً وناصراً ومعيناً . فقالت كلها بلسانٍ فصيح : « آمينَ » .

فلما رأى الصُّرصور رأْفة الثعبانِ على رعيَّتهِ ارتقى إلى الحائِطِ ، وحرَّكَ أُوتَارهُ ، وترنَّمَ بأصواتٍ وألحان لذيذةٍ فقالَ : « الحَمدُ ثَهِ نحمَدُهُ ونستسينهُ ، ونشكرهُ على نَماثهِ السَّابَقَةِ وآلائهِ الدائمةِ . »

ثم قالَ: ﴿ أَيُّهَا الملكُ التَتَحَنَّنُ عَلَى هَذَهُ الطَوَائِفِ ، ﴿ لَا يَنْمَكُ مَا تَرَى مَنْ ضَعْفِ أَبْدَانِهَا ، وَصِغْرِ جُثَنْهَا ﴾ فإن الخالق تعالى لمَّا خَلق الحيواناتِ ورَّتِبها على منازِلَ — مَا يَيْنَ كَبِيرِ الجَنْةِ عظيمِ الخَلقةِ ، وبينَ صغيرِها وضعيفِها — قد ساوى ينبها في الآلاتِ . والأدواتِ التي تتناوَلُ بها المنظرَّاتِ . ﴾ المنافِعَ ، وتدفَعُ بها المَضَرَّاتِ . »

« أعطى الفيل الجُنْةَ العظيمة ، والقواة الشديدة ، ليدفع المكارة بأنيايه الطّوالِ ، ويتناول المنافع بحُرْطومهِ الطويلِ ، وأعطى البقّة الصنيرة الجنة عوضاً من ذلك – الجناحين اللطيفين، فتنجو من المكارِم وتتناول الذاء بخرطومها ، فصار الصنير والكبير في هذه المواهب

متساويين . » ثم أفاض في يبانِ ما لِكلُّ واحدٍ مما يدفعُ به عن نفسهِ المَكارة ، ويجُرُّ المنافعَ .

فلما فرَغَ الصَّرِصور من خطبتهِ هذِهِ ، قال له الثَّعبانُ : « باركَ ا للهُ فيكَ من خطيبٍ ما أَفْصَحكَ ! ومن مُذكّرٍ ما أعلمكَ ! ومن واعظٍ ما أبلغكَ !! »

وَالحَمْدُ لَهُ الذي جَمَلَ في هذهِ الطَّائِفَةِ مِثْلَ هذا الحَكَيْمِ الفَاصَلُ ، المَصْ إلى هناكَ فتنوب عن الجَمَاعةِ في المناظرةِ . »

وَلمَاكَانَ الغَدُ وَرِدَتُ رَحَمَاهِ الْخَيُوانِ مِنَ الآفَاقِ ، وَقَمَدَ مَلْكُ الْجَنَ لِفَصْلُ الْقَضَاهِ ، وَنَادَى المَنَادِي : أَلَامَنْ لَهَ مَظْلَمَةٌ فليحضَرْ ، فإنَّ الحَاجاتِ تُقضَى ، لأن الملك جَلس لِفصلِ القضاه . وَحضَرتُ قضاةُ الْجِئَّ وَفَقَهَاؤُهَا وَحَضَرتِ الطَّوَائِفُ الوارِدةُ مِن الآفَاقِ مِن الْجِئَّ وَالإنس وَالحيوانِ ، فاصطفَّتُ أمامَ الملكِ ، وَدَعَتْ لَهُ بالتَّحِيَّةِ وَالسلامُ .

ثُمَّ نَظْرَ الملكُ يَمْنَةً وَيسرَةً ، فرأى من أَجْناسِ الْميوانِ وَاختلاف الصُّورِ وَفنونِ الأَشكال وَالأَلوانِ وَالأُصواتِ وَالنّماتِ ، وَ يَقِيَ مَتَمَجَّبًا مَها سَاعَةً ، ثُمَّ قال : « سبحانَ الذي خلَقُ الأَشيَاء بِرَحْتِهِ ، وَأُوْجِدَ الْمُيواناتِ بقدرَتهِ ، وَجعل بمضَها شريفاً وَبَعَضَها خَسيساً ، وَبعضَها



ملك الجان يفصل بين الانسان والحيوان

كبيرَ الْبُلْثَةِ وَبَنْضُهَا صَغَيْرِ الْبُلْثَةِ ، وَبَعْضُهَا ذَا نُطْقٍ ، وَبَعْضُهَا أُخْرَسَ ، وَجَعْلَ ف وجملَ مَقَرَّ بَمْضُهَا فِي الْهُواهِ ، ومَقرَّ بِمِضْهَا فِي المَّاهِ ، وبَعْضِهَا فِي البَرادِي والقفارِ والجِّبالِ والكُهُوفِ والمَفاراتِ . رَبنا مَا خَلَقْتَ هذا بأطلاً سبحانكَ مَا أُعظِّمَ شَأْنك ! »

ثم نظرَ الملك إلى جماعة من الإنس وهم مُختلفو الهيئات واللّباس واللّفات والأشكال والألوان ، فَفَال : « سبحان الذي خلق الإنسانَ من نطفة في قرار مكين . سبحان الذي جمل النّطفة عَلقة ، ثم جمل المَلقة مُضغة ، ثم جمل المضغة عظاماً ، ثم كسا المِظام لحماً وجِلداً ، ثم نفخ فيه من روحه فتبارَك الله أحسنُ الخالقين . »

> 新 計 数

ونظر الملك كينة ويسرة ، فراًى اب آوى واقفا إلى جنب ماد ينظرُ شَرَرًا، ويلتفتُ شبه المُريبِ الخانف من الكلام، فقال الملك على لِسانِ التَّرْجانِ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قال : « أَنا زَعيمُ السَّباعِ . » قال : « ومن أرسلك ؟ » قال : « مَنْ هو ؟ » قال : الأَسَدُ أبو الحارث . » قال : « أَنْ يَأْوى ؟ » قال : « في الآجام » قال : « ومن رُعِينَّهُ ؟ » قال : « حَبوانُ البرِّ من الوُحوشِ والأَنسامِ والنَها مِ . » قال : « ومن لى صُورَ بَه وأخلاقه وسيرته . » قال . « نَمْ . هو أكبرُ قال : « صِفْ لى صُورَ بَه وأخلاقه وسيرته . » قال . « نَمْ . هو أكبرُ

السُّباعِ جُنَّةً ، وأشدُّها قوَّةً وبطشًا ، شُجاعُ القلبِ هائلُ المنظر ، لا بهابُ أَحَداً ، سَخَي مُ إِذَا اصطادَ فريسةً أَكُلَ مَنها وَنُصدَّقَ بِيافيها على جُنودهِ وَخَدَمهِ ، عَفينُ النَّفْس عن الأُمورِ الدِّنِيَّةِ ، لا يَتمرَّضُ للنُّسَاء ولا للصَّبْيانِ ولا للنَّيامِ ، ولا يتأذَّى إلاَّ من النَّسْل الصَّغيرِ . » قال : ﴿ كَيْفَ سَيْرَتُهُ فِي رَعِيَّتِهِ ؟ ﴾ قال : ﴿ أَحْسَنُهَا وَأَعْدَلُهَا . ﴾ ثم رَأَى الملكُ البِّيفاء قاعِداً على غُصْنِ ، يَتأمَّلُ كلَّ من يَتكلُّمُ من الحضورِ ، فقال له : « من أنتَ ؟ » قال : « زعيم الجوارح من الطَّيرِ . » قال : « مَنْ أُرسلكَ ؟ » قال : « مَلِّكُنا المَنْقاءِ . » قال : « أَين يَأْوى ؟ » قال: « إلى الجبال الشاخةِ . » قال: « ميف لنا صُورةَ العَنْقاء وأخلاقه » قال: « هو أكبرُ الطَّيْرِ جُنَّةً ، وأشدُّها طيرانًا ، كبيرُ الرَّأْس عَظيمُ المنقاركاً نَّه مِمْوَلٌ من الحديدِ ، عُظيمُ الجناحَينِ إذا نَشَرَهما فَكَانَّهُما شِراعانِ ، وذَنَبَه مُناسبٌ لهما كأنَّه مِطْلَّة نَمْرودَ الجُبَّـارِ . » قال . « ما سيرته ؟ » قال : « أَحْسنُ وأَعدَلُ سيرَةٍ . »

ثم صمع الملك نَفمة وطَنِيناً من شَقِّ حائِطٍ ، فتأمَّلَهُ فإذا هو صُرْصُورٌ واقِفٌ يُحَرَّكُ جَناحَيْهِ ، قال له : « مَنْ أَنْتَ ؟ » قال : « زعيمُ الهوامُ والحَشَرَاتِ . » قال : « مَنْ أَرْسلكَ ؟ » قال : « مَلِكُنا الثَّمْبانُ » قال : « أَنْ كَا الثَّمْبانُ » قال : « فَمَنْ جُنودهُ « أَنْ كَا أُوى ؟ » قال : « فَمَنْ جُنودهُ

وأَعْوالُه ؟ ﴾ قال : ﴿ الحَيَّاتُ والحَشراتُ أَجْمَعُ . ﴾ قال : ﴿ وَلَمْ ارْتَفَعَ إِلَىٰ هُناك ؟ ﴾ قال : ﴿ لِيَسْتَرَيحَ بِبرودَةِ الزَّمْهريرِ من حَرارَةِ الشَّمُّ الذي بين فَكِيْهِ . ﴾ قال : ﴿ صِفْ لنا صورَتَه . ﴾ قال : ﴿ كَصورةِ التَّنَّينِ ، وأخلائُهُ كأُخلاقِهِ . ﴾

ثم قال الضَّفْدِعُ: ﴿ أَيُّهَا الملكُ اللهِ التَّيْنُ قُوْلَ الإِنْسِ وَادَّعَاءُمُ عَلَى الْحَيْوَانَاتِ أَنَّهُمْ عبيدُم ، تَمَجَّبَ من قولهم الزُّور وقال : ﴿ مَا أَجْهَلَ هُولاهِ الإِنْسَ ! أَفَلا يَتَفَكَّرُونَ وَيَعْتَبُرُونَ بَأَنَه لُو خرجت عليهم السَّباعُ من الآجامِ ، وانقَضَّتْ عليهم الجُوارِحُ من الجُوِّ ، ونزلتْ عليهم الشّما بينُ من رُوسِ الجبالِ ، وخرجت إليهم التماسيحُ والتَّنانينُ من البَحْرِ ، فَمَلَتْ عَلَى الإِنْسِ حَلَةً واحِدةَ ، فَهِل يَبْقَ منهم أَخَدٌ ؟ ولو خالطتَهُم فَ دِيارِهِمْ ، فَهَلْ يَطِيبُ لَهُمْ عَيْشُ مَنَها ؟ أَفَلا يُفكرُ ونَ في نِم اللهِ عليهم حِينَ صَرَفَها وَابْعَدَها من دِيارِهِم لدفع ضررها عنهم ؟ ! ﴾ عليهم حِينَ صَرَفَها وَابْعَدَها من دِيارِهِم لدفع ضررها عنهم ؟ ! ﴾

ثم قال الملك ُ لجمّاعةِ الإنْسِ ، وهم وقوف وكانوا نحو اثنين وسبمبن رجلاً : « قد سمعتم ما قال ، فاعتَبروا وتفكروا فيه » ثم قال لهم : « مَنْ مَلِكُكُم ؟ » قالوا : « لنا عِدَّةُ ملوك ٍ . » قال : « فأيْنَ دِيارُهُمْ ؟ » قالوا : « فى بُلدانِ شَتَّى ؛ كلْ واحِدٍ فى مدينةٍ له مجنودُهُ ورعيَّتُهُ . »

قال: « لِأَىِّ عِلْةٍ وسبب صارَ لِكُلِّ جِنْسٍ من الحيواناتِ ملكُ واحِدْ مع كَثرتِها . ولِلإِنْسِ عِدّة ملوكٍ مع قلتهم ؟ » قال العِراقِيُّ :

لكثرة مآرِب الإنس وفنون تصاريف أموره، فاحتاجوا إلى كثرة الملوك، وليس حُكم سائر الحيوانات كذلك.

 وخصلة اخرى أنّ ماوكهم إنما ﴿ بالاسم من جهة كِبَرِ الجُّنَّةِ ، وعظم الْحِلْقة وشدة القوَّة ، وحُكْمُ ملوكِ الإِنْسِ رُبُمَا يَكُونُ بخلافِ ذلك، وربمَا يكونُ الملكُ أصغرَهم جثةً ، وأضعفهمْ قُوَّةً ! وإنما المرادُ من الملوكِ حُسنُ السَّياسةِ والمدلِ ، ومراعاةُ أمرِ الرَّعيةِ وتفقَّدُ أحوالِ الجنودِ والأعوانِ ، وترتيبهمْ في مراتبهمْ ، والاستعانة بهمْ في الأمور المشاكِلةِ لهم، وَذلك أنَّ رَعيةَ ملوكِ الإِنْسِ وأعوانها أصناف ؛ فنهم حَمَلَةُ السَّلاحِ الذين يبطشُ بهمُ الملكُ بأعداثهِ ، ومن خالفَ أمرَهُ من الثوَّار واللصوص، وقُطاع الطريق، ومَنْ يريدُ الفننَ والفسادَ فيالبلادِ ، ومنهم الوُزراء والكُنتَابُ والمثالُ وجباةُ الخرَاجِ . ومنهم البنَّاءون والزَّارعون . ومنهم القضاةُ والعلماء وحكامُ الشريمةِ . ومنهم الخدم والحجَّابُ والوكلاه والرُّسلُ ، وأصحابُ الأخبارِأوالنُّدَماه ، ومَنْ شاكلهم مِمَّن لا بُدَّ للملوكِ منهم في تمام السَّيرة . وَكُلُّ هُوَّلاء الطوائفِ لا بد للملك من النظر في أمورهم، فن أجل هذه ِ الخصال، احتاجتُ الإِنْسُ إِلَى كَثْرَةِ المَاوَكِ ، في كُلِّ بلدٍ أَوْ مدينةٍ ملكُ يُدَبِّرُ أَمرَ أَهلُهَا ، ولا يُمِكِنُ أَن يقومَ بها واحدٌ ؛ إذْ في كلِّ إقليم عِدَّةُ مُبلدانٍ ، وفي كلُّ بَلدٍ عِدةُ مدُن ٍ ، وفى كلُّ مدينةٍ خلائقُ لا يحصِى عددَها إلا اللهُ ، وهِ تُختلفو الأَلسُنِ والأخلاقِ والآاه والمذاهب والأعمالِ والمآربِ . •

فلمًا فرغَ زعيمُ الإنسِ من كلامهِ نظرَ الملكُ إلى أصنَافِ الحيواناتِ فسمعَ دويًا وطنينًا ، فإذا باليمسوب أمير النَّحْــلِ وزعيمهَا وقفُ في الهواء فقالَ له: ﴿ مَن أنت ؟ ﴾ قال : ﴿ زعيمُ الحشراتِ وأميرُها . ﴾ قال: ﴿كَيْفَ جَنْتَ بِنفسكَ وَلَمْ تُرسلُ رَسُولًا مِن رَعِيتكَ ؟ ﴾ قال : « إشفاقًا عليهم أن ينالَ أحدًا منهم سوءٍ . » قال الملكُ : « وكيف خُميصْتَ بهـذه الْخُصلةِ دونَ غيرِكَ ﴾ قال : ﴿ إِنَّا اخْتَصَّنَى رَبِّي مَن جزيل مواهبهِ بمَا لا أُحْصيه . » قال : « اذكرْ منها طرفًا لأسمَعهُ . » قال : ﴿ نَمْ ۚ . ثَمَا خَصَّنَى اللَّهُ بِهِ وَأَنْمَ بِهِ عَلَى وَعِلَى آبَائِي أَن آتَانَا الْمُـلْكَ والحَـكُمَة التي لم تكن من بعدنًا لحيوانِ آخرَ . وأن ألْهُمَنَا دقةَ الصنَاعةِ الهندسيةِ ، ومعرفةَ الأشكالِ الفلكيةِ من اتخَاذِ المنَازلِ وجمع الذخائر فيها . وحلَّلَ لنا الأكلَّ من كلُّ الثمراتِ وأزْهار النباتِ ، وجمل ما يخرُجُ من بطوننا شَرابًا حُـاوًا فيه شفاء للناس وجمل بِنْيةَ جسدِنَا ثلاثةَ مفاصلَ ، فوسَطُ جسدنا مربعٌ مكعب ، وموَّخرهُ مُعْوَجٌ غروطٌ ، ورأشُنَا مُدوَّرٌ مبسوطٌ . ورَكَّبَ في وسطِ أَبداننا أربع أرجل ويدَين مُتناسبات ِ المقادير كأضلاعِ الشكلِ المسدَّسِ فى الدَّاثرةِ ؛ لِنَستمين بها على القيام والقعودِ ، وتَقدِرَ على بِنَاه منازلناً ، وهى مسدَّساتٌ. وجمل الله على كَتْنِق أربعةَ أجنحةٍ حريريةِ النسيجِ. وجمل مؤخّرَ بَدَنى تخروطىّ الشكل مُجوَّفًا مملومًا بالهواء ليكونَ موازِنًا لِثِيْتَلِ رَأْسَى فَى الطيرانِ ، وجمل لى حُمَّةً حادَّةً كأَنْهَا شَوَكَةٌ ۗ أْخَوُّفُ بَهَا أَعْدَائَى ، وجعل رَقبتى خَفيفةً ليَسَمَلَ بَهَا عَلَىَّ تَحْرِيكُ ُ رأسى ، وجعل في جَنِّيٌّ عَيْنينِ بِرَاقَتينِ لإِدراكُ ِ المِصَرَاتِ ، وأثبتَ على رأسي شِبه وزين لطيفين لإحساس المُلموسات ، وفَتَح لى مِنْخَرَينِ لإحساسِ المشعوماتِ ، وجمل لى فمَّا مفتوحًا فيه قُوَّةٌ ذائقةٌ أُتعرَّفُ بها لونَ الطمام والطيّبات ِ من المأكولات ِ والمشروبات ِ، وجمل لى مِشْفَرَيْنِ أَجِعُ بهما من تَمْرِ الأشجارِ رُطوباتٍ لَطَيْفةً ، وجمل في جَوْفِي قُوِّةً جاذَبَةً وماسَكَةً وهاضِمةً وطابخةً ومُنْضِجةً . تُصيِّرُ تلكَ الرُّطوباتِ عَسلاً . •

﴿ فَنِ أَجِلِ هذه النَّم صِرْنَا شَاكرِينَ مُشفقينَ على رَعيَّننَا ؛ لأنّا لهم
 كالرأسِ من الجسدِ ، وهم لنا كالأعضاء من البدنِ . ولهذا السببِ
 اخترتُ عَبيْ بنفسى رسولاً ونَائباً وزَعيماً عن رَعِيننا . »

قال الملك : ﴿ أَيْنَ تَأْوُونَ ؟ ﴾ قال : ﴿ فِى رُءُوسِ الجبالِ والتلالِ و بين الأشجارِ . ومِنّا مَنْ يجاوِرَ بَنِي آدم . ﴾ قال : «كيف عشرتهم وكيف

تسلمون منهم ؟ » قال : « أما من بَعُدَ منا عن دبارهم فيسلم على الأكثر، وربمًا يجيئُون إلينا ويتعرضون لنا بالأذى ، فإذا ظفِروا بنا خَرَّ بوا منازلنا ، ولم يبالوا بأن يقتلوا أولادنا ، ويأخذوا مَساكِننا وذَخاتُرَ نَا . » قال : «كيف . صبرُكُم عليهم ؟ » قال : « صبرُ المضطرُّ تارةً كُرهاً ، وتارةً رضَّى . وإِن غضِبنا وتباعدنا عن ديارهم جاءوا يَترَضُّو ننا بالهدايا: من المِطر والدِّبس والثمر ، والحيـَـل : من أصوات النُّفوف والطبول والمزامير . وعملُهم مثل عمل الطَّرَّارين الذين يُمطون الرَّبيبِ والجوْزَ إِلَى الصَّبيان ، ويأخذون منهم أثوابهم ودراهِم. ومع هذا لا يَرْضُوْنُ عنَّا حتى يدَّعُوا أننا عبيدٌ لهم، وهم مَوالي وأَربابُ لنا بغير حُجةٍ ولا برهان ؛ إِذ نحن غيرُ عتاجين إليهم ، وهم محتاجون إلينـا مثل ما يحتاجُ الخدم إلى السيِّدِ والله المستمانُ . أقول قولى هذا وأستنفِرُ الله لى ولكم . »

77 – بين الإنسان والحيوان (٣)

قال الملك : « يا مسرر الإنس ! سمتم شكاية هذه المخلوقات من جَوركم ، ونحن قد سمنا ادعاءكم عليها الرق والعبودية ، وهى تأبى ذلك وتجحده ، وطالبتُكم بالدليل على دَعواكم ، فأوردتم ما ذكرتم ، وسممنا ما أجابوكم به ، فهل عندكم شيء آخرُ غير ما ذكرتم ! فهاتوا برها نكم إن كنتم صادقين ١١»

فقام زعيم من رؤساه الروم ، فقال بعد خُطبة وتحميد طويل : ﴿ نَمَ أَيّها الملك ! لنا خِصالٌ محمودة ، ومناقِبُ جَمَّة ، تَدَلُّ على ما ذكر نا » قال : ﴿ ما هِي ؟ ﴾ قال : ﴿ كَثَرَةُ عُلومِنا . ودِقةُ تَمْييزِنا ، وجَودة ُ فِكرِنا وسياستينا وتدبيرِنا ، وتَمَاوُنُنا ، في الصناعة والتجارة ِ . . . كلّ ذلك دليلٌ على أناً أرباب لهم ، وهم عَبيد لنا . »

فقال الملك للحضورِ من الحيواناتِ: ﴿ مَا تَقُولُونَ ؟ ﴾ فأَطرَقَت الجُمَاعَةُ ساعةً مَتَفَكَّرةً فيها قال الإِنسيُّ ، ثم تكلم أميرُ النخلِ فقال بعد خُطبةٍ :

« بزئم هذا الإنسى أن لهم عُلوماً وفكراً وسياسةً . ولو أنهم فكروا في أمرِ نا لَبانَ لهم أن لنا عِلماً وتمييزاً وفكراً وسياسةً أدق وأحكم مما لهم، فن ذلك اجتماع النحل في فراها ، وتمليكها رئيساً واحدًا عليها ، واتخاذُها البيوت

المُسَدَّساتِ مِن غيرِ بِرِكَارِ ولا معرِفةِ هندسةٍ ، وترتيبُها البوَّابينَ والجُلجَّابَ والحُرَّاسَ ، وكيف تذهب إلى المرْعى أيامَ الرَّبيع وليالى القمر فى الصيف، وتجمع الشَّمَعَ بأدبُحِلِها ، والعَسَلَ بمشافرها ، وتبيضُ فى بعض البيُوتِ ، وتحضُنُ وتُقرِخُ ، وتقْتَاتُ من العسل الحذُّونِ هى وأولادُها يوماً يورْم بلا إسراف ولا تقْتِيرٍ . »

« وذلك دَأَبُهَا مَن غير تعليم ولا تأديب ولا تَلقين . ولو عَلِمَ الإنسى الما النمل وكيف تخذ تحت الأرض منازل وأزقة ودهاليز وغُرفا وطبقات ومنعطفات، وكيف تخلأ بعضها حُبوباً وقُوتاً للستاء ، وتجعل بعض يوتها مُنخفضا كى تجرى إليها المياه ، وبعضها مُر تفعا ، وتجعل الحبّ في يبوت منعطفات حذرًا عليها من المطر ، وتقطع الحبة نصفين ، وتقشر الشعير والباقيلا والعدس لعلمها أنها لا تنبئت من التقشير . وإذا وجدت واحدة منها شيئاً لا تقدر على حمله أخذت منه قدرًا ما ، وذهبت راجعة مُغبرة الباقين ، وكما استقبلها واحدة شمّت عما في فيها لتدُلقًا على ذلك الشيء من مجتمع كلها وتتعاون على حمله وإذا توانت واحدة في العمل أو التعاون تعليم عبرة النبرها . »

فلما فرغ أمير النّحل من كلامه قال له الملك : « بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ! ومن خطيب ما أفصحك ! ومن مبين ما أبلغك !

ثم قال: « يامعشر الإنس! قد سمسم ما قال ، فهل عندكم شيء آخر؟ » فقام أعرابي وقال: ﴿ لنا خصال تدلُّ على أننا أرباب وهم عبيد لنا. ﴾ قال الملك : « اذكرٌ منها شيئًا ما . » قال : « نم . طِيبُ حياتِنا وما فيها من الولائم والأعراس والرَّقص، وطيُّباتُ مأكولاتنا من ألوان الطمام والشراب والملاذُّ وما لهؤلاء معناً شركةٌ فيها . وذلك أن طمامنا لُبُّ النمار ولها قشورها ونَواها ، لنا لُبِّ الحبوب ولها تِبْنها وورتُها ، ولنا بمد ذلك ألوان الحبن والرُّغفان والأفراص والحلوى والقطائف، وألوانُ الأشربةِ ، وألوانُ الألبانِ والسمن والزُّبد وما يعملُ من ألوانِ الطُّبيخ والملاذُّ والمشتهياتِ ، ولا يحصى كثرةَ ذلك إلا اللهُ ، وكل ذلك عنهم بمعزل ، مع خشونة طعامهم وقلة الرائحة الطيبة فيه ، وقلة دسومته وحلاوته ، وذلك دليل على قلة لذتهم منه . وهذه الخصال للعبيد ، وتلك حال أرباب النم الأحرار، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد لنا ، أقول قولى هذا وأستنفر الله لى ولكم . »

فنطق عند ذلك زعيمُ الطيورِ وهو الهزَارُ – وكان قاعدًا على غمس شجرةٍ يَتَرنَّمُ – فقامَ وقال :

« الحمدُ للهِ الواحد الأحدِ، الفردِ الصمدِ ، القديمِ الأبَدِي الدائمِ السّرمَدي . اعلم أيها الملك الكريمُ أن هذا الإِنسيَّ افتخرَ بِطيب

مأكو لاتهم ولَذيذ مشروياتهم ، ولا يدرى أن ذلك كلَّه عُقوباتُ لهم ، وأسبابُ الشقاوةِ والعذابِ الأليم . إن فى حرامها عذابًا ، وفى حلالها حسابًا ، وهم فيما يبنهما من الخوف والرَّجاء . »

قال الملك « وكيف ذلك ؟ بَيِّن لنا . »

قال: «نم؛ إنهم يجمعون ذلك ويُحصَّلونه يِكَدُّ أبدانهم، وتعب نفوسهم، وجَهد أرْواحهم، وعرَق جَبِينهم، وما يَلقَوْنَ في سبيله من الشقاوة والهوانِ لا يُمَدُّ ولا يُحصى: من كدَّ الحرْثِ والزرع وإثارةِ الأرض وحفْرِ الأنهار، والجُهدِ والمناء، واكتسابِ الأموالِ والدرام وتمثَّم الصناعاتِ والمكاسبِ المتيبَةِ للأبدانِ، والأعمالِ الشاقَّةِ على النفوسِ، والنَّهابِ والجيء في الأسفار البعيدةِ في طلبِ الأمتيةِ والحوائج، والجُمعِ والادَّخارِ والاحتكار، والإنفاقِ بالتقدير مع مُقاساةِ

« فإن كان الإنسى جَمعها من حلالِ وأنفتها فى وَجهِ الله فلا بد من الحسابِ ، وإن كان من غير حِل وأنفقها فى غبروَجه الله فالوَيلُ والحسابُ والمدابُ ، ونحن بِمَعْزِلِ من هذه كاتها ؛ وذلك أن طمامَنا وغِذاء نا هو مما تُخرِجهُ الأرضُ من أمطار مَمَائِها بِلا كَد ولا تسب لأبداننا ولا عَناه من نفوسِنا ولا نَصَبٍ من أرواحنا ، ولا نحتاجُ إلى بَذْرِ ولا حَصادٍ ولا

دراس ولا طَخْن ، ولا خَبْزٍ ولا طبيخ ولا شِواء ، وهذه كلُّها علاماتُ الكرام الأحرارِ . »

« وأيضاً إذا أكلنا أمو تنا يوماً بيوم تركنا ما يَفْضُلُ عن حاجتنا بمكانِه لانحتاج إلى حفظهِ ، ولا نحتاج إلى خازِن ولا حارس ولا احتكار إلى وقت آخرَ ، لانخاف لِصاً ولا قاطع طريقٍ ، ننام في أماكِننا وأوطانناوأوكارنا بلا بابولا غلقٍ ، آمنينَ مُطمئنينَ وادعين مستريحين. وهذه علامات الأحرارِ ، وأنّم عنها أيها الإنس بِمَعزِلٍ . »

« وأيضاً فإنَّ لَكُم بَكُلِّ لَذَةٍ ذَكَرَتُم مَنْ فَنُونِ مَا كُولَاتُكُمُ وَأَلُوانِ مشروباتِنكُم فُنُوناً مَنَ الثُقُوباتِ وأنواعاً مَنَ المَذَابِ ثَمَا نَحَنَ بِمَنْزِلِ عنهُ من الأمراض المختلفةِ ، والمِلَلِ الْمُزمِنةِ والأسقامِ المهلِكَةِ . »

« كلُّ ذلك أَصَابَكُم لمَّا عَصَيْتُم رَبَكُم وَتَرَكُتُم طَاعَتُهُ ونَسِيْتُم وَصِيَّتُهِ ، فَإِنَّ أُوَّلَ النَّاسِ آدَمَ « وعصَى آدمُ رَبَّهُ فَنَوَى . » ونحن بمنزِل عن هذه كلمًا ، فِمن أَين زعمتُم أَنكُم أَربابُ ونحن عبيدٌ لولاً الوَقاحةُ والمكابرةُ وقِلَّةُ الحياء . »

قال الإنسِي : « قد يُصِيبُكم يا مصرَ الحيوانِ من الأمراضِ مثلُ ما يُصِيبُنا ، ليس يَخُصُنا دُونَكم . » قال زعيمُ الطَّيورِ » إنما يُصيبُ ذلك مَن يُخَالِطُكم منا من الحمامِ والدَّجاجِ والبَهائِم والأنعامِ ، أو

مَن هو أُسيرٌ في أَيديكم ممنوعٌ من التصرُّف برأيه في أمرِ مَصالحِهِ . فأما مَن كان منا مُخلِّى برأيهِ وتدبيرهِ لمصالحِهِ وسياستِهِ ورياضتِهِ لِنفسهِ فقل أن تعرض له الأمراضُ والأوجاعُ ؛ وذلك أن الطيورَ ونحوَها لا تأكلُ ولا تشربُ إلا وقت الحاجةِ ، بقدرِ ما ينبغى ، من لون واحدٍ ، وبقدرِ ما يُسَكَّنُ أَلَمَ الجوعِ ، ثم تستريحُ وتنامُ ، وتمنعُ من الإفراطِ في الحركةِ والسكونِ في الشمسِ الحارةِ أو في الظّلالِ الباردةِ ، والأقامةِ في البُلدانِ غيرِ الموافِقةِ لِطباعِها أَو أَكلِ الما كُولاتِ غيرِ المُلاَيْة لمزاجها . »

« وشى؛ آخرُ ذهب عنكم أيها الإنسى . » قال : » ما هو ؟ » قال : « إِنَّ أَطيبَ ما تَتداوَوْنَ قَال : « إِنَّ أَطيبَ ما تَتداوَوْنَ به هو العسلُ — وهو لُعابُ النحلِ — وليس منكم بل من الحشراتِ ، فبأَى شيء تفتخرون به علينا ؟ »

وأما الذى ذكرت بأن لكم مجالس اللهو واللعب والفرج والسرور ، وما ليس لنا من الأعراس والوَلائِم والرقص والحكابات المضحكات ، والتحيات والنهنات والمدح والثناء والخلي والتيجان ، والأسورة والخلاخل ، وما شَاكلَها بما نحن بمعزلي عنه - فإن لكم أيضا بكل خصلة منها ضروباً من العقوبات ، وفنوناً من المصائب ، وعذابا أليا بما نحن بمعزل عنه . »

فَن ذلك أَنَّ لَكُم بِإِزَاءِ الْأَعْرَاسُ الْمَاتَمَ ، وبدل التهنئة التعزية ، وبدل الألحان والفناء النُّوْحَ والصراخ ، وبدل الضحِكِ البكاء ، وبدل الفريح والسرور النمَّ والحزن، وبدلَ القصور المالية القُبُور الْمُظلمة ، وبدلَ الرَّقص السياط والمذاب والضرب والمقاب ، وبدل الحلى والتيجان والخلاخيل والأسورة القيودَ والأغلال ، وبدل كلُّ حسنة سيئةً ، وبدل كل لذة ألمًا ، و بدل كلِّ نميةٍ بؤسًّا ، و بدل كلِّ فرح نَمًّا وهما وحزنًا ومُصيبة نما نحن بممزل عنه، وهذه كلُّها من علامات الأشقياء. و إن لنا بدلاً مِنْ عِالِسَكُمْ ۚ وَإِيوانَا تِنكُمْ وَمُنادَمَتِكُم هذا الفضاء الفسيح ، وهذا الجو الواسم ، والرَّياض والخضرة على شطوط الأنهار وسواحل البحار، والطيرانَ على رُءوسِ البساتين والأشجار، والتحليق على رُءوس الجبال، نَسرح ونروح · حيث نشاء من بلاد الله الواسعة ، ونأكلُ من رزق الله الحلال من غير تسب وكد، ونجد ألوان الحبوب والثمار من غير أذية أحد، ونشرب من مياه الندران والأنهار بلا مانع ولا دافع، ولا نحتاج إلى حبَّل ولا إلى دَلْوِ ولا إلى كوز ولا قِرْبة ، مما أنتم مُبتلون به من حملها ، وإصلاحها وبيعها وشرائها، أوجع أثمانها بكد الأبدان، وعناء النفوسوهموم، القلوب والأرواح، وكلُّ ذلك من علامات العبيد الأشقياء . فن أين ثبت أنكم أرباب ونحن عبيد لكم؟ »

نم قال الملك لزعيم الإنس: ﴿ قد سمتم الجواب، فهل عندكم شي الخر

من البيان؟ » قال : « نم ، لنا فضائل ومناقب تدل على أن هؤلاء عبيد لنا ونحن أرباب . » قال الملك : « ماهو؟ هَات البيان والبرهان . »

فقام رجلٌ عِبْراني من أهل العراق وقالَ:

« الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ ، والعاقبة للمتقين ، ولا عُدْوان إلا على الظالمين : « إنَّ الله اصطنى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل ممران على العالمينَ ، ذُرِّيَّةً بعضها من بعض والله سميعُ عليمٌ . »

« وهو الذي أكرمنا بالوّحى والنّبُوّاتِ ، والكُتبِ المُنولات ، والآياتِ الحكمات ، وما فيها من ألوان الحلال والحرام، والحدود والأحكام، والأواسر والنواهي ، والترغيب والترهيب. من الوعد والوعيد، والمدح والثناء والتّذ كارِ ، والأمثال والاعتبار ، وقصص الأولين والآخرين، وصفات يوم الدين ، وما وعدنا من الجنات والنميم ، ولنا المنابر والخطب والأذان والمواقيت والإفاضات ، والإحرام والتلبيات والمناسك ، وما شاكلها . » « وكل هذه الخصال كرامات لنا وأتم بمعزل عنها ، وكل ذلك دليل على أننا أرباب وأنهم لنا عبيد »

قال زعيم الطيورِ : « لو تذكرت أيهـا الإنسىٰ ونظرت واعتبرت لملمت وتبين لك أن هذه كلها عليكم لا لكم . »

قال الملك: ﴿ كَيْفَ ذَلِكَ ؟ بيَّنه لنا . ﴾ قال : ﴿ لأَنَّهَا كُلْهَا عَذَابٌ

وعقوبات، وغفران للذنوب، وعو للسيئات، ونهى عن الفحشاء والمنكر، كا ذكر الله نمالى بقوله: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء والمُنْكَر . ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ الْحَسْنَاتِ مُنْدُهِ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء والمُنْكَر . ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ الحَسْنَاتِ مُنْدُهِ السلام : ﴿ صوموا نَصِحُوا . ﴾ ونحن برا و من الذنوب والسيئات والفحشاء والمنكر، فلم نحتج إلى شيء مما ذكرت وافتخرت . ﴾ ﴿ ثم اعلم أيها الإنسى أن الأنبياء عليهم السلام هم أطباء النفوس ، ولا يحتاج إلى الطّبيب إلا المرضى وصاحبُ العلةِ المزمنة . ﴾

و وأمّا الذي ذكرت بأن لكم في الكُتب آبات محكمات بينات للمحلال والحرام والحدود والأحكام ، فكل ذلك تعليم لكم ، وتأديب لحملكم وهماكم ، وقلة معرفتكم بالنافع والضار ، وإن الإنسان كان ظلوما جهولاً ، تحتاجون إلى المعلمين والمرشدين والمُدذ كُرينَ والواعظين لكثرة غفلاتكم وسهوكم ونسيانكم، ونحن بمعزل عن جميع ذلك ؛ إذ قد ألهمنا الله تعالى جميع ما نحتاج إليه من أول الأمر إلهاماً وَوَحْياً ، بلا وَاسطة من الرسل وَلا نداه من وَراه حجاب ، كما أوحى إلى النحل بقوله تعالى : « وَأَوْحَى رَبُّهِكَ إِلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً . » بقوله تعالى : « كُلُ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ . »

« وَاعلم أيها الفَافلُ الإنسى أن الله تمالى قال في إنسيٍّ منكم قتل أخاه

ظلماً ولم يستطع أن يدفئه : ﴿ فَبَمَثَ اللّٰهُ غُرَاباً يَحِثُ فَى الأَرْضِ لِلْبِرَ يَهُ كَيْ وَلِينَ مِثْلَ هَذَا لَكُونَ مِثْلَ أَلَّهُ عُرَابً أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا النُّرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَأَةَ أَخِي ، فأُصبَحَ من النَّادمينَ . ﴾ وليته ندم على ذنبه وخطيئتِه ! ولكنه ندم على عمى قلبه وغفلة ذهنِه ، وعجزه — وهو من ذوى الألباب _ عن مُساوَاةِ الغرابِ . ﴾

« وأما الذي ذكرت بأن لكم أعاداً ومواسم وذَهاباً إلى بيُوتِ المساداتِ ، وليس لناشىء من ذلك ، فاعلم أنكم لوكنتم مهذّبي الأخلاقِ مُعاوني الإخوانِ عند الشدائدِ ، وكنتم كنفس واحدة في مصالح أموركم ماوجبت عليكم الأعيادُ ، واجتماعُ الجُمُعاتِ . فمن الاجتماع تشكون الصداقة ، والصداقة أُسُ الأخواقِ ، والأخواة أُسُ الحبّة ، والمحبّة أسُ الصداقة ، والصداقة أَسُ الأُخواقِ ، والأخواة أَسُ الحبّة ، والمحبّة أسُ السلاح الأمورِ ، وإصلاحُ الأمورِ أَسُ صلاحِ البلادِ ، وفي ذلك بقاه الماكم ، وبقاء النّسل . »

 و فاهذا أمرَت الشريعةُ أن يجتمعَ الْحَلاثقُ فىالسنةِ مرَّةً إلى موْضع غصوصٍ ، وفى كلَّ أسبوعِ مرَّةً إلى مواضعَ غصوصةٍ ، وفى كلِّ يوْم خس مرَّاتٍ فى المساجدِ ليحصُلَ الفرضُ المطلوبُ . »

وليس لنا شيء من ذلك لأننا لانحتاج إليه ، فالأماكن كألها لنا
 مساجد ، والجهات كلها قِبلة ، أينها توجّهنا فتم وجه الله ، والأيام كلها

لنا جُمَّاتُ وأَعِيَادُ ، والحركاتُ كلها صَلَوَات وتسبيح ، فلم نحتَجْ إلى شيء مما ذكرت ؛ إذ الصلاةُ عبارة ٌ عن طهارةِ القُلوبِ من خَبَث الحِلْقدِ ونجاسةِ الشك ، وتقرُّب إلى الله تمالى بخالصِ النيَّةِ ، وصِمَّةِ الاعتقادِ . »

وفإذاحصلت هذه الأفعال المخصوصة تسمى صلاةً . ونحن مشغولون بهذه أينها توليّنا فتُمّ وجه الله ، وترانا مجتمعين في جميع أوقاتنا ، ولا نَشتغلُ بأذِيّة أبناه جِنسنا ، مع قيامِنا بمصالح الإخوانِ ، وقعودنا عن الشَّتْم والمفسدة ، وهذه خصائصنا ، فلسننا عتاجين إلى شيء مما ذَكر تم وافتخرتم به علينا . »

فلما فرَخ زَعيم الطيورِ من كلامه ، نظر الملك إلى جماعةِ الإنس الحاضرين وقال : « قد سَمِعتم ماقالَ الطير ، وفَهمتم ما ذَكَرَ فهل عندكم شيء آخر ُ ؟ فاذكرُوه وَيَيْنُوه إِن كنتم صادتين . »

فقام عند ذلك العِراقِيُّ وقال : الحمد للهِ خالقِ الخلقِ ، وباسطِ الرَّزقِ ، وسابغ ِ النَّم ، الذي أكرَمنا وأنم علينا فىالبرَّ والبحرِ ، وفَضَّلنا على كثيرِ بمن خَلقَ تفضيلاً . »

« نَّم أَيها الملكُ لنا خِصالٌ أُخَرُ ، ومناقِبُ ومواهِبُ وكراماتُ ، تدلُّ على أننا أربابُ لهم وهم عَبيدُ لنا ؛ فن ذلك حُسنْ لباسِنا ولينُ ثيابِنا ، وسَثْرُ عَوْراتنا ، ودِفْء عظامِنا ، ومحاسِنُ زينتنا من الحريرِ والدِّيباجِ والْخَنَّ والقنُّ والقطْنِ والكتانِ ، وألوان الفراء والأكسيةِ من البُسُطِ والخَادُّ والفرُّش وما شاكلَها ، ثما لا يُمَدُّ كَثرةً . وكلُّ هذه الموااهِب دليلُ على ما تُقانا بأننا أرباب لهم ، وهم عَبيد لنا ، وإنَّ خُشونة لباسها ، وغَلَظ جلودها ، وسَمَاجة دِثارها ، وكشف عوْداتِها ، لدليلُ على أنها عَبيدُ لنا وَنحن أربامِها ومُلاً كها . ه

فلما فرغَ الإِنسِيُّ العراقِیُّ من كلامه . نظر الملك إلى طوائف الحیوانِ الْخضورِ وقال : ﴿ مَاذَا تَقُولُونَ فِيهَا ذَكْرَهُ وَافْتَخْرَ بِهُ عَلَيْكُم ؟ إِنْ كَانَ لَكُمْ جُوابِ ۖ فَأَتُوا بِه . » قالوا : ﴿ لِنَا جُواب ۗ أَجُودُ وَأَحَكُمُ مِن ذَلِك » وقام بعد ذلك زَعيمُ السَّبَاعِ وهو كليلةَ أَخُو دِمْنةَ فقال :

« الحداثة القوى العلام ، خالق الجبال والآكام ، ومنشئ النبات والأشجار في النياض والآجام ، وجاعلها أقواتاً للوحوش والأنمام ، وهو العلى الأعلى ، خالق السباع ذوات البأس والشجاعة والإقدام ، ذوات الزنود المتينة ، والمخالب الحداد ، والأنيات الصلاب ، والأفواه الواسمة ، والقفزات السريعة ، والوثبات البعيدة ، المنتشرات في الليالي المظلمات للمطالب والأقوات ، وهو الذي جمل أقوانها من جيف الأنام ، ولحوم الأنمام ، متاعاً إلى حين ، ثم قضى على جميعها بالموت والفناء ، والمصير إلى البلي ، فله الحمد على ماوهب وأعطى ، وعلى ماحكم به الصبر والرصار .»

ثم التفت زعيم السَّباع إلى كافة مَن هناك من حُكاء الجن وزهماءالحيوانات وقال : « هل رأيتم ياممشر الحكاء ، أو سمتم ممشر الخطباء أكثر سهواً وغفلة من هذا الإنسى ؟ » قال الجماعة : « وكيف ذلك ؟ » . قال : « لأنه ذكر من فضائلهم حسن اللباس ولين الثياب والدثار »

ثمقال: «أيها الإنسى اخبَّرنى هل كان لكم هذا الذي ذكر تموه وافتخرتم به إلابعد ما أخذتم عن غيركم من سائر الحيوانات، واستمرتموها منسواكم من السباع وغلبتموها عليها؟ » قال الإِنسى :« ومتى كان ذلك؟ » قال : « أَلَيْسَ ٱلَّيْنَ مَاتَلِبُسُونَ وأُحسَنَ مَاتَزِيُّنُونَ بِهِ مَنَ اللَّبَاسَ وَالْحَرِيرِ وَالدَّيباج الإبريْسم . ، قال : ﴿ بَلِّي . ، قال : أليس ذلك من لُماب أضعف الحيوانات؟ بل هي من جنس الهوامُّ ، وقد نسجتها على نفسها ليكون حصْنا لها ، ولتنام فيها ، وتكون لها غِطاء ووِطاء ، وحِرْزًا من الآفات والحرُّ والبرد ، والرياح والأمطار وحوادث الأيام ، ونوائب الزمان ، فجئتم أنتمْ وأخذتموها قهراً وغلبتموها عليها جبراً وجوْراً ، فعاقبكم الله بهــا وابتلاكم بفتلها وغزلها ونسجها وخياطتها ، وقطمها ونطريزها وما شاكل ذلك من العناء والتعب والشقاء الذي أنتم به مُبتلون ، فلا راحة لكم ولا قرار ، ولا سكون ولا هدوء في دائم الأوقات . ،

﴿ وَهَكَذَا حَمْمَكُمْ فِي أَخَذَكُمْ أَصُوافَ الأَنْمَامُ وَجَلُودُ البَّهَاتُمُ وأَوْبَارَ

السّباع وشُمورَها وَرِيشَ الطيور ، كل ذلك أخذتموه قهراً ، ونزعتموه غصباً ، وغلبتموها عليه ظلماً وجَوْراً ، ونسبتموه إلى أنفسكم بغيرحق ، ثم جثم تفتخرون به علينا ، ولا تستحون ولا تستبرون ، أقول تولى هذا وأستنفر الله لى ولكم . »

فلما فرغ زعيم السَّباع من كلامه قال حكيم من الجن : وصدق هذا القائلُ فيها قال . » وقالت الجماعة كلها : وصدق الله الحكيمُ فيها قال » فحجلت جماعة الإنس عند ذلك ، ونكست رموسَها حَياه وخجلاً مما سمت من التوبيخ والتعريض ، وانقضى المجلس ونادى مناد : «انصرفوا مُكرّمين لتعودوا غداً آمنين مُطمئنين . »

ولما كان الفد جلس الملك مجلسه ، وحضرت الطوائف كلها واصطفت ، فنظر الملك إلى جماعة الإنس وقال : « قد سممتم ما جَرَى وما ذكرتم ، وسممتم الجواب عما قلتم ، فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم بالأمس ؟ ، فقام عند ذلك الزعيم الفارسيُّ وقال : « نعم أيها الملك العادل ! إنَّ لنا مناقب أخر ، وفضائل جمةً ، وخصالاً عدةً تدلُّ على صحة ما نقول وندعى . » قال الملك : « هات واذكر منها شيئاً . » قال : « نعم . » مقال : « نعم . »

« الحمد لله الذي اختَلفت الْحُـكَاء في أسمائهِ ، واتفقَت في وُجودٍه

وقدَمِه ، الذي أوْجد الخلائق بَقدْرته ، وخصَّ من ينهم آدمَ وأولادَه برحمتِه ، وشرَّفهم تشريفاً بخِلْمةِ الإيمانِ ولباسِ الكرامةِ من بين سائر الحيوانات ، وألهمَهم طريق الهُدَى ، كما قال تمالى : « وَلقد كرَّمْنَا بَنِي آدمَ وَجَلناهم في البرُّ وَالبَحْرِ ، وَرَزَقْناهُم من الطَّيْبَاتِ ، وَفَصَّلناهم على كَثِيرِ بِمِّن خَلقه وَصَفْوَةِ أَنبيائهِ على خَيْرِ خَلْقهِ وَصَفْوَةٍ أَنبيائهِ عَلَى خَيْرِ خَلْقهِ وَصَفْوَةٍ أَنبيائهِ تَعَمَّدٌ وَآلِهِ . »

« أمابمد ، فاعلم أيها الملك أنمناً الملوك والأمراء والخلفاء والسَّلاطين ، وأن مناً الرُّوساء والوُزَرَاء، والكتأب والمالَ، وأصحاب الدواوين والحجَّابَ والقوَّادَ ، وخدَمَ الملوك وأعوانَهم من الجنودِ . ومناً أيضاً التُّجارُ والصُّناَّعُ وأصحاب الزَّرعِ والنَّسْلِ . ومنَّا أيضاً الأشرافُ والأغنياء وأربابُ النُّمرِ وأصحابُ المروءاتِ . ومناً أيضاً الأدباء وأحلُ السلمِ والورجِ وأهلُ الفضل ومنآ أيضا اُلخَطباه والشعراه والفصحاه والمتكامونَ والنحويُّونَ وأصحابُ الأَخبَار ، وَرُواة الحديثِ والقرَّاهِ وَالْعُلمَاهِ وَالْفقهاهِ وَالْقضاةُ ، والْحُكَامُ وَالعَدُولُ ، وَالمَرْخُونَ وَالحَكَاءِ وَالمهندسونَ وَالمنجِّسون ، وَالطَّبِيمِيُّونَ وَالْأَطْبَاءِ ، وَالعرَّافُونَ وَالكَّهَنَّةُ وَالْكَيْمِيائَيْوْنَ ، وَأَصَّابُ الأَرْصَادِ وَأَصْنَافُ ۗ أَخْرَ يَطُولُ شَرَّهُمَا ، وَكُلُّ هَـٰذُهُ الطُّواثِينِ وَالطبقات لهم أخلاق وَسجايا ، وَطبائعُ وَشمائلُ ، ومناقبُ وَخِصالٌ حسنة ، ومذاهب عبدة ، وعاوم وسنائع حسان مختلفة مُتَفَنَّنة ، وكل هذه لنا وغير نا من الحيوانِ بمن الم عنها . فهذا دليل بأننا أرباب لها وهي عبيد لنا . وفي الجلة توامُ العالم وبقاؤهُ بِنا وبو جودِنا من غير شك من غير من ك

فلما فرغ الفارسي من كلامه أعبب القضاة وجميع الحاضرين . وقال الملك : « اَلآن حصحص الحق ، وصدق الله الذي فضل الإنسان على الحيوان وعلى كثير من المخلوقات الأخرى . فيأيها الحيوانات أتم أعوان الإنسان فأطيموه ، ولا تمصوا له أمرا ، ويا بني آدم أنم سادة الحيوان فماملوه بالرفق ، ولا تمتدوا إنَّ الله لا يحبُّ الممتدين . »



معجم الكلمات الصعبة وهو مرتب بحسب ترتيب الدروس

ممناها	الكلمة	الدس	ممناها	الكامة	الدرس
خرج منه الى دين آخر	صبأ عن دينه		المنظر السار	البهجة	١,
بساط من الأديم أى الجلد	النُّطع		أى يحيدون عن الحق	البهجة يعلون	1.0
الخوض فىأخبار الفتن	الإرجاف		فيشركون مع الله غيره		٠,٠
ونحوها			اللاستقرار عليها	قرارا	
نقصد ونديم القصد	نصمد		فيما بينها	خلالها	
هام على وجهه: سارعلي	تهيمون		الجبال الثابتة	الرواسى	
غيرهدى وهامبها أحبها			الضرأوالجور	السوء	
الكاهل وما بين السنام	الغارب		قبل	بین یدی	
والعنق. واذهبي حبلك على			النرض من الرحمة هنا المطر	رحمته	
غار بك أى الىحيث شتت					
جمع شِاو وهو المضو	أشلاء		عابسا	ساها	۲
خلوا وأنفسهم	خلصــوا الى أنسم		تهادی فی مشیته : تمایل	تهادی	13
نرغم على اتباعه	نرادعلىدن		وتباطأ	1	ブロ
لمحه ببصرها ختلس النظر إليه	لمحهم		الأصل	النّجار	1
النوم			عوناً لهم	للهير أللمصركين	

معناها	الكلمة	المدس	معناها	الكلمة	الدرس
السترة والبيت	الكنّ		ثقب البيت وجعه كُوَّى	الكُوّة	
تُشمِل وتُوقد	تذكى		طفلت الشمس دنت لغروب	تطفُل	
			انتصروا وغلبوناعلىأمرنا	ظهر واعلينا	
عقبها	أدبار الصاوات	٤	جمع طَلَل وهو ما يتي	الأطلال	
آرسل	أنفذ	کا کرم	من آثار الديار		
بسبب مادی		5.	العبوس لشدة الحزن	الؤجوم	
التراب	الثرى	4 6	دَلَفَ اليه يَدُلِفُ=أسرع	دَلَفُوا	
ذهب وانقطع أثره	تلاشى	30	الاختلاق والادعاءزورا		
أمسكت وامتنعت	أضر بت		أسرع	خن	
۶, ۰	1,5		خضع	عنا	
نحیا ونُب ت از در د		0	ساعة البمث والقيامة	الساعة	
آلم ونزل العطف وسكّن للشعر	عرا ا تل دَب	با الرة	كانت لهم الغلبة	علبوا على أمرهم	
اللدات والنظراء مفرده	الأتراب	1	عنفوان شبابهوترعرع فتوته	37 5 No. 1	۳
عمد وسود سود رترب	١٠٠٠		الأبي الذي يأبي الضيم		100
رِرب المطية والمروف	المارفة		الوبى الذل يابى الصليم المهانة والذلة	- 4	2.
ما يمتحن به الانسان	المارقة				
			لا يعملون بمقتضاه الادمار الروادة		
من بلية الت	1 (1-1)		الاختبار والبحث الدقيق	_	
القدر	المقدار		منزلة رفيعة	خُظوة	

معناها	الكلمة	٢	مبناها	الكلمة	ç
ta 2					=
تىمو"ل				أراده على الأمر	
البخيل الضيق الخُلُق	اللِّحز	وأثرما في ا	لا تحتقر	لآزدرى	
ومثله اللحز		5	أحيت	أنشرت	
الأمرالحام	الخطب	3	المراد بها صلات المحبة	الشرا	
لا تنكرها ولا تمتنع			واحدها تحروة		
من سماعها			دافع	ذاد	
تغريدها أى غناءها	غَرَدالأطيار		جمع ذِروة وهي أعلى	الترا	
بصوت مطرب			الشيء		
ألا يبالى الانسان ماصنع	المجون		أبطأ	ونی	
ملكت	أودت		قام بأمره	كفله	
کف عنه	المجون أودت أنلع عرالهي،		الحمار الوحشى	الفرا	
			الشجر الكثير الملتف	الغيل	
شجرة تتخذمنها القسى	النبمة	٧	مكان بجانب الفرات	الشرى	
ومن أغصانها السهام		عان	يضرب بآساده المثل		
عترةالرجل نسلهو رهطه	المترة	4	الفقر	العدم	
الأدنون		تلوطي		,	
البمد والنفور	النبوة		باردة أو مستقرة والمراد	قريرة	,
		1			
ينصرفون	يصدفون		فرحة مسرورة		

معناها	الكلمة	الدرس	سناها	الكلمة	الهرس
النظراء	الأنداد		صف العبقرى وهو	العبقرية	
يساونهم	يطلونهم		الكامل الذي ليس		
القليل	النزر		فوقه أحد	1 1	
حزينة والبال القلب	كاسفةالبال		فى الأصل الخد والمراد	الديباجة	
الفقر			هنا مقدمة الموضوع		
الدمع المترقرق الحائر	المترقرقة		ومفتتحه		
الذي يجىء ويذهب					
في الْخُملاق			غير مجربة		٠ ئ
جع رُزه وهي المصيبة	الأرزاء			يستفزها	
أخافه وأزعجه			عادت فی الطریق الذی		
أغزل		_ :	جاءت منه القلق والإشفاق		
		- 1	الفس والمسفاق المستان	_	
ماكان على التم من النقاب ما تتأنى = لا تبطىء	اللثام	5			1
	ما بابی البغی		يتتبع المرتمشة	يترسم المرتمدة	
1	البعى سَبطالبنان		المرتفسة وقف ساكناً ساكناً		
سحی الید فصیح المقال قوی الحجة)		وقف منا كنا منا كنا يتساقط بكثرة		
عظمة في حاوق أعداثه					
			جمع مَرْج وهو مرعى السا	المروج	
الفحل والسيد	الفرم		الدواب		

معناها	الكلمة	المعرس	معناها	الكلمة	الدرس
التحمس وشدة السورة	الانتزاء		أشد للتخاصيين خصومةً	ألد مُلِد	
الشجرالكثيراللتفمفرده:	الأيك		المسائب مفرده غاثلة	النوائل	
أبكة وهى الشجىرة أو			حمله على أن يرغو أي	أرْغَى بعيره	
النيضة أي الأجمة			يصوات		
تنفجر فيخرج منها للاءبقوة	تنبجس		الحقيقة الذاتية والنهاية	l .	
شدة برده	كلب الشتاء		المهلك القتال		
الصفات ، مفرده : مِمَة	السمات		لا تُشْنَى	لا تُصاب	
العلامات مفرده : شِية	l .	1	بتؤدة وتدبر	1	
أخلاط من الطيب فيها	المبير		السخى الكريم	الجحرق	
الزعفران	ı		أنا بنام الأنام	<u> </u>	
الرائحة المنتشرة			أظهرتزيتها ومحاسم شدة الحياء	1	ł .
الراح الحمر	1			I ~	
جمع ورقاء وهى الحامة	i .	1	النعم ، مفرده إلى و إلى نته المرية كري		
متدلية	مهدلة		فِتْح الْهُمْزَةُ وَكُسُرِهُا فِيهِمَا وَأَلُوْ	1	
الجانب	البطف			1	
11%			منثور الدر الليالان		
يغالب ااداا تراا	يراجح المألاد			1 .	
المفالبة والسعى ان	الطارب	13	الناع اللين من الناس والغصون	لاماود	
الغنى	الاراء		والغصون	1	

ممناها	الكلمة	ري <u>ال</u> ح	معناها	الكلمة	الخوس
جعَله أميراً عليهم	عقد له على جيع العرب		المقة	المناء	
أصلمعناهاالتىغلب بياضها	الشهياء		العجز والضمف	المعجزة	
على سوادها من الخيل	1 1		أضعفوا وأثقلوا	أضنوا	
وغيرها وهو وصف غلب			الطرق والمسالك الواضعة	المناهج	
على إحدى كتاثب الجيش العربيــة	1		الطريق	الدرب	
المراد القيود	1 .		ما أخلقه وأحقه		1
أفتأتى السجن بالليل	أفتُد لج على "		مُدِيم	مدمن	
يقضى حولاً أي سنة			دخل	L	
الأسنان الأربع فىمقدم	_		تهيّب الأمر خافه	,	
الفم مفرده أنبيّة			تنزِله = تمنحه منزلا	تبوئه	
يفنيهم ، ويكفيهم			الشرف والسيادة	السؤدُد	
			الموت	الحمام	14
	تنتحى العيال		حش عظم		
محو أصلها الذى عنه نشأت	شطر معدتها	13.	فرس أو غيره في لونه		المالم
الطريق الواضح	المج	اطيع	سواد وبياض	1	,
إلى الأمام	رر قدما		أولاه الذل وأرغمه عليه	1	
كل لون يخالف ممظم	شية		ققد الواد		Į.
ا لون الفرس وغيره			تأسر النسل		1
	ī	ı	11	1. 3	I

معناها	الكلية	الدرس	معناها	الكلمه	ي الدرس
تساقطت	تداعت		النازلة تصيب الانسان	الغائلة	
النظر بدقة	التحديق		من حيث لا يدري		
اطمأنوا	استناموا	17	بريق		
الصوت المفزع المخيف	الهيمة	البدو و	جع غُول	غيلان	
الصادر من عدو	_	14	: 1/11	,	
غافلون		1	جمع لُحد وهو المكان	l i	10
حاميهما	أبى مثوأهم		الذی یدفن فیسه المیت داری الت		س القرامنة
اعتزالهم	انتباذهم		داخل القبر	أجداث	۵.
القليل من النوم وغيره			جمع جَدَث وهو القبر		
جمع قَتَبوهوالإِكاف			جــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		•
أى البردعة الصغيرة على			متوغل في البمد	1	
قدرسنام الجمل			منوس می ببعد الخیال	1	
واثقين بقوتهم		1	عيان جزءاً منه	1 1	
الطرق المشروعة أى	_		برو. س صفر	ناریخهــا تضاءل	
النفتحة الستقيمة			العَجَب		
التي تمودت الصيد	الضاديه		متمكن منه وآخذ منه		
مى سورك مسيد وأولمت به		ユ	بأسباب متينة	1	
روست. السلاح والهيئة		in ellalen	H ,		

معتاها	الكلمة	الدرس	معناها	الكلمه	الدس
المحمَّل الفرس الثالث في	تحليل		المجوزالتي خالط سواد	شمطاء	
الرهان إن سبق أخــذ			شعرها بياض		
وإن سُبق فما عليه شيء			يكشف		
الذي في جبهته بياض قليل	الأغر		تجمل القليل سادةً	تسودالقليل	
الفرس الذي في قوائمه	المحجل		الفضائح مفرده : وَ ْ يَلَّةُ	الويلات	
أو في ثلاث منها أو في			. /.		
رجليه بياض لا يجاوز			الكبر والفخر	_	-
الركبتين			عظم الذُّنب		
أحد الأبراج السياوية	الجوزاء		الجلد أو ما كان من		
. ت فی صوته ترنم مطرب	هزج الصوت		أحمر أو مدبوغاً		
هو معبد بن وهب كان إمام	l .		أول الصبح		
المنين بالمدينة ذاع صيتهفي			جعحثيث وهو السريع		1
عهد الدولة الأموية وتوفى			ضامرة ، من لحق كسمع	لاحقة البطون	
فی عهد الولید بن بزید			أى ضئر	1 .	
ضرب من الأننام	القيل الأول		دقيقة الأسنان	قباءالأسنان	
اختفيت فيه	كبنته		حرف الورك المشرف	الحجبة	
الجلد ما لم يدبغ	الإهاب		على الخاصرة		
الشية كل لوّن يخالف	الشيات		إسراعها	وضعها	
ممظم لون الفرس وغيره			إسراعها	رفعها	

معناها	الكلمة	الدس	معناها	الكلية	الدرس
المخلوطـة باللبن المضير	للرقة للضيرة		الوكر	الوكن	
أى الحامض			جع لهاة وهي قطعة لحم	اللهوات	
نزل بهم وذهب اليهم	ألم بأحله		مطبقة في أقصى سقف		
صدركل شيء أوله	صدر اليوم		الحليق		
الراجل ضد الفــارس	الرَّجْل		حدا الابل يحدوها أي غني	الحادى	
والجمع رجل أى ماشون			لها ليستحثها على السير		
على أرجلهم			ارتفاع ما بين كتفيه	إنىراف كاحة	
بساطمن ألجلد المدبوغ	النُّطع		المطر الشديد	الوابل	
الذليل	الأضرع		جمع مزنةوهي السحابة البيضاء	المُزن	
مفرده : مِخْرَاقْ وهو :	مخاريق				
السيدوالسخىوالحسن الجسم			رادالكلأ وارتداه ذهب		
			فى طلبه، وارتبادا لأمكنة		بأد يفداد
			كشفها وتبين أحوالها		3
	الأفرع			الصراة	
الأبي الذي يمنع ظَهرَ			الزاد والذخيرة	الميرة	
اصلخدًّ=ارتفع ووقف	المُصْلَخِدُ				
مستقيماً وهــــذا دليل			المَير الحار، والمِير الإبل	المير	11
على القوة			التي تحمل الميرة أمطرته		المثال
الفحل والسيد	لقرم		أمطرته	أخذنه السهاء	ا يو

ممنياها	الكلمه	الدرس	ممناها	الكلمه	المدس
الكريه السريع		40	البراثن للسبع كالأصباء	براثته شُثْن	
ڪڙ ۔	عدا	2.	للانسان ومخالب الأسد		
أىكالمبرد فلايكون حادًا	مبردا	14 M	مفرده ُبرْشْ ، والشتن الخشنة الغليظة		
قطعة في السهاء واسعة تشبه	-		رضها، والأشداق: جمع		
المكان للتسع من النهر			شِدْق وهو جانب الفم	1	
المكان الذي يورد للستي	المورد		11 1		
ما ظهر من نواحي الفلك	الأفق		الترس تتتى به الطمنات		
الصحيفة	الطّرس		بكسر الطاء وفتحما	المعطِن	
الصوت		l	المناخ والمأوى والمورد		
صوت السيف	-		حول الماء	l .	
ر رجع الصوت			جمع ُعلاق وهو باطن	حماليق	
ر.ع			جفن العين الذي يسود		
الماهة والنقيصة	الآفة	۲٦	بالكحلة		
الحصلة	انكلة	الم	السيوف القاطمة	الفضبالبتر	
المتسرع الأحمق	الأهوج	1.0	الفلاة	الدهناء	
الحليم الرزين	l .		مائجنتي	اكجنى	بر دالم.
الفصيح	1	1 .7	لا عجب	لا غرو	45
الذي يكثر من الهذيان	المهذار				امام م
فى كلامه					12.5

ممناها	الكلمة	الدرس	ممناها	الكلمة	ناري
خوفها			الذي لا يُبين في كلامه		
بلاء واختبار	غنة		ومثله : العَيُّ		
إعانها	تجدتها	اية السف	أهل الخير والمعروف	الأخيار	
1 .1 11 1 11	- 1	٠,	مقابلة واحدة	لُقيةً واحدة	
الحوارى الساحر أو ناصرالأنبياء	حوارئ	79	تفرقت حمه فلا يفرغ	ذهب قلبه شعاعا	
-		اء معاور	لابرام أمرمن الأمور		
علاه صنياء وجمال وبهاء			لم تضعف ولم تعجز	لم تَعْیَ	
الذي يرقب النجوم			الاختبار بالممائب	الابتلاء	1
الرّبق حبل فيه عدة عُرى	رِ بق	3	يقطع	يحسم	
يُنَدَ مهالبهم كل عُروڤر بقة ومُشْناته قواه وطاقنه			قبحته	یحسم مجّنته	
ومصابه طوه وعامله جمع خرید أو خریدة أو	خرائد		هجم بادئ بدء	تورد	
حرود وهيالبكر أو الخفِرة			Li: diala		
الطويلة السكوت الخافضة			الدراه المضروبة والجمع	الورق	*Y
الصوت المتسترة	1		آوراق ووراق	1	اق مالية
ظاهرات			الدراه تضرب على حديدة		
ترك الزينة	حداد		منقوشة نسمى السُّكَة		
الجاعة من قوم شتى	القبيل		تَخلق وتأخذ في الفناء	تبلى	Y.A
الذي يسير ليلا	المدلج		السفينة تشق الماه بجماحيها		
العِيّ	الفهاهة		أو يسمع صوت جَرْيها		

معناها	- 1/11	ç	اما :	الكلمة	ç
(ACIAA		_	ممناها	الكلية	<u>-</u>
تزين وتمحلًى	بر توشح	٣١	هو حاتم بن عبدالله الطائي	الطائي	
التبرم والاغتمام	الإضجار	× ×	کان جواداً شجاعا شاعراً		
السآمة	اللالة	יי פֿעלה	مظفراً يضرب به الشـــل		
الوحي: الإشارة، والمراد	وعىالملاحظ	2	في الجود	.1	
من الملاحظ العيون		3	رجل من بنی هلال	مادر	
رديثا ساقطاً	هذرا		يضرب به المثل فى البخل	٨.	
النافذة	الثاقبة		هو قس بن ساعدة الإيادي		
ينشق ويتسع	ينفثق		كان من حكماء العرب يضرب به المثل فى البلاغة		
نخرج معهم لنودعهم			• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •		
ونبلغهم منأزلهم			رجل من إياد وقيل من	باقل	
مسافرون	سفر		ربيمة يضرب به المثل		
أسكنهم ونمكنهم	أنبوتهم		في العي		
قبورهم			الصهباء الحمر أو المصورة	صهباء	
آفة سماوية	جانحة		من عنب أبيض اسم لها كالعلم	55 g	
حُسنی لهم وخیر	طوبی لهم		تقلب		1
وعيش طيب	,		الراووق المِصْفَاة		
الذى يطاب مته الرضا	المتعتب		والباطية والكاس	1 - 1	
أفرطت في تيمك وجُرأتك			تمزج	1	
لاستعظامك فعلك			نزلوا من عَل	تصو بوا	

معناها	الكلمة	الخدس	معناها	الكلمه	الدي
المطاء والمنفعة .	الجدوى		تهييج الشر	الشنب	
الرأس	المامة		أَحْكِمَنُ قَالَ أَبِرِم		
المطاء	النائل		الأمرإذا أحكته		
الوجه	الحيا		تتبع أفراد الأشياء لمرفة	الاستقراء	44
ذو المقل الراجح	الأرب	44	أحوالها وخواصها المثل والنظير		التمرتون
السُّمة في الرزق			الدفاع		
يجعله مهادآ	يمهدالثرى	1	بيناع جمع مهجة وهي الر [‡] وح		
يطلب الاحسان	یستندی الا کف		به عب وی تروح تحملی للابتلاء	_	1 1
me	ئىيد		الكمايةوالاضطلاع بالأمر		
القليل من النوم	الغرار		ذهب عنه ما ألم به من	1	
ينظرها بتأمل وثثبت			ه أوحزن الم	1	
الحاجة			جمصلة وهيالمنحة والعطية	f	
عناء وتعب			سَله من غمده	1	34
مصيبه			نبا السيف عن الضربة		
الفقر والحاجة			كل ولم يقطع		Il al
	وَسُم هوان		أفلق الشاعر أتى العجيب		۳0
الاقتصاد			يُطلَب معروفهم وعطاؤهم	1	1
قوة	يدان		, ,		13

معناها	الكلمة	الدرس	ممناها	الكلمة	و
البعيدة			جع غُل وهوطوق من	الأغلال	
إبان الشىء وقته	إبان		حديد يجمل في المنق		
الشِّعر	القريض	49	الزيادة ، وكل مازاد	النيّف	**
تفيض	تتيه		على المِقد من العدد		4
المُجْب	الزهو		ممروفةدرسها الباحثون	مطروقة	4
الرائحة	الشذا		الضيف	النزيل	
غنت	رنَّت	٠	لم يبعد	لم يغرب عنهم	
مفرده خميلة ، وهي الشجر	الخائل		الحجارة، والمرادهناالشلال	الجنادل	
المجتمع الكثيف أورمسلة			الفسادوالمرادفسادالعقل	الخبال	
أتنبت الشجر	. i		متعبدا	متنسكا	
تدانت : تدلت واقتربت من الأرض	تدانت		مدعيا متكلفا	متصنما	
الرغبات والمقاصد	الرغائب		الرعية ، وهي كلة لاتتغير	السوقة	44
النوم وأصله الراحة	السبات		فتستعمل للمذكر		الرخلاة
حط من قدره	أزرى به		والمفرد وغيرهما		الرحلات في الاسلام
بَسَقَ النخــل يبسُق	الباسقات		يذهبون للكشف	يرتادون	2
بسوقاً طال			قائة يمكن الاطلاع عليها	ماثلة	
التراب	الثرى		مخلوطة	مشوبة	
تجوس خلاله	تعيث به		الجهات البميدة	الأصفاع البائية	

معنياها	الكلمة	المدرس	معناها	الكلمة	الهوس
جامعات لشتى الحوادث	حافلات		السور	السياج	
جع راو وهو من يروى	الزفواة		الميول والاتجاهات النفسية	النزعات	
الأحاديث أى ينقلهـا			الحطام أى البقايا المفتنة	الرفات	
التواضع لله	الإقنات		الخفيف في الحاجـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	الندب	
تنمايل وتبطئ فى مشيها	تهادي		الظريف النجيب		
مزين	مطراز		ذهب خالص		
الظلام	الدُّجي	l	الأصول		1
•	,	l	المدفون المختنى		i .
جع سار وهوالسائرليلا	السراة		الأطباء ، مفرده : آس	الأساة	
القوى المأهر	_		نكث العهد أوالحبل نقضه	نكثوا	
الفصيح القوى الحجة	المدره		ذهبت آثارها	دارسات	
الماء الجارى الصافى	المنميو		اللمعان الخني	الومض	
الموافق المناسب	المواتى		المضطرب من الخوف	المفزع	
أهلكت وتوهمت	أطاحت		أجابت الدعوة	لبتّت	
جمع نَدَبَةٌ وهيأثر الجرح	الندبات		مسرعات	مهطعات	
الباقى على الجلد			طائمات ذليلات	صاغرات	
نممه الظاهرة ، وآلاء	مجالى آلائه		تحض، وتستحث الخطا	تستحث	
جِم إِنَّكُ وَأَلَوْ وَإِلَّى			أى تسرع في السير		

ممناها	الكلمة	لدرس	معناها	الكلمة	٩
جمع حَزْن وهو ما غلط من	الحزون	-	الواسع الخلق، وأخذته	الأرتجي	_
الأرض وكثرت أحجاره			الأريحية أى ارتاح		
نوع من الطيور ؟	السنونة		للكرم		
بفتح الشين نوع من الصقور	الباشق		أغرزها في الأرض		3
من بعد المصر إلى	الأصيل		البرد		3
الغروب			الْيَطْهَرَةُ أَى الآناء	الإداوة	
ما ارتفع من الأرض	النجد		يتطهرمنه		
الصمود	المرَّتَقَى		ما يملق عليه الثياب	المشجب	
ما انخفض من الأرض	الغور		القاتلة	الضراب	
وغوركل شيء قمره			أخبطبها	أهش بها	
قاسينا	كابدنا		المقاصد، مفرده مأرّبُ	المآرب	
ره جمع تنبة وهي أعلى الجبل	الْقُانَ		سارة مفرحة	مبهجة	13
الحد الفاصل بين بلدين	التُّخم		اعتمدت ، وعول عليه	•	20
السيرليلا	الشرى		استمان به		نقاط
		1	حوَّله عنه	صرفه عی الشیء	1-
أتعبه وأجهده	أضناه تا		على استعداد له	على أهبة السفر	41
ينقص شيئاً فشيئاً	يتقلص		هو منالجبل شاخصكاً نه	اڭيد	
قشر وقشط معنی میرون است	0 -		جناح وحب ل کلشی،		
النَّقرة في الجبل	القلت		ما شخص من نواحیه		

معناها	الكلمه	الدس	معناها	الكلمه	الدرى
سكت أوأرخى عينيه	أطرق	1	مفرده نجم وهو من	الأنجم	
ينظر إلى الأرض		التخلص	النبات مالم يكن على ساق		
وقف أمامه	مثل مين يديه		مرث الشيء : ليّنه	مرثت ً	
اسرق	اختلس		سعت الحجر كسره	سَحَن	
هرب	أبق		والخشبة داكماحتى تلين		
			مُعْطَى	مطبقا	
فتحتها	فضضتها	٤٤	من يصيدبالحبائل	الحيابل	
يسجب ويسر	مُونِق	3	من يصيد بالنبال	النبابل	
القبح	الدمامة		البوصلة	الحك	
الإِحَابِ أَى الجِلد	السَّلَب		الديار	الربوع	73
امتنع عن أكله	أباد		الستر	الخيدر	4
تركه وزهد فيه	عافه		المكان الذي كان به أهله	المغنى	ellalq
ڪرهه	قلاء		جمغ غِطريف أوغِطراف	عطارفة	
البرسيم أو نبات يشبهه	القت		وهو السيد الشريف		
ترعاه الماشية			والسخى السرى والشاب		
ما يقدر للانسان فى كل	الوظيفة		السُّرى السير ليلا ، ومد	الشراء	
يوم من طعام أو رزق			لضرورة الشعر	l	
اللحم المقطع قطعاً مستطيلة	القديد		نم عليه وأوقع به	سَعى به	٤٣

معناها	الكلمة	الدرس	ممناها	الكلمة	الدس
المدير	القوام		جمع شـــفرة وهي	الشفار	
ميتعب بم			السكين العظيم		
نمزه بيده دلكه دلكا	يغيز		العين	المقلة	
يشبه النخس			حدقتها	إنسانالمين	
المفاصيل	الأوصال		الجله	الأدم	
الأخدعان عرقان في	الأخدع		نس نت	حصت	
الصدغين في موضع الحجامة			رائحةالشواءوالبخوروالقدر	القتار	
أى اليد المضمومة الأصابع	المضمومة		الحقد والمداوة والثأر	الدخل	
جلمها تصطك وتحدث صوتا	تنفت أنيابه		الشدة	اللأواء	
خرقت وأزالت	متكت		الفقر	الإعواز	
تحمل المشقة	تجشم		عظيم البطن	بطين	
لَعَزُّ عنه وانسه	تسلُّ عنه		من عامتهم	من عُمر فن الحكتاب	
_			الحدب بروز الظهر		1
حسن الحال و تمنّي مثل ما ناله	النبطة	٤٧	ودخول الصدروالبطن		
غيرك من غير ان تريد زواله		السرات			
وان تمنيت زواله فهو الحسد يره مرمور	11.10		رجع		-
تَفَعْلِنُ لَمُا		l	المراد: الحلاق	1 .	-
قول: لاحول ولا قوة	الحوقلة		تدخل المرء فيما لا يعنيه	الفضول	لواية
إلا بالله			الطريق	السبت	

معناها	الكلمة	الدس	معناها	الكلمة	ر القر
الدوح الأشجار العظيمة	دوح	الو عر	قول: إنا لله وإنا إليه	الاسترجاع	
الواحدة دوحة		الماذي	راجون		
عُطَفَ	حنا	وأيوا	فاأجْدَرهوأحَقَّهُ وأولى به	فأخرى	
عَطْف	وو. خنو	J.	راجموت فاأجْدَرموأحَقَّهُواْوْلى. سريماً السالى	وشبكأ	
عذبباردٌ سريع المرور	زُلاَل		1	0330	
في الحلق			فلا ينمطف ولا يرجع	فلا يَنْثَنِي	
الحمر	الكدامة		جع مَنقبة وهي كل ما يُفخّرُ	المناقب	
المجالس على الشراب	النديم		به من الصفات والأعمال	1 6 1	
و. يَفْزُعُ	'		حرقة القلب وألم من	1 1	
سَجِّمَتُ الحامة سَجِّماً	سُجْع		حبأو هَمُّ مرض	1	
هذَرت وصَوَّتت والسَّجْعُ			تلتطم وتضطرم وتشتد	1, ~ 1	
في الكلام مشبه بذلك			حَبُّنهُ	سويداءالقلب ا	
ا لتقارُب تواصله			حُزْ بِي وشدة ألِّلِي	وَجْدِي	
			تحجن	عي	
تخاصم وتشاثم		1	واطن	دخائل	
طُرَّبه وفَرَّحه			ادت وقويت	غت ا	
بَرِّح به الأمر تبريحاً	_	,			
آذاه إيذاء شديداً			حراق	الفحة ا	٤٨
لمشغول البال	لشجى		لأرض الشديدة الحرارة	الرمضاء أا	

معناها	الكلمة	الدرس	معناها	الكلمة	الدري
عَظیم	أثيث ِ		الخالى من الحموم	الخلي	
مرتفَيع م محسكم			عب ذی شوق وهوی	صب	
تخسكم	موثق		البقر الوحشي الواحدة مهاة		
أسد من آساد الشرى	لیث شری		مكان الاجتماع والمرادأهله		٠.
انصلت وأخكيم انصاله			الغِيـات الذي يقوم		ماوية وع
، جمع بُرُّئن وهي من السباع			بأمر قومه من طمام		1.8 1.0
والطير الذى لايصيد بمنزآ	,		وستى ونحوهما		16.0
الظفر من الإنسان			طالبی معروفه		i
			ذوى المروءة الأشراف	'	
جمع سيسب وهو المفازز	سباسب	٥١	الموسرين على من أصابه الضر	1	
أتين بنا إليك أ		1.5 14	وحلت به الفاقة	ł .	
رَجِعْنَ	صدرن ا		أتكبّر		
عَطاؤه ومعروفه	بره		قصر وهفا		
جمع تميمة وهى خرزة تنظم			شاك الله		l _
فى السيرتم يعقد فى العنق			الجران مُقَدَّم عنق البعير من		المقال
وتمم المولودَ تتمياً علقها عليه			مذبحه الى منحره فاذا برك البمير ومدعُنقهعلىالأرض	1	
جمع نُشْرة وهى رُقْيَة بِمالج	النُشَر		البعيرومدعه على الرص قيل ألقي جرانه بالأرض	1	
بها المجنون والمريض			والجع جُرُّن وأُجْرِنة	•	

معناها	الكلمة	الهرس	معناها	الكلمة	الهرس
توسَّل إليه بقرابة أو نحوها	مت إليه		جرأة للمرأة في تُكُسُّرِ	الدَّل	
جادت به	درٌّت به		كأنها مخالفة وليس بهأ		
ذلًّ وهان	ضرع		خلاف		
أحبني	بغانى		رحمة لك	ويحك	
الذلة	الموان		أجرأ وأشجع	أجْسَر	
قواما لأمر نظامهوعماده	قِوام		مال وحَنَّ	صَبَا	
النراخى والتباطؤ	التوانى		الفتنة والخديمة	التصابي	
قطمة من الجيش نحو	السرية	97	كثيرة سكب الدموع	منهلة	
أربعائة رجل				عُسْرَة	
ظهرت	لاًحت	أم المباس ابن	الهيئة والسلاح	البزة	
ما طردت وتبعت من		الأموز	علامةومثلهسياءوسيمياء		
صيدأو نحوه			زمناً طو يلا	1	1
طولهانحو خسة أشبار	ر خماسية القد		القادم	الوارد	
والمراد أنها قصيرة			استمررت		1
ما يشد به رأس القرية	الوكاء		الوســـيلة التي تخذها	سيبك إليهم	
الأصل والطبع			لمطفهم عليك	1	
لحق بمضها بمضاً		1	يخرب من السجن	فَتُطلَق	
أرسل	ء 5		مختفياً	1	

•

					-
معتاها	الكلمة	الحدس	ممناها	الكلمة	يوري
الوجه الذى ينويه المسافر	النوى		جع أمنية وهيمايتمناه	الأماني	94
من قرب أو بعد وهيمؤنثة			الإنسان وهو مستحيل		نقس کیوة
النازلة من نوازل الدنيا			أو في حصوله عسر		
	حُمُّ القضاء		يفرح ببلية العدو	(
نميتهم وتُذهبملكهم	َ مَرْ تَثُلُ عروشهم		ماعتحن به الإنســان		
أو عزهم			من البلايا		
تزيل وتممحى	ر " تعنی		نجا	أفلت	
ثقل عليه واشتد به			جائع		
الموت	الجمام		النصيب من الماء		
الدامية	الفاقرة			المظاهر تبالمداوة	
الملاك	الرَّدى		الأنفة		1
السقطةمن الهدة وصوت	الوجبة		الضفائن		
الساقط والمراد هنا:			المرة من المرض		ĺ
التجلبة والضوضاء					
ذى اللجّب أى الجلبة	1 '-		غتلط مضـــــطرب	مريج	٥٤
والصياح			الجبال الثابتة	الرواسي	Ihand
الراحة والاطمئنان			تحركت أو تمايلت	مادت	بن مادح
حليفه			مشرعالماءمورد الشاربة	المشرع	J
الأصدقاء	الحلفاء	(5,4)	أخاف،فَرِقَ بِفرَقَفَرَقًا	أفرَق	

سناها	الكلمة	ر الع	ممناها	الكلمة	ç.
الكاهل أو ما بينالسنام	الغارب		استخفاء، وكمون	استكان	
والمنق والجمع غوارب كذبه وباطله .	منانه		يقال موّه الخبر عليه إذا أخبره بخلاف ما سأله		
أىخره، والمراد المنطق المذب الساحر . المدفغثاءالدروالواحدة	سلافه أصدافه	عمر الوزير الم	والقصود هنا التضليل غَوى يغوىغيًّا وغوِى غوايةً أي ضلًّ		
مدنة والجع أمداف سفن فيها مراى نيوان ترمى بها المدو	حراقات	_9.	ضد البر والطاعة أىكامبرًاوالشَّدخ الكسر	المُقوق شادِخا	
يرى به المعدو مفرده : بَدْرة وهي الأكياس الموضوعة	ؠؚۮٙڔ		ترك نُصرته . عابَه . يجمع بدون تمييزولافهم	حَمَزَه	
فيها النقود . التّخت وعاء تصان فيه الثياب			مقلًد المبادة وكل حق لله تعالى	متبع النسك	
الفقر والبؤس شظايا جم ومفرده شَظِيّـة وهي فلقة العود والعظم	شغاايا الفنبة	٥٧	وقد نسك كنصر وكرم الخوص =ضيق فى مؤخر العينين أو فى إحداها .	تحويس عينه	
ومى قلمه العود والفلم والحديد ونحوها . ويقال تشظّى العودأى تطايرشظايا		المازات	تکبر حلّها وأقام فيها	شمخ بأننه تبوأ النار	

ممناها	الكلمة	المدس	معناها	الكلمة	الدري
القسّم لم تعسّب	لم تردزا		جمع ومفرده مخبأ . يقال خبأه كمنمه أى ستره		
إلى الأمام لا يترد يسقط			أى قد سبقتم . والشَّأو : السَّبق يقال : شَأَى القومَ		الم م
أى مكرّمة معززة قبيلتان منقبائل العرب وكانت الحـرب ينهما	عبس وذبيان		يشؤوهم شَأْوًا أَى سبقهم المراد به الحُمر أى عرفتم قيمة الرّمن	عصيراً تدرتم دنيقة المس	الريم
قائمة مدة طويلة أى تحتيلاها . والدَّيات جم ومفرده دِيَةُ وهي ما يدفع	حَمَلا الدّياتِ		وقدره فحرصتم على الانتفاع به المستحيل	المحال	
فِدْية وغراًمة للحرب الصوت الموج	الجرجرة الآذي	ومذ	جمع ومفرده صَرَّح وهو البناء المالى النــوم	_	
بانب النهر – وشاطئه قويتحتى أذرت التراب الطرق المسرة أو التي	العــبر أعنقت	السفن	أقسمت الأمرالعظيم نس		llKa-
تفوص فيها الأقدام مفرده: وَعْثُ	-		نزول تقلب وتحول متفرقة متعددة النواحي	تململ	

معناها	الكلمة	الدرس	ممناها	الكلمة	الدس
لم يُستبطأ	لم يسترث		الغليظ الشديد أو رمال	العفر	
1	زفًّت ْ		بالبادية		
الذاهبات في الأرض	العارقات		الدابة التي في قوائمها	الموقفة	
ولعل المراد المجاديف	•		خطوط سود	`	
صوت	نثيم		مفرده دأية وهو موضع	_	
الضفادع	الملاجم		الرحل من البعير والمراد أن ال		
متراكب بعضه فوق بعض	مكفهر		أن الموج جعل فى السفينة خطوطاً		
السحاب الأبيض	الصبير		برأس ثور وحشى مسن		
جمع شماء وأشم وهو المرتفع	الشم		و يعنى بذلك مقعد الربان		
جمع قنة وهي القلة أو القمه	1		فى السفينة		
أى أعلى الجبل			تنتحى		
جمع ريد وهو الحرف الدة عما الما			رفع		
الناتئ من الجبل			مقدمها والهادي في الأصل		
صَلِیَ النار قاسی حرها ناساد دا:		•	المنق الماد منه اللات	1	
نار بلا دخان		1	المراد منه الملاح	حديد عرج اح جونة	1
جمع غمر وهو الماء الكثير ا		1	سود. نبارى في السرعة	1	1
الزيت •		1	- 11		1
ئيہ	عتيد		سود الخدود		
تراب حلبة الخيل	الكديد		لزمزمة هدير البمير	الزمازم اا	1

معناها	الكلمه	الدوس	معناها	الكلمه	الدرس
أى براهين ممقولة	حججعقلية		النَّسْعُ سير عريض تشد به الرحال	النسوع	
جمع ومفرده أسيروهو من قبض عليه وأخذ وجمه 4	,		يسبقها في السير	يبوعها	
آساری وأساری وأسّرا وأسری			الزائد النامي	المتريع	
جمع ومفرد درَ تِجاأَى ناحيا	أرجاء		جمع مفرده : البَرُّيَّة أَى الصحراء	البرارى	71" 3"
جمع ومفرده فَنَجٌّ وهو الطريق الواضع بين جبلين	الفجاج		الأجمة هى الشجر الكثير اللتف م ومأوى الأسد		الاثسان والميوان (
أى محملةً ظهورنا بأحمال ثقيلة			والجعأجَمْ وأَجَمَات. وجمع الجمع آجام جمع ومفرده غَيْضَهُ وهي		U
جمع ومفرده القَلْس وهوحَبْلُ للسفينة ضخم			بم وسرعه سيد رق الأعجمة ومجتمع الشجر في مغيض الماه ويجمع على غيضات وغياض	0 .,	
جمع ومفرده الكَلاَّبُ وهو حديدة معطوفة يملق بها الزاد ونحوه			أى أدلة من الشرع : من القرآن أو الحديث أو أى كتاب منزل	دلائل شرعية	

معناها	الكلمه	الدرس	معنياها	الكلمه	الدس
الطبيعة	الجبلة		جع ومفرد رُثية وهي	الرُّ قَى	
يهزذيله	يعبس بذنبه		أن يستمان على الوصول		
مفرده ځرکه وهو ضرب	الجردان		إلى أمرٍ بقوَىٰ تفوق النّه ماليا قرف د		
من القاًر	• 1 .11		القوى الطبيعية فى زعم من يتوه ذلك		
الشمس والقمر	النيران		'		
الذى خلاهما لا يلتبس	مارج البحرين		جمع ومفرده تمیمة وهی خَرزة ٌ أو ما يشبهها	التماثم	
أحدهما بالآخر					
مفرده ثجتل وهوأ بوجيران	الجملان		تملّق على صفارالأولاد غافة العين والحسد		
مفرده كِلَّةُوهِي غشاء رقيق	الكال				
يتوقى به من البعوض			السَّمهام والواحدة نُشًّا بَهُ ا	النَّشَّاب	78
خشاش الأرض أي	الهوام		جع ومفرده قوس وهي	القسِي"	ين الانسار
حشراتها ، مفردة هائمة			آلة على شكل نصف		ن والم
مفردة حِرْباء وهي دابة	الحرابى		دائرة ترمى بها السهام	ı	الميوان (۲
صغيرة تستقبل الشمش برأسها			مفرده خُوذَة وهي المغفر		~
برسم جمع فلس وهو قشر الجاود			الذی یوضع فوق الرأس عندالحرب		
اللامع					
أطال الكلام	أفاض		جمعز بْيَةهىالرابية لايعلوها ماه وحفرة الأسد	_,-	

معتبأها	الكلمة	الدرس	معتساها	الكلمة	الدرس
مفرده فروة، وهي لبس يتخذ من جلود يعض الحيوان	الفِراء	بين الالسان والح	أى بمؤخرالمين الحديدة تنقربها الجبال	شَزَرًا المِنْوَل	
الفناء	البلى	وان (٣)	البرد الشديد هوللحيوانكالشفةللانسان عسلالتمروعسلالنحل	الزمهوير المشفَر السُّفَر	
دلاًها الذين يكشفون مواقع	نکس رأسه أصل الأساد		عسل مروعسل النحل يستر	الدبس يُوارى	٦٥
النجوم وحركتها	الحابالارصاد		فهناك	فثم	



فهرس الموضوعات ِ

الموضوع	الصقحة	الموضـــوع	الممنة
يناء يفداد	٧٥	آیات قرآنیة	٧
أدب التربيه لهرون الرشيد	w	قصة أمحاب الكهف	٨
من أمال العرب	٧A	قاسم أمين	۱۷
وصف الأسد	۸۲	كرم كافورالاختيد وأدبه	77
جود المهلب بن أبى صفرة	۸٤	ملجأ الحرية لحافظ إبراهيم نظم	40
نضالالعلماءحولماهيةالحرارة	M	الأغانى وأترها فى الأخلاق	۲۸
ابن سناء الملك	48	مصطفى لطنى المنفلوطي	4.
كلمات فى الآداب لانن المقفع	97	يوم العيد	4.5
أوراق مالية فى العربالسابع الهمرى	١	سرعةالضوءأكبرسرعه في العالم	٤٨
اللاساكى وهداية السفن	1.4	معاوية وليلى الأخيلية	٤١
دهاء معاوية	1.0	الربيع ٠٠٠	٤٤
القطب	1.4	علوالهمة	٤A
م كلام قدامة س حعفر في كتاه نفدالشر	11.	من وفاء العرب	٥١
المستشرقون وآثارخ فحالأدب العربى	110	إبرة المغناطيس	00
حماية المستجير	171	مع الفراعىة في طيبة الاحياء	۰۸
الجبان المستأسد	174	الىدو والحضر	70
الجمل الشاعر المصرى	145	الحرب والعلوم ."	٦٧
عاقمة الاسراف	170	الحيل	٧١

		_		
المفحة	الموضـــوع	السدس	ا الموصد ا	وع
۱۲۸	الحسن بن الهيتم ووسس علم الضوء	141	أم ااماس بن ا.	مون
144	الرحلات في الاسلام	114	نفس كبرة	
144	العيد المثوى للجارم بك . نظم	142	المعتصم بن صادح	راش الموت
131	العصا	w	منرسالةلأبيءم	بحوالجاحظ
731	من رحلة في الصحراء الغربية	194	الوزير المهلبي	
107	مصر والشام لحافظ ابراهيم. نظم	190	الغازات السامة	
401	حسن التخلص	۲٠٠	فی سکان أمریکا	نظم
100	وصف حمل	7.7	يين يدى القاضي	·
101	المعامة الحلوانية ليديع الرمان الهمدائي	4.5	الملاعب الهزلية ا	لموطى
17.	انمكاس الموجات	711	المرأة العربية في	اهلية
171	العبرات	317	وصف السفن .	نظم
124	أبوصر المازى وأبو الملاء المرى	717	يين الانسان والح	ن (۱)
140	معاوية وعرابة بنأوس الأنصاري	771	» »	(٢)
171	العقاب	724) D D	(*)
174	أبو العتاهية	772	معجم الكلمات الع	7

4200 431A